

احذروا
الصريرية!



إهداء ٢٠٠٧

الأستاذ / عبد الغنى أبو العينين
جمهورية مصر العربية

يورك ايضا توف

احذروا الصهيونية

دراسة حوث
ايد وولوجية
الصهيونية
وتنظيمها
وما ريسيتها

هدية من الفنان التشكيلي

عبد الفتاح العيسى

هذا الكتاب للمؤلف يورى ايفانوف مكرس للصهيونية المعاصرة كأيديولوجية ومجموع منظمات ، وممارسة سياسية للبرجوازية اليهودية الكبيرة ، التي اندمجت مع الاوساط الاحتكارية فى الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من الدول الامبريالية . ان المحتوى الرئيسى للصهيونية ، كما يشير المؤلف ، هو الشوفينية ذات النزعة الحربية والعداء للشيعوية .

الى مواطني والى الرفاق الاجانب
الذين ساعدوني بنصائحهم الطيبة
فى عمل

المؤلف

طوى الزمن أيام الانتظار المحموم الغادر لانتهاء أول دولة للعمال
والفلاحين فى العالم . ومضى زمن أشد امتحان ، بسلاح العدو ،
لقدرة الجمهورية السوفياتية الفتية على الحياة . واصبحت ماثرة
بلاد السوفيات فى النضال ضد القطعان الهتلرية ملكا للتاريخ ،
وتبدد الكثير من أوهام أعداء الشيوعية . ولكن لم يتبدد حقدهم
واستعدادهم لمواصلة الكفاح بكل ما تبقى فى ترسانتهم من وسائل .
كان لينين يعتبر ، التحليل الحسى للقوى المناهضة للشيوعية ،
مهما بدت ثانوية ، لأول وهلة ، هو واجب الصحافة السوفياتية
ومهمتها الأولى ، وهذا الكتيب مكرس لدراسة الصهيونية المعاصرة ،
أحد الاشكال المختلفة الثابتة والمخفية بعض الشيء لمعاداة
الشيوعية .

أشار ماير فيلنر ، أمين المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب
الشيوعى الاسرائيلى ، فى رسالة وجهها الى الصحافيين السوفياتيين
فى يناير سنة ١٩٦٨ ، الى أن « الصهيونية تشكل ، مع الأسف ،
قضية « منسية » ، الا انها أكثر القضايا الحاحا . . . » ولا يمكن
عدم الموافقة على هذا القول . فقد كانت جهود كثيرين من أنصار
الصهيونية موجهة ، زمنا طويلا ، الى تحويلها من حيث المظهر الى
عبارة بائدة لا أكثر ، ذلك أن من الخطل اعتبار ظاهرة تشكل قوة
رجعية ذات نزعة حربية ، كانت حتى المدة الاخيرة كأنها خارج
حقل رؤية الراى العام العالمى ، مجرد ظاهرة عابرة . وليس لهذا
الظرف الفضل الاخير فى وجود اتحاد الصهاينة العالمى ، الذى
يعمل لصالح الرجعية الامبريالية .

ولقد سبق أن أشار ف . ا . لينين أكثر من مرة ببصيرته

المعهودة ، في مرحلة قيام المنظمة الصهيونية العالمية ، الى ان الصهيونية تشكل تيارا رجعيا للبرجوازية اليهودية .

فهل توجد أية وقائع تاريخية او اتجاهات جديدة تبين ضرورة « اعادة النظر » (كما يلح الصهاينة وانصارهم منذ سنوات عديدة) في التقدير اللينيني ؟ مثل هذه الوقائع لا وجود لها بل على العكس توجد في هذا الصدد ، مئات من البراهين التي لا تدحض والمسجلة ، بالدرجة الاولى في الوثائق الصهيونية والادب السياسي الصهيوني ، تؤكد بوضوح بالغ ، ان التحديد اللينيني للصهيونية لم يفقد أهميته حتى في أيامنا هذه . وزيادة على ذلك ، فان الصهيونية ، بدعم اجماعي من قبل قوى الامبريالية ، وبعد ان استوعبت اكثرية تيارات القومية البرجوازية اليهودية ، أصبحت تشكل فيها التيار السائد واتسمت بصفات رجعية جديدة .

ان الصهيونية المعاصرة هي ايدولوجية ، ومنظومة متشعبة من المنظمات وممارسة سياسية للبرجوازية اليهودية الكبيرة التي اندمجت بالاطلس الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الامبريالية الاخرى . والمحتوى الرئيسي للصهيونية هو الشوفينية النزاعة الى الحرب ، والعداء الشيوعية .

والصهيونية بمحاربتها الاسرة الاشتراكية ، والحركة الشيوعية والعمالية العالمية ، تحارب أيضا حركة التحرر الوطني للشعوب . وفي هذا المجال يشكل عدوان العسكريين الاسرائيليين على الدول العربية في يونيو ١٩٦٧ العمل الحسى الاخير من حيث الزمن .

وقد ترك هذا العدوان بنتائج العسكرية ، بشكل رئيسى ، اثره في نوعين من الناس : في سكان عدد من البلدان المتاخمة والمجاورة وفي الانتقاميين في « بون » الذين كانت الحرب الصاعقة ولا تزال حلمهم الذى لا يتحقق .

الا ان الاكثرية المطلقة من الناس الذين رفضوا الانزلاق الى سطحية الاحداث وجدوا أنفسهم ، بسبب المأساة التى وقعت في الشرق الادنى ، أمام ضرورة ايجاد جواب لعهد من الاسئلة الاساسية : ما هى القوى التى استطاعت في البداية خلق رؤية « صراع » اسرائيل مع مجموعة كاملة من الدول العربية ؟ ومن الذى استطاع ان يستميل سلفا قسما معينا من الراى العام فى عدد

من البلدان الأوروبية الغربية والولايات المتحدة الأميركية لصالح العسكريين الاسرائيليين ؟ ومن الذى قام بعملية استطلاع عدد من اسرار العرب العسكرية ، واسرار الدولة وكشفها ؟ ومن الذى ضمن السرية البالغة لصفقات اسرائيل المالية والعسكرية المتعددة ؟

من المفهوم أن عملا واسعا ومتعدد الجوانب كهذا يفوق كثيرا امكانيات وكالة الاستخبارات الاسرائيلية واجهزتها الدعائية . وبدبهي أن القضية تتعلق هنا بالتعاون المتبادل بين العسكريين الاسرائيليين والأوساط الحاكمة في الدول الامبريالية . إلا أن جوابا كهذا ، صحيحا مبدئيا ، غير كاف (**) . فيجب اكماله باستنتاج حول وجود حلقة وسيطة ضمنت عمليا بشكل غير منظور التحضير الشامل للتوسع الاسرائيلي اللاحق ومحاولات الاطاحة بالنظامين التقدميين في الجمهورية العربية المتحدة وسورية ، بقوة السلاح . وهذه الحلقة الوسيطة كانت « اتحاد الصهاينة العالمى » الذى لعب دور النفق السرى بين اكثر القوى رجعية في الدول الامبريالية وبالدرجة الاولى الولايات المتحدة الاميركية وجمهورية المانيا الاتحادية وانجلترا . وبين العسكريين الاسرائيليين .

الا أن حذر أهمية الصهيونية العالمية في أزمة الشرق الأدنى في دور حلقة الوصل يعتبر غير صحيح .

وإذا ما تصورنا الرسم البيانى العام لارتباط المشتركين الرئيسيين في العدوان فإنه سيبدو تقريبا ، بالشكل التالى :
العسكريون الاسرائيليون - الصهيونية العالمية - الأوساط الامبريالية في الغرب وفي طليعتها الولايات المتحدة الاميركية .

أن الأوساط الحاكمة في اسرائيل تدخل ضمن الكونسرسسيون الصهيونى العالمى بحسبة شريك صغير (وهذا واحد من أهم الشروط لوجودها كأوساط حاكمة بالضبط) . فالكونسرسسيون الصهيونى في شخص المنظمة الصهيونية العالمية وفرعها الحقيقى ، المؤتمر

(**) لم تنح للدعاية الفرنسية الرسمية مثلا ، خلال العدوان ، امكانية تحضير الراى العام في البلاد بروح الموالة لاسرائيل بسبب نهج السياسة الخارجية لحكومة ديغول . وقد قامت بهذا النشاط فروع المنظمة الصهيونية العالمية في فرنسا .

اليهودى العالمى ، والفروع العديدة الاخرى التى تلعب فى بعض الاحيان دورا أهم من دور المنظمات التى ترفع لوحة على واجهات عند مداخلها ، يشكل بالذات فى وقت واحد ، وعلى حد سواء . واحدا من أضخم اتحادات الراسمال المالى و « الوزارة » العالمية المزعومة المختصة بشؤون « يهود العالم اجمع » ومركز الاستخبارات العالمى ودائرة التضليل والدعاية، الحصنة العظيم . ان الهدف الرئيسى لـ « دوائر » الكونسرسيوم الصهيونى التى تعمل تحت قيادة واحدة هو الربح ، والاثراء ، اللذان يؤمنان ، فى اطار نظام الامبريالية السسلطة والازدهار الطفيلى . ومن البدهى ان الدفاع عن مواقع الامبريالية وتعزيزها يشكلان جزءا لا يتجزأ من هذا الهدف الرئيسى للصهيونية العالمية .

والمنظمة الصهيونية العالمية مرتبطة اقتصاديا باوثق الاواصر مع احتكارات اكبر الدول الامبريالية ، ولا سيما الولايات المتحدة الاميركية . ويملك الاتحاد الصهيونى منذ زمن بعيد ، شأن احتكارات الولايات المتحدة الاميركية ، دائرة واسعة من « المصالح العملية » فى الشرق الادنى . ولذلك فان دوره فى النزاع فى الشرق الادنى لم ينحصر مطلقا فى دور الخادم الخنوع . فلقد عمل الكونسرسيوم الصهيونى بصفة « رب عمل » ازاء الاوساط الحاكمة فى اسرائيل ، اما ازاء الاحتكارات الاميركية فلم يلعب دور المشترك الاخير فى التقاسم اللصوصى .

ان « حرب الايام الستة » ليست المفامرة الاولى وقد لا تكون المفامرة الاخيرة للصهيونية العالمية . (فدائرة مصالحها ومخططاتها لاتنحصر بمنطقة قناة السويس) . ومع ذلك فان عدوان يونيو ١٩٦٧ قد شكل تلك الحالة النادرة حقا التى رفعت فيها الصهيونية العالمية رأسها شبيها ما من خلف المتراس ، منتهكة القوانين المترسخة منذ زمن بعيد : فقد كشف ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل بدون قصد عن المبالغ التى قدمتها المنظمات الصهيونية فى الايام الاولى من الحرب الى الاوساط الحاكمة دون مقابل ، وعقد فى اسرائيل جهارا اجتماع عالمى لاصحاب الملايين من أصل يهودى ، وأقام الصهاينة فى عدد من البلدان وسط دهشة مواطنيهم ، حفلات ضخمة بنجاح القوات الاسرائيلية المسلحة . ولكن هذا ليس سوى حادثة نادرة فى تاريخ

نشاط الكونسرسيوم الصهيونى العالمى . فهو ، بصورة عامة .
يعمل بشكل مغاير تماما .

وخلال السنوات العشر الاخيرة كان لدى أساتذة التمويه
الصهاينة اتجاه للتحديث عن « انهيار » الصهيونية « التام » .
فالأنات والاصوات الجنائزية تنطبق من على منابر تجمعات
الصهاينة العالمية . وتسعر الصحافة الصهيونية الحملة بمهارة .
وعلى سبيل المثال نورد فيما يلى ما كتبه الجريدة الاسرائيلية
الصهيونية « ميفنيم » ، فى المرحلة الفاصلة بين عدوانى ١٩٥٦ و
١٩٦٧ فى الشرق الادنى : « أن الصهيونية ترى نفسها الان بين
فكى كماشة أقسى أزمة ، أزمة لا مثيل لها . . انها أزمة لها ثلاثة
وجوه : ايدولوجية وحركة وتطبيق الصهيونية . . وتدل سعة
نطاقها وعمقها على أنها ليست ظاهرة عابرة ، ولا تنبع من أى
مصاعب اقتصادية أو سياسية كما أنها ليست وليدة نقاش حول
قضايا راهنة . أن الأزمة تتناول روح الحركة ، ولب النواة ،
وجوهر المشكلة اليهودية . . وتلخص خطورة الأزمة فى أنها تنبعث
من الداخل ، من قلب الحركة ، من قلب قيادتها الايدولوجية
والسياسية » (١) . ومع ذلك فمن الخطأ الا نضع فى الحسبان
الاهداف الحقيقية لأصحاب مثل هذه الاقوال .

أن الصهيونية هى منظومة رجعية من الاراء ، ومنظومة رجعية
من المنظمات تخدم الامبريالية، أى أنها ظاهرة طبقية . والصهيونية،
شأن كل المنظومة العالمية للامبريالية ، واقعة فعلا فى أزمة عميقة .
ولكن فى وسعنا على أساس الوقائع التى تكشف الاعيب الدعاة
الصهاينة ، أن نلاحظ أن الامكانيات الكامنة ، وحرية المناورة ،
والمصير اللاحق وموت الصهيونية مرتبطة ارتباطا مباشرا
بالامكانيات وبالمصير اللاحق وبزوال الطبقات المستثمرة ، بمصير
الامبريالية وموتها .

ومن الطبيعى أن الصهيونية تواجه فى أيامنا هذه صعوبات
أكثر فى عملها . ولكنها كانت ولا تزال حتى يومنا هذا عدوا غادرا
ومحنكا لصداقة والاخوة بين جميع الشعوب ، وسلاحا خطرا فى
يد الرجعية الامبريالية .

وتجدر الإشارة الى أن التنبيه الى الصهيونية يشير لدى
الناس الذين يجهلون تصورات مرتبطة أما بدولة اسرائيل عامة أو
باليهود بشكل عام . أن مثل هذه الاراء الخاطئة هى ، بالضبط ،

التي ترضى قادة الصهيونية العالمية أكثر من أي شيء آخر ، ومثل هذه الآراء هي ، بالضبط ، التي تغذيها الدعاية الصهيونية .

أن عددا كبيرا من العمال اليهود - مواطني مختلف الدول ومنها إسرائيل - يرفضون بحزم مفاهيم الصهيونية ، ولذلك فمن المهم جدا لزعمائها « تسجيل » جميع اليهود في كل مكان بغض النظر عن آرائهم ، كصهاينة وبهذا الشكل دفع المترددون ، في طريق خدمة الاهداف الصهيونية المجرمة .

الفصل الأول الخرافة والواقع

نشأت الصهيونية وتكونت كأيديولوجية ومنظمة في أواخر القرن التاسع عشر ، في عهد المارك الطبقيّة الضارية للبروليتاريا العالميّة ، في مرحلة انتهاء عملية تحول الرأسمالية إلى امبريالية .

لقد كانت أيديولوجية الصهيونية من حيث مظهرها الخارجى كأنما تقتصر على مذهب تأسيس « الدولة اليهودية » . ولذلك فلدى الاطلاع السطحي على منظومة الاراء الصهيونية يمكن ان تبدو هذه المنظومة عاجزة عجزا مثيرا للعواطف ، ودينية ساذجة دأعية لارثاء بحكمتها شبه الشاعرية : « ما دام ثمة كتاب الكتب ، اى الكتاب المقدس ، وما دام ثمة شعب الكتاب المقدس ، فيجب ان يكون ثمة بلد الكتاب المقدس . . »

وقبل الاسترسال فى الحديث يجدر أن نشير الى أن هذا القول الذى يلقي ضوءا على أحد جوانب البرنامج الصهيونى لا يعود لاحد من مؤسسى الصهيونية المتوفين . أنه فقررة من خطاب الجنرال موسى ديان الذى طالب فيه بضم الاراضى العربية المغتصبة دون قيد أو شرط (٢) .

ان المطامع الاستعمارية التوسعية ، والدعاية للسلام الطبقي فى اوساط اليهود ، وتوحيدهم على أساس السمة العنصرية فى بعض البلدان وعلى النطاق العالمى ، واظهار شعوب الكرة الارضية لليهود كأعداء للسامية ، والمزاعم « الخاقية » حول نقاوة العنصر وتفرد « شعب الله المختار » ورفض الاممية ، والاساس « النظرى » لحتمية انشقاق الحركة العمالية ، والعداء السافر للشيوعية . . ان كل هذا يكتشف فورا حالما ترفع من قاع مستودعات الكتب المؤلفات التى تشكل التراث الفكرى

الكلاسيكى للصهيونية «*» . لقد نشأت الصهيونية كأحد ذيول
الايدولوجية الامبريالية ، ولذلك فان عدم تطابق شكل هذا
« المذهب » مع محتواه الحقيقى لا ينبغى أن يثير الدهشة .

فى شهر أغسطس ١٨٩٧ أسست فى المؤتمر العالمى الاول
للسهائنة فى بال (سويسرا) المنظمة الصهيونية العالمية . وفى
وقت لاحق انشأت هذه المنظمة الشركة المساهمة الصهيونية
العالمية - أى التروست الاستعمارى اليهودى .

وقد بدأت الصهيونية المنقمة ، نشاطها بالتلفيق والتزوير .
واتضح ان تاريخ منشئها الخاص لا يرونها . فراحت الدوائر
الصهيونية وانصارها يروجون بنشاط (للاستهلاك الخارجى)
خرافة تقول أن الصهيونية « التى تسعى لإنشاء الدولة اليهودية »
قديمة قدم العالم اذ أن « اليهود عللوا أنفسهم خلال آلاف السنين
بحلم العودة الى فلسطين » . والجدير بالذكر أن هذه الخرافة
لا تزال تولى فى أيامنا اهتماما معيناً .

« الصهيونية قديمة كقدم سبى الشعب اليهودى فى أيام هدم
نبوخذنصر للهيكل » (٣) - هذا ما كتبه البروفسور نورمان
بنتفيتش (صهيونى انجليزى كتب الكثير عن فلسطين . ولكنه
فضل العيش بشكل رئيسى فى انجلترا) .

ويشير المؤرخ الصهيونى الانجليزى هارود ساشار الى أن
« صهيون لم تكن فقط وليدة خيال الجثث الحية الجامع . لقد
كانت تعمل فى قلوب يهود مختلف أنحاء الارض » (٤) .

ويزعم الايدولوجى الصهيونى المعروف ناحوم سوكولوف أن

«*» من الضرورى ان نشير بوجه خاص الى ان أحد الاساليب الديهاجوجية
للدفاع عن الصهيونية ضد كل الحملات الموجهة ضد الصهيونيين عامة هو وصف
هذه الحملات كـ « اعمال معادية للسامية » . أما النضال ضد ايدولوجية
الصهيونية بوجه خاص (اذ انها من حيث الشكل تبدو كأنها هى مذهب حـول
تأسيس « الدولة اليهودية ») فيصفها الصهاينة بأنه « تطاول » على حق الشعب
الاسرائيلى فى تقرير مصيره . اننا نرفض بحزم هذه الاساليب الدنيئة .

الصهيونية « كانت خلال الوف السنين ولا تزال مثلاً أعلى عمل لأجله أفضل ممثلى أمتنا وناضلوا وتعذبوا وماتوا » (٥) . ويضيف جاستيس ل . براندس وهو من أقدم الزعماء الصهاينة في الولايات المتحدة الأمريكية ، قائلاً : « منذ هدم الهيكل ، قبل حوالي ألفى سنة ، ظل اليهودى يحن دائماً الى فلسطين » (٦) .

وقد انتقلت هذه الاستشهادات من جيل الى جيل ، عبر الدراسات ، والموسوعات والمنشورات الأكاديمية . .

لنصرف النظر مؤقتاً عن أن اليهود ينظر اليهم فى الاقوال الآتفة الذكر ، وفى العديد من التصريحات الأكثر وضوحاً وغير المذكورة على حد سواء ، خارج نطاق الزمان والمكان ، وخارج أى علاقة بالمصير التاريخى لهذا أو ذاك من أسباطهم ، ولننصرف كذلك عن أن المسألة الطبقية لا تزال كلياً فى سياق المناقشات . ولنعد الى الصهيونية عام ١٨٩٧ ولنفترض أنها كانت تمثل بالضبط ماكرست نفسها له ، (أى منظومة الآراء . والتنظيم السياسى والمالى اللذان كانا يهدفان الى تأسيس « الدولة اليهودية ») .

وإذا افترضنا أن المسألة كانت على هذا النحو بالضبط فإن طرح الصهاينة للقضية المتعلقة بقدوم الصهيونية التى « عممت وأعربت » عن رغبة اليهود القديمة فى العودة الى فلسطين، يثير العجب بسخافته . ذلك أنه من أجل محاولة إقامة « الدولة اليهودية » فى فلسطين فى ذلك الوقت كان الامر يتطلب نظرياً، بالإضافة الى الاموال التى كان يملكها الصهاينة (أموال بنسك روتشيلد وحده كانت تكفى ، لعشر فلسطينات) شرطين : استعداد قسم كبير من اليهود للانتقال الى فلسطين . والدعم ، وبشكل رئيسى ، الدعم العسكرى من جانب الدول الامبريالية الرئيسية فى قضية استيطان فلسطين .

ولكن اذا تصورنا أن اليهود كانوا يحلمون ، ويحلمون فقط خلال قرون عديدة بالصحراء من مختلف البلدان الى مرتفعات فلسطين الصخرية ، فإن الاسطورة الموضوعة حول قدم الصهيونية ، لم تكن ، على الأرجح ، معدة لهم ، ذلك أنه كان ينبغى بمثل ذهنية اليهود هذه أن يكونوا عسكربى الاكتراث بما اذا كانت الصهيونية قد نشأت فى عصر الرأسمال الاحتكارى ، أو انها كانت

موجودة في القرن السادس قبل الميلاد . ويبقى أن نفترض أن
الخرافة حول قدم الصهيونية قد أنشئت بصورة موجهة لحكام
امبراطوريات أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين
بغية اقناع هؤلاء كي يؤازروا بالاجماع مشروع استيطان فلسطين
وانشاء « الدولة اليهودية » فيها . الا انه من المستبعد أن ينتظر
المرء من الزعماء الصهيونية المحنكين في الشؤون المالية وفي
السياسة على حد سواء ، ايمانا ساذجا بآته من الممكن ارغام
الامبريالية على تلبية كل خطة مهما تكن استنادا الى الحسب
والنسب أو بالاشارة الى آمال الطامحين .

فلأجل من ، أذن ، أنشئت الخرافة حول قدم الصهيونية .
وماذا كان هدفها ؟

من المهم جدا كشف الاسباب الحقيقية لاختراع الخرافة
ونشرها حول قدم الصهيونية . من الجائز أنه تختفي وراء
ادعاءات الصهاينة الساذجة ، ظروف خطيرة جدا . ولذلك فمن
الضروري قبل أي شيء آخر أن نبحث هذه القضية بالذات (*) .

(*) لنلاحظ ان اساتذة السفسة الصهيونية قد يتهموننا بـ « البدائية » في
فهم الصهيونية « وتشويه » نظرية قدمها . وسيزعمون : « ان الصهيونية ليست
قديمة لان اليهود كان يراودهم منذ الوف السنين الحلم بالعودة الى فلسطين »
بل لهذا السبب من جملة الاسباب . فالصهيونية ، هي بالذات فكرة العودة الى
فلسطين ، هذه الفكرة التي مضى زمانها .

ويصمم النظريون الصهاينة بصفاقة حلزونا « دياكتيكيا » يجمع بين ابراهيم
الكتاب المقدس والزعماء الصهاينة في القرنين التاسع عشر والعشرين . كتب
ناحوم سوكلوف يقول « ثمة هدف واحد يجمع ساءة فجر التاريخ اليهودي بجمع
الاجيال الاخرى ، ويجمع بين ابراهيم وعصرنا » .

الا ان كل هذا الستار الكلامي يختفي فورا حالما نتوجه الى التصريحات
الواضحة لبعض الزعماء الصهيونيين القدامى المتهورين . ففي عام ١٩٠٠ هـ
تيودور هرزل ، مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية « ان عودنا الى وطن الاباء
التي تنبأ بها الكتاب المقدس .. بشكل .. مصلحة سياسية ملائمة تماما لتلك
الدول التي تبحث عن شيء ما في اسبابا » .

ويذكر نورمان بنتفيتش شأن الكثيرين من زملائه تاريخيا ،
دقيقا الى حد ما ، لـ « أبصار » الصهيونية « النور » وهو مرحلة
« سبى اليهود بعد هدم الهيكل من جانب نبوخذنصر » ، أى القرن
السادس قبل الميلاد .

إلا أنه إذا ما انتهجنا منطق المؤلفين الصهاينة أنفسهم فانه
ينبغي أن نرجع بتاريخ نشوء الصهيونية قرنين الى الوراء ، الى
تلك الأزمنة ، حين سقطت اسرائيل ، وكانت قسما من مملكة
سليمان المتفسخة (وكانت اليهودية قسما الثاني) — أمام هجوم
قوات الملك الاشورى سرجون الثاني (القرن الثامن قبل الميلاد) .
وقد سيق الوف اليهود الى آشور ، الامر الذى كان يشكل بالنسبة
لذلك الزمن تدبيرا عاديا من قبل المنتصر . ويجدر الإشارة الى
ان السكان فى اسرائيل كانوا يمارسون بأكثريتهم ، الزراعة
والتجارة . وكانت اسرائيل تقيم علاقات تجارية نشيطة مع
فينيقيا وسورية و « أصبحت بحكم موقعها على مفترق الطرق
المؤدية الى آسيا وما بين النهرين ومصر ، بلدا تجاريا . . فى
الوقت الذى بقيت فيه اليهودية الواقعة فى القسم الجبلى
الإصعب من بلاد الرعاة المتخلف » (٧) .

أن سرجون الثاني ، كما يؤكد ناتان أوسوبيل ، لم يبع اليهود
عبدا وحسب بل كان أيضا يقصدهم الى مناطق محددة من مملكته
الشاسعة الاطراف من أجل استيطان هذه المناطق (٨) : وإذا
أخذنا بعين الاعتبار أنه حتى فى أيام الملك سليمان صار رعاياه شأن
الصوريين ، والفينيقيين بنشئون مراكز تجارية فى جميع أرجاء
أراضي الشرقين الأدنى والأوسط ، فلا يوجد أى أساس لمعارضة
رأى أوسوبيل الذى كان يعتقد أنه بعد احتلال نبوخذنصر لليهودية
واجلاء قسم كبير من سكانها الى بابل ، « رأى هؤلاء فى المنفى
اسباطا يهودية كثيرة العدد وحسنة الحال ، نشأت هناك فى القرن
الثامن (قبل الميلاد) وقد أكمل القادمون الجدد صفوف هذه
الاسباط » (٩) .

وكانت الاسباط اليهودية البابلية من وجهة تركيبها الطبقي
لا تتميز ، حسب شهادة كثيرين من الباحثين ، عن العالم المحيط
بها . فكان بين اليهود فى بابل مزارعون وحرفيون وأصحاب
أراض وتجار صغار وكبار . وكانت الاسباط اليهودية تستخدم
عمل الرق .

وفي البدء أمنت وحدة الدين واللغة والمصير بدون أى تدابير مصطنعة قيام علاقات محسوسة بين أفراد السبط . إلا أن هذه العلاقات مع ذلك قد ضعفت تحت تأثير الوسط المحيط كنتيجة لتأثير مختلف الثقافات ، ومسواقب الزواج المختلط الذى كان منتشرًا جدًا ، والعملية النشيطة لازاحة اللغة اليهودية القديمة من قبل اللغة الآرامية .

وهناك أساس للاعتقاد بأن التجار والرايين كانوا فى الاسباط اليهودية فى بابل الفئة الأكثر نفوذا اقتصاديا . ويؤكد هذا الوضع مؤرخون كثيرون . فقد كتب الباحث الألماني لوجوبرانتانو أن « النصوص المكتوبة بالحروف المسمارية المكتشفة مؤخرا تشهد على أن النازحين اليهود قد اشتركوا اشتراكا نشيطا فى الحياة التجارية . ومارسوا عملية التسليف بالربا ، هذه العملية التى كانت متبعة بشكل واسع بين سكان بابل ، كما كانوا تجارا كبارا » (١٠) .

ان عملية استيعاب اليهود النشيط حيث يسهل التحكم بهم أكثر فى الوسط المحيط الغريب الى حد ما ، لم ترض القسم المسور من الاسباط اليهودية البابلية . ولذلك ليس من قبيل المصادفة أن ظهر فى بابل بالذات ، حيث فرضت أهداف حكام الاسباط ، المفروضة بشكل أعنف من أى مكان آخر ، عليهم ضرورة عزل الخارجين عن طاعة من هم من دين واحد ، أحد أول الكنائس ، وحسب زعم جيمس باركس أول كنيس (١١) .

وقد عزز انشاء الكنيس مرارا عديدة الطابع السبى لطقوس الدين اليهودى وحصرت الاسباط اليهودية بين كماشة طقوس أكثر تزمًا . ومن البدهى أن نفوذ الكنيس استخدم كليا لمصلحة الاقلية الغنية . وجرت بالتدريج طبعا عملية تحويل الكنائس الى مراكز دينية وروحية للاسباط اليهودية مع العلم أنها لم تعرقل بل بالعكس ساعدت التجارة والعمليات المالية لعلية الاسباط أو نخبتهم . وحسب شهادات عدد من المؤرخين فقد نشط ظهور الكنيس بطريقة غير مباشرة عملية تحويل المزارعين اليهود (حيثما كانوا) الى سكان مدن .

وخلال مدة قصيرة نسبيا غرست الاسباط اليهودية فى الحقيقة جذورا عميقة ، الامر الذى وجد له انعكاسه الدينى فى

نداء ارميا : « ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنتا وكلوا ثمرها .
خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيتكم نساء واعطوا بناكم
لرجال فيلدن بنين وبنات واكثروا هناك ولا تفلوا » (١٢) .

وفي عام ٥٣٨ قبل الميلاد أصدر قورش امبراطور فارس ،
الذى استولى على بابل ، في محاولة منه لتقوية فلسطين لاغراضه
الخاصة ، أمرا يسمح لليهود بالعودة الى فلسطين . وماذا بعد ؟
فكما أشار حاخام انجلترا الاكبر (١٩١٧) فقد « أصدر قورش
أمرا الا أن الجماهير الرئيسية للشعب اليهودي بقيت في بابل »
(١٣) . وكتب المؤرخ الاميركي ا.ت. اولستد « كان من الصعب
التوقع أن يترك اليهود ، بعد أن اغتنوا ، بابل الخصيبة من أجل
هضاب اليهودية الجرداء » (١٤) .

ويذكر المؤرخ الصهيوني الاميركي سالو و . بارون في حديثه
عن مرحلة أكثر قدما الى حد ما من حياة السبط اليهودي في
بابل ، واقعا ذا مغزى كبير من وجهة نظر المشاعر المسيطرة في
اوساط البابليين : « لقد أصر زعماء السبط البابلي على أن تتلى
في جميع بلدان سبي اليهودي الصلوات » من أجل صحة حكماء
بابل « قبل أي شيء آخر » (١٥) .

وقد أتاح العدد والرفاه المادي لـ « أباء » اليهودية الروحيين
البابليين أن يؤكدوا ، كما يشهد بذلك سالو و . بارون : « هنا
(أي في بابل - ي.أ.) يسكن مصدر الحكمة والنبوءة ، ومن
هنا بالذات (وليس من القدس ! - ي.أ.) يشع الاكليل المتألق
على شعبه » (١٦) .

وكما يبدو فإن خرافة « الرغبة الجارفة » لليهود في العودة
الى فلسطين تتحطم على الوقائع التي يعود تاريخها الى القرن
الاول الميلادي .

ويؤكد واضعوا « التاريخ القديم المؤلف في كمبردج » في
معرض تحديددهم لذلك العصر قائلين : « لا يمكن أن نعتبر أمرا غير
معقول انه بالإضافة الى المنفيين من اليهودية (والمقصود هنا سبط
بابل - ي.أ.) كان يمكن العثور على اليهود (سواء أكانوا
بختلطون بزملائهم الفينيقيين أم لا) في كل مكان من العالم
المعروف والمطروق من قبل الانسان » (١٧) .

واستمرت عملية استيطان الاسباط اليهودية فى مرحلة الحكم الفارسى بالرغم من موقف السلطات الودى ازاء فكرة هجره اليهود الى فلسطين .

ولحق النجار اليهود مع ابناء دينهم المرتبطين بهم ، بالجيش الفارسى ، واستقروا فى الاراضى المحتلة وأمنوا لهذا الجيش الجنود - الباعة المتجولين (١١٨) .

وفى العصر الاغريقى كتب فيلون الاسكندري وهو فيلسوف ومؤرخ ، عن استيطان اليهود « أن اليهود كثير و العدد بحيث لا يمكن لآى بلد أن يسمعهم ولذلك فهم يقطنون فى مختلف البلدان الاكثر ازدهارا فى اوروبا وآسيا سواء فى الجزر أم فى اليابسة » (١٩) .

وكان عصر الحكم الرومانى وبنوع خاص مرحلة الانتفاضة فى اليهودية (سنوات ٦٦ - ٧٣ بعد الميلاد) ضد نير الامبراطورية الرومانية وقمع هذه الانتفاضة وهدم الرومان للقدس - مساهة للمزايدات الشديدة من قبل الصهاينة الذين اظهروا لليهود بكل اصرار ضرورة استيطان فلسطين (وسنتحدث فيما بعد بالتفصيل عن الاهداف التى كان يرمى اليها رواد هذه المبادرة) .

وفى معرض زرع بذور مشاعر النزعة الحربية ومشاعر الكراهية للانسان فى قلوب اليهود ، يشير الصهاينة بشكل خاص الى طرفين :

١ - التنكيل الوحشى باليهود المنتفضين على ايدى الرومان ، وهدم القدس كما لو كانا يشكلان صورة لاحدى حلقات سلسلة الآلام الخاصة التى لحقت باليهود ، والاضطهادات الوحشية الخاصة التى نزلت بهم فى مجرى التاريخ المعروف جيدا لدى الانسانية (١٠) . وفى هذه الموضوع الصهيونية يكمن عنصر الشذوذ الكاذب والضرورى جدا بالنسبة لهم (لمواجهة اليهود بغير اليهود) .

٢ - قمع انتفاضة اليهودية والتنكيل باليهود هما ، حسب زعم الصهاينة . أحد البراهين الحاسمة على « طرد اليهود بالعنف الذى لا يرقى اليه الشك من فلسطين » .

(١٠) سييجرى الحديث عن هذه القضية بشكل مفصل اكثر فى مكان اخر .

وبهذا الصدد تجدر الإشارة الى ان انتفاضة اليهود ضد الحكم الرومانى التى تذكرنا بتدمير قرطاجة ، وقمع انتفاضة اتحاد الأخيين من قبل الرومان ، ومسح كورينثس عن وجه الأرض ، وكذلك بنضال المغول والبريت العنيد والمتفانى ضد الرومان كانت بطولية ودموية بعواقبها ، الى درجة تشبه الكثير من حوادث النضال الأخرى ضد سلطة الامبراطورية الرومانية .

اما فيما يتعلق بقضية طرد اليهود بالعنف من فلسطين . فان افتراض ليونارد شستين الوارد فى مجال وصف الاعوام التى سبقت الانتفاضة فى اليهودية ، يستحق ، فى نظرنا ، الاهتمام : « أن الاسباط اليهودية **الزدهرة** (التوكيد على الكلمة الأخيرة منى - ي . أ .) كانت موجودة منذ زمن بعيد فى مصر وبرقة ، وفى سورية وما بين النهرين ، وفى ايطاليا واليونان » . وأشار المؤلف بنوع خاص الى أن « اليهود قد استقروا قبل انهيار الدولة اليهودية بوقت بعيد ، وفى الواقع كان عدد اليهود فى فلسطين على أعتاب المسيحية ٧٠٠ ألف شخص فقط فى حين كان عددهم فى الامبراطورية الرومانية وحدها زهاء أربعة ملايين .. » (٢٠) .

وجاء فى كتاب « العالم القديم » للباحثين الاميركيين ف . سكراموزا و ب . ماكنديك أن عدد اليهود فى الاسكندرية وحدها كان ربع مليون شخص أى حوالى ٤٠ ٪ من مجموع السكان (٢١) . والتفصيل الذى يورده المؤرخان مثير للاهتمام : بعد أحد الاصطدامات فى الاسكندرية بين الجماعة اليهودية والجماعة اليونانية الناتج عن مزاحمتها الاقتصادية والسياسية أصدر الامبراطور الرومانى كلوديوس « أمرا لليونانيين باحترام الحرية الممنوحة لليهود من قبل أوغسطس ، كما حذر اليهود فى الوقت نفسه من أن يبتزوا بالتهديد امتيازات كبيرة .. ومن أن يشجعوا الهجرة السرية لليهود الفلسطينيين الى مصر » (٢٢) .

ولم تكن عملية ظهور جاليات يهودية جديدة باستمرار أقل نشاطا أيضا فى مرحلة قيام الخلافة العربية وازدهارها (القرن السابع للميلاد) . فمن المعروف للجميع أن حكام الامبراطوريات المتعاقبة فى منطقة البحر الابيض المتوسط قد عرضوا للاضطهاد الوحشى والاستثمار كل شعب من الشعوب التى قهروها ومنها

اليهود . ومع ذلك يشكل انبعاث السبط اليهودي القديم في بغداد مع ظهور الخلافة العربية في الوقت الذي كان فيه في حالة يرثى لها ، في العصر الاغريقي ، واقعا تاريخيا . ويشير المؤرخ سيسيل روت الى أن هذا السبط أصبح مركزا روحيا للسكان اليهود ضمن حدود الخلافة وخارجها (٢٣) .

وفي الوقت نفسه ، كما يشهد مؤلفو « تاريخ القرون الوسطى » في كمبردج « لوحظ في هذه المرحلة أيضا انتشار نشيط للاسباط اليهودية في اسبانيا ومصر وما بين النهرين أي في أقطار الخلافة العربية الأكثر ازدهارا . وأشار واضعو هذه الدراسة الى أن قلة فقط كان بوسعهم في القرن التاسع للميلاد ، مزاحمة اليهود الذين كانوا ، حسب الاثباتات الموجودة ، ينتقلون دوما من فرانكلند حتى الصين . ويرسم ابن خرداذبة الذي كان يشغل منصب « صاحب البريد والخبر » في بغداد في مؤلفه « المسالك والممالك » (٨٤٧) لوحة ساطعة لنشاط التجار اليهود من الصين حتى اسبانيا في القرن التاسع . . أن كلمتي « يوهدي » و « تاجر » أصبحتا أحيانا مترادفين » (٢٤) .

وفي كل عصر ، كما تدل وقائع التاريخ ، ظهر على السدوام ، وضع مزعج بالنسبة للصهاينة حين لم تنطبق الطرق التي كان ينبغي ، حسب رأيهم ، على « فكرة العودة » الى فلسطين أن تقود اليهود عبرها منذ أزمنة بابل مع الطرق التجارية للاسباط اليهودية القاطنة في العالم كله .

لقد سبقت الإشارة الى أن التجار الكبار قد لعبوا الدور الرئيسي في الاسباط اليهودية في المرحلة التي سبقت القرون الوسطى ، وأن التركيب الطبقي للاسباط لم يكن يتميز عن التركيب الطبقي للمجتمعات المحيطة بها . وكان لزعماء الاسباط اليهودية مصلحة مباشرة في الحفاظ على سلامتها وقد ساعد على ذلك الكنيس الذي كان قد ظهر في بابل . وينبغي أن نضيف أن الاسباط اليهودية سواء في العصر الاغريقي أو في مرحلة الحكم الروماني وطوال عهد الخلافة العربية كانت تتمتع بالحكم الذاتي في القضايا المتعلقة بحياتها الداخلية ، بمقتضى اهتمام زعماء الاسباط الحاكمين والطبقات الحاكمة في الامبراطوريات على حد سواء .

وفي معرض وصف هذه المصلحة ذات الوجهين يشير ناتان أوسوبيل بحق الى أن « الادارة الذاتية كانت نافعة بشكل خاص لحكام الاسباط سواء من وجهة نظر جباية الضرائب (وفي هذا يتلخص الاهتمام المباشر للطبقات الحاكمة في الامبراطوريات - ي. ا.) أم من أجل سن قوانينهم وانظمتهم الخاصة بهم بالعنف في المحجر .. » (*) (٢٥) .

ويعتقد مؤرخون كثيرون أن الاسباط اليهودية التي استوطنت (حتى مرحلة القرون الوسطى) مختلف بلدان العالم كانت تمثل اتحادات تجارية . وهذا الاستنتاج صحيح ، حسب رأينا ، بقدر ما يتعلق ، فقط ، بطابع نشاط الزعماء الاغنياء ، الذي يحدد وجه السبط ، هؤلاء الزعماء الذين كان جميع الاعضاء المنتمين الى مختلف أنواع الفئات يخدمونهم عمليا بمقتضى التبعية الاقتصادية للسبط وانعزاله النسبي .

ونحن نستطيع في الحقيقة أن نتحدث فقط عن الانعزال النسبي جدا للجاليات اليهودية في مرحلة ما قبل القرون الوسطى (أن مخترعى الخرافة حول قدم الصهيونية كـ « فكرة العودة التي لا تقهر » استمدوا منها الحماسة ، لصياغتهم موضوعة حول نقاوة جنس اليهود ، ووحدتهم الروحية التي هي فوق « الخرافات الطبقية » ، وحول رغبة اليهود في البقاء كما هم باسم « العودة اللاحقة » الى صهيون المقدسة) .

كان هناك تياران يتصارعان في حياة الاسباط اليهودية في ذلك الوقت : التيار الطبيعي لاندماج أفراد الاسباط في الوسط المحيط ، والسياسة المتعمدة والنابعة من المصالح الطبقية لزعماء الجاليات ، والموجهة الى اكتساب طابع صارم خاص بطوائف الحرف المقفلة . وقد استمر هذا الصراع بنجاحات متبدلة حتى القرون الوسطى ، حين أدت الظروف الاجتماعية - الاقتصادية التي ولدت التعصب الديني الجامح وكذلك الاهتمام السياسي والاقتصادي للزعماء الحاكمين في الجاليات اليهودية ، الى نشوء

(*) المحاجر - احياء ، مناطق المدن التي خصصتها الطبقات الحاكمة في الدول الرأسمالية وما قبل الرأسمالية من أجل الإقامة الاجبارية لجماعات معينة من السكان حسب الجنس والمهنة والدين .

(فى وقت تاريخى قصير) جدران المحجر المنيعنة حول الاسباط اليهودية .

ويمكن إعطاء صورة عن نسبية انفلاق الاسباط اليهودية ، قبل القرون الوسطى وبطلان ادعاءات الصهاينة القائمة جزئياً على هذا « الانفلاق » مثل « نقاوة الجنس اليهودى » ، استناداً الى الامثال التالية :

يؤكد أولمستد (٢٦) انه مع الزمن توقف أفراد سبط بابل عن تداول اللغة اليهودية القديمة وانتقلوا الى اللغة الارامية .

وانقسم اليهود خارج فلسطين من حيث اللغة الى جماعتين كبيرتى العدد - جماعة تتكلم اللغة الارامية شأن اليهود فى فلسطين ذاتها ، وجماعة تتكلم اللغة اليونانية (٢٧) . وكتب سيسيل روت عن العصر الاغريقى قائلاً :

« كانت مصر فى ذلك العهد مركزاً كبيراً للحضارة اليونانية . ولم يستطع اليهود أن يتفادوا تأثير هذا العامل ، فتركوا لغتهم أبائهم وانتقلوا الى اللغة اليونانية وكانت الظاهرة العامة لذلك ابدال أسمائهم بأسماء يونانية .. وهنا وضعت باللغة اليونانية المؤلفات تقلد الكتاب المقدس ، وملحقات للكتاب المقدس تزخر بمفاهيم فلسفية محلية » (٢٨) . ويؤكد مؤلفو « تاريخ القرون الوسطى المؤلف فى كمبردج » « أن أفراد السبط اليهودى الأكثر نفوذاً فى أسبانيا ، وهم يهود قرطبة ، قد « اتخذوا لباساً ولغة وعادات العرب » (٢٩) .

أن الامثلة على ذلك كثيرة . ونعتقد أن لا ضرورة لسردها كلها .

وقد قدم فيلون الاسكندري حصة دقيقة لمرحلة استيطان الاسباط اليهودية الذى جرى قبل الميلاد . كتب يقول : « وبالرغم من أن اليهود اعتبروا حضناً أمومياً المدينة المقدسة حيث يوجد الهيكل المقدس لأكبر رب فان تلك المدن التى ولدوا فيها (أى المدن خارج فلسطين - ي.أ.) وحيث ولد آبائهم ، وأجدادهم وأجداد أجدادهم - وفى كل حالة على حدة - كانت ، حسب اعتقادهم ، وطنهم ومسقط رأسهم .. » (٣٠) وقد قيل هذا فى القرن الاول الميلادى .

أشار كارل ماركس الى أن « اليهودية بقيت لسن خلافاً للتاريخ بل بفضل التاريخ » (٣١) .

ان القوميين اليهود القصيرى النظر يعلنون بصراحة وبغير
مواربة ان ماركس لم يكن ساميا . وقد حاول ممثاى نفس الاراء
الماكرون ويحاولون ان يحولوا مفهوم ماركس عن « اليهودية »
الى عبارة « النزعة المركنتيلية التجارية البورجوازية » ، او
بالاخرى طبقة التجار البورجوازية ضمن اطار عصر الرأسمالية
الذى درسه ماركس (*) .

ويفترض أساتذة البهلوانية الكلامية ، كما يبدو ، ان تزويرهم
سيبقى خافيا .

نود ان نذكر بما كتبه كارل ماركس : « ان اليهودية ثبتت الى
جانب المسيحية ليس فقط كنقد دينى للمسيحية ، وليس فقط
كشك مجسد فى المنشأ الدينى للمسيحية ، بل وكذلك لان الروح
اليهودية - اليهودية - بقيت عمليا فى المجتمع المسيحى بالذات
وحتى انها بلغت هنا أعلى مستوى فى تطورها » (٣٢) .

ومن الطبيعى ان لا يصمد ، أى الا يختفى فقط ذلك الذى
كان موجودا حتى ذلك الحد حين نشأت قضية مواصلة الحياة او
الاندثار . وبالتالي فان مفهوم « اليهودية » (لا يعطى صورة كاملة
لعبارة طبقة المركنتيلية البورجوازية) يتعدى الحدود المؤقتة
للمجتمع الرأسمالى ويرتد الى أعماق القرون .

ان عبارة اليهودية ، النزعة المركنتيلية التجارية البورجوازية ،
مصوغة بدقة بالغة فى اللغة الألمانية الى حد يمكن بواسطته عند
الضرورة وصف نوع نشاط التجار الفينيقيين والارمن واليهود
وغيرهم فى العصر ما قبل الرأسمالى ، وصفا اجماليا . الا ان
ماركس لم يفعل ذلك . ان أحد أسباب الكراهية التى يكنها
الصهاينة لماركس يمكن تفسيره بأن مفهوم « اليهودية » الذى
استخدمه ماركس بالاضافة الى عنصر الجمع يحتوى ايضا على
وصف حسى يكشف القناع عن الاوساط القائدة فى الأسس
اليهودية بصفاتها الاكثر نموذجية فى طبقة التجار ، الحاملة
الحسية للواء « اليهودية » .

(*) ان قضية التشويه لدى ترجمة عبارة « Judentum » « اليهودية »
التي استعمالها ماركس ، الى بعض اللغات تستحق كذلك اهتمام الباحثين
الماركسيين .

كتب سيسيل روت يقول : « لا يمكن أن نتصور القضية على هذا الشكل ، وهو أن الاسـبـاط اليهودية فى أوروبا قد ظهرت كنتيجة استيطان السبـايا ، وحسب ، أن التجارة فى هذه القضية هى عامل أهم بكثير من الحرب . هذا بالرغم من أنها ، وهذا محتمل ، أقل لفتا للنظر » (٣٣) .

واخذت الجاليات اليهودية تظهر فى أوائل العصر الوسيط ، فى أكثر بلدان أوروبا . ومن الصعب شرح هذه العملية عن طريق الرواية الصهيونية حول الاضطهادات ، إذ أن الامبراطورية العثمانية ، كما هو معلوم ، التى اشتد ساعدها فى ذلك العصر احتضنت جميع أولئك الذين كان يجرى اضطهادهم فى أوروبا لأسباب دينية .

ويؤكد بن هالبيرين على سبيل المثال ، وهو باحث صهيونى أميركى : « كان اليهود - من رعايا السلطان ، فى الامبراطورية العثمانية - يتمتعون بحرية تامة سواء فى الدخول الى فلسطين أو الخروج منها . وكانوا يتنقلون بدون عقبات فى جميع أرجاء أراضى الامبراطورية الممتدة من افريقيا الشمالية حتى البلقان . وكانت السلطات الامبراطورية أكثر ترحيبا بأزاء النازحين من أوروبا المسيحية . ألا أن المهاجرين الأوروبيين والرعايا اليهود كانت تجذبهم تلك المناطق من الامبراطورية حيث الظروف الاقتصادية والسياسية أكثر ملائمة : اسطنبول ودمشق أو القاهرة ، أكثر من فلسطين » (٣٤) .

ويعتقد الكثير من المؤرخين أن التجارة فى نشاط الاوساط الحاكمة فى الاسباط اليهودية فى الظروف الخاصة لأوروبا القرون الوسطى تتخلى عن مكانها للربا .

لقد حرمت الكنيسة المسيحية فى القرن السادس الميلادى تسليف المال بالربا . وفى القرن الثانى عشر أصبحت القوانين التى تعاقب من يتعاطى الربا قاسية جدا . (لنشر الى ان الاسلام كذلك منع العمليات المالية من هذا النوع) (٣٥) . ولذلك ، كما يؤكد مؤلفو « تاريخ القرون الوسطى ، المؤلف فى كمبردج » ، « فلم يكن بوسع القوانين التى صدرت ، مهما تكن غير كاملة ، إلا أن تساعد على انتقال هذه الحرفة الى أيدي أولئك الذين لم يمنعهم الدين من مثل هذا النوع من النشاط » (التشديد منى - ي.أ.)

(٣٦) . وبكلمة أخرى الى أيدي اليهود (**) .

أن تشريع القرون الوسطى قد عرقل فى عدد كبير من البلدان دخول اليهود فى الطوائف التجارية . الأمر الذى ساعد كذلك على أن تنتقل السلطات الحاكمة فى الأسباط اليهودية الى ممارسة الربا . وكما ذكرنا من قبل كان طابع الأسباط اليهودية يحدده طابع نشاط فئاتها الحاكمة التى كان يخدمها الناس من دين واحد ، الكثيرو العدد والواقعون فى تبعية لها ، والذين لم يكن يجمعهم أى جامع بنشاط ومكائد الطبقة الحاكمة .

وجاء فى « تاريخ القرون الوسطى المؤلف فى كمبردج » أنه « كان بوسع المالىين أن يصبحوا زعماء للأسباط . إلا أنهم كانوا يشكلون أقلية لا تذكر . وكان يحيط بهم عدد كبير من المرعوسين المرتبطين بهم مباشرة أو غير مباشرة ورجال الدين الذين ساعدوهم فى الأعمال ، والحاخامات الذين يصلون لربهم ، والكتبة الذين كانوا ينسخون وثائقهم التجارية ، وكذلك المؤلفات الأدبية والدينية ، والأساتذة الذين كانوا يعلمون الأولاد ، والأطباء الذين كانوا يسهرون على المرضى ، والخدم الذين يقومون بشؤون البيت ، واللحامون والخبازون الذين كانوا يعدون الطعام طبقا لمتطلبات الطقوس .. » (٣٧) .

وكان التكوين الاجتماعى — الاقتصادى فى بلدان أوروبا الاقطاعية الذى حدد المستوى العالى لمجالات نشاط وأنفلاق الجماعات الاجتماعية داخل كل طبقة (دون التطرق الى الطبقات بشكل عام) ، السبب الرئيسى لانعزال الأسباط اليهودية الشديد وظهور جدران المحاجر المنيعه حولها .

وتجدر الإشارة الى أن الاقليات المالية الحاكمة فى هذه الأسباط لم تعرقل قيام مثل هذا النوع من الانعزال الاقتصادى والاجتماعى والجسدى البحت ، إذ أن الانعزال كان يعنى « صيانة الدين اليهودى وكل ما كان يشمله » (٣٨) — (التشديد منى — ي.أ.) . وكما يزعم ه . م . ساشار الباحث الصهيونى

«*» التقى يجب ماله أكثر من جسده » ، « دع المال دائما قيد التداول »

استشهاد عن Sota Xiia, Baba Meyia. 42a (A. Leon The Jewish question Mexico, 1950, p. 33)

الانجليزى « اقيمت المحاجر الاسبانية والصقلية فى اوائل القرون الوسطى بناء على طلب اليهود انفسهم . . » (٣٩) وكتب ا. ليلنتال، الباحث الصحفى الاميركى استنادا الى سالف بارزون : « . . اصر الحاخامات على الانفصال لأسباب سياسية ودينية ولذا فان القوانين الاساسية التى تنظم حياة المحجر قد اتخذت فى البرتغال بطلب من اليهود المقيمين فيها » .

وكانت الاسباط اليهودية فى انجلترا وفرنسا والمانيا وفى عدد من الدول الاوربية الاخرى تتمتع بحماية العائلات المالكة . وكان الملوك لهم مصلحة فى وجودها ونشاطها اذ ان الضرائب المجبية من الاسباط كانت تصل مباشرة الى خزينة الملك . وقد جاء فى « تاريخ القرون الوسطى المؤلف فى كمبردج » أن «مجموع الضرائب المجبية من اليهود فى البلدان الشمالية كان يشكل ، تقريبا ، زهاء واحد من ١٢ من مجموع دخول الملوك » (٤٠) .

وتجدر الاشارة الى أن الاضطهادات الدينية ازاء اليهود فى القرون الوسطى كانت تقوم فى أساسها على أسباب اقتصادية . وبهذا الصدد اشار ت . غايلكمان ، أحد واضعى الموسوعة السوفياتية الكبرى قائلا : « كانت السلطة الملكية ، دون أن تكتفى بالاموال الطائلة المبتزة من اليهود ، تتصرف أيضا بصك الديون الموقعة باسمهم . وهكذا فان ممتلكات أكبر صيرفى يهودى وهو هارون لنكولن فى نهاية حكم هنرى الثانى ، الذى كان الملك مدينا له بـ ١٠٠ ألف ليرة استرلينية ، تحولت الى ملك لخرينة الملك مع السندات الموقعة باسمه ، وقطع الاراضى التابعة له . وكانت مواقف الطبقات الحاكمة ازاء اليهود قد تجلت بصورة ساطعة فى المذبحة التى جرت قبيل الحملة الصليبية الثالثة ، فى عام ١١٩٠ ، حين أحرق النبلاء الانجليز المدينون للمرايين اليهود صكوك الديون المتوجبة لليهود » (٤١) .

ويضيف ت . غايلكمان قائلا : « أن المزاخمة بين اللومبارديين خلال القرن الثالث عشر قد ازالَت الحاجة الى الرساميل اليهودية . . وحتى نهاية القرن أخذت تتضاعف أعمال الكنيسة ضد اليهود وفى عام ١٢٩٠ طرد جميع اليهود من انجلترا بأمر من ادوار الاول » (٤٢) .

وبالرغم من الاضطهادات التى تعرض لها الاسباط اليهودية

في البرتغال واسبانيا وانجلترا وبعض البلدان الاخرى فان طرق نزوحها كانت في القرون الوسطى كذلك مخيبة للآمال بالنسبة للصهاينة . واذا كان وادي الفرات في القرنين الثامن والتاسع ، كما كتب سيسيل روت ، مركزا للديانة اليهودية . فان بولونيا أصبحت ذلك المركز في القرن السادس عشر (٤٣)

وقد حاول الصهاينة الذين كانوا يعرفون كل هذه الوقائع (وخاصة حين يجرى الحديث عن القرون الوسطى) ان يتدخلوا في الدائرة التي يسعى لطردهم منها حتى يومنا الراهن الحاخامات - المتشددون الذين لا يزالون موجودين في بعض البلدان ، ومنها اسرائيل . واذا وجد الصهاينة أنفسهم ان ليس بإمكانهم ان ينامروا ازاء القرون الوسطى بحجج كـ « سبي يابل » او « هدم الهيكل الثانية من قبل الرومان » ، تعلقوا بفكرة الخلاص - فكرة « قدوم المسيح واجتماع شمل المشردين » ، زاعمين ان هذه الفكرة تشكل ، من ناحية ، « تعبيرا عن الروح القومية لدى اليهود » ، ومن ناحية اخرى « تأكيداً على استعدادهم الحي ابدأ للعودة الى فلسطين » .

الا ان اللاهوتي منسى بن اسرائيل (١٦٠٦ - ١٦٥٧) يضم الصهاينة ، هنا ، في موضع حرج . واذا كان يضع نصب عينيه ، بالضبط ، فكرة قدوم المسيح ، فقد التمس من كرمويل السماح للاسباط اليهودية بالاستيطان في انجلترا . وكان مجرى استدلالاته بالشكل التالي تقريبا : لا مسيح . ان الله وحده يعرف متى سيظهر ، الا انه جاء في الكتاب المقدس انه يجب ان يسبق عودة اليهود الى « الارض المقدسة » تشتتهم الكامل الذي لا يمكن اعتباره تاما بما ان اليهود لا يعيشون في انجلترا (٤٤) . وقد استؤنف اسكان اليهود هناك من جديد .

ان فكرة قدوم المسيح التي اقتبستها الديانة المسيحية والاسلام من اليهودية (كما اقتبست اليهودية في حينه : المفاهيم الرئيسية من الزرداشتية) (*) قد أعلنت كما أثبت ذلك مبراراً ، بغية دوام المجتمع الطبقي ونظام الاستثمار وذلك لجerman المستثمرين الثقة بإمكانية النضال من أجل مستقبل أفضل . ويحاول الصهاينة ان يصوروا فكرة قدوم المسيح كرمز

(*) دين سكان ايران القدماء .

لتعلق اليهود الفكرى والمادى بفلسطين ، واطهار لـ « حنينهم الدائم » .

ان الانفعالات العاطفية ، وخاصة حين يتعلق الامر بملايين الناس الذين يعيشون في مختلف القارات والذين يتكلمون بلغات مختلفة ، والذين يتعرضون لمختلف انواع التأثيرات - هي ميدان لا نرغب الدخول فيه بوقاحة الصهاينة ، والاكثر من ذلك الادلاء بأقوال قطعية .

أما فيما يختص بالتعلق المادى بفلسطين فقد كان موجودا كما تدل على ذلك الوقائع في شكل مخطط للعزم شيئا ما (بالنسبة للصهاينة) : كانت القوانين تتطلب من أجل القيام بعدد من العمليات المالية ، ان يملك كل يهودى قطعة أرض . وبهذا الصدد ((أصدر رجال الدين اليهود لأول مرة في بابل مرسوما يستطيع بموجبيه كل يهودى أن يعلن عن امتلاكه أربعة فدادين وهمية في فلسطين)) (٤٥) . والاحداث اللاحقة المرتبطة بـ « سبى بابل » معروفة بالنسبة الينا .

وقد اشار سـالو بارون بحق الى أنه « في مراحل التوتر ازدادت الدعوات عن مجيء المسيح .. وفي الاوقات الاكثر هدوءا، لم يستعجلوا المسيح ، حتى أن كثيرين ، كما يبدو ، بدأوا يشكون في ضرورة فكرة الخلاص للحفاظ على الدين اليهودى » (٤٦) .
لنتح للصهاينة في هذا المجال امكانية مواصلة المناظرة مع الحاخامات المتشددين وسالو و . بارون .

أخذت الاسباط اليهودية ، لخيبة أمل انصار نظريات التعلق الازلى بفلسطين ، تنزح الى روسيا من بولونيا . وحسب شهادة هايمسن (٤٧) كان السكان اليهود في فلسطين يشكلون قبيل عام ١٧٧٠ ، من بين ملايين اليهود الذين سكنوا مختلف بلدان العالم ، خمسة الاف فقط في الوقت الذى كان فيه عدد السكان من أصل يهودى في روسيا وحدها أكثر بمرات عديدة .

وقد عرضت القيصرية في روسيا اليهود المعدمين بالاضافة الى الفئات القومية والشعوب الاخرى للاضطهاد والاستثمار الوحشي . وأقامت السلطات القيصرية لهم ما يسمى بـ « حدود الاقامة » التى لخصت . غايلكمان تاريخ نشوئهما .

كتب المؤلف يقول : « اشتكى التجار الموسكوبيون في عريضتهم

من أن اليهود « يمارسون بيع البضائع الأجنبية التي جلبوها معهم من الخارج بالفرق مع تخفيض أسعارها بالنسبة للأسعار الحقيقية ، وبذلك يلحقون بالتجارة العامة هنا ضرراً فادحاً للغاية إلى جانب البلبلة . وهذا البيع الرخيص للبضائع ضد جميع التجار الروس يدل بجلاء على أن هذه البضائع مهربة لاتخضع للرسوم الجمركية » . وأضاف ت . غايكمان « أن التجار الموسكويين لا يرون أن من الضروري الاختباء بورقة تبين الدفاع عن الدين . بل هم على العكس يشيرون إلى أنهم « لا يطلبون مطلقاً منع اليهود من ممارسة التجارة ونفى الدين سبق وأقاموا ، وطرد الذين تسجلوا سرا في سجل تجار موسكو بسبب أي كراهية أو ازدراء بسبب الدين . بل بسبب الضرر المادي الكبير » . ويضيف المؤلف « وقد استجابت كاترين الثانية لهذا المطلب واعترفت بأن « اليهود يحق لهم أن يتسجلوا في جمعية التجار ضمن بيلوروسيا ومنطقة ايكاتيرينوسلاف وولاية تافريا فقط . وبهذا القانون (١٧٩٦) أقيم ما يسمى بالحدود الحضرية اليهودية » (٤٨) .

والتاريخ يعرف أنه بعد زمن قصير تجاوز الطواغيت أمثال آل بولياكوف وغينتزيورغ وغيرهم حاجز ال « حدود الحضرية » واستأجروا دوراً فخمة في موسكو وبطرسبرج في الوقت الذي بقي فيه ، في الجانب الآخر من « الحدود » ، عشرات الألوف ، وفيما بعد مئات الألوف من العمال اليهود يعيشون في فقر وظلم .

ولابد لنا هنا من العودة قليلاً إلى الوراء . أن الزعم ، حسب اعتقادنا ، بأن شعباً أو قوماً ، أو جماعة قومية « قد تعذب أكثر من أي كان على الأرض خلال تاريخ الإنسانية بأسره » لا يعني تشويه وقائع الماضي عمداً ، أشباعاً لمطامع القومية الخسيسية ، وحسب ، بل الوقوف عن وعى إلى جانب العنصرية ، الموهمة ، وتغذية الكراهية السافرة أو المستترة أزاء الجميع وأزاء كل شيء ، وزرع الشقاق .

وقد اختار الزعماء الصهاينة بجهد دائم هذه الطريق بالضبط في محاولة منهم ، لصالح المستثمرين ، لكي يرصوا حول راية الكتاب المقدس « الأمة التي عاقبها الله ، ولكن المختارة من الله » كبار أصحاب الملايين من آل بولياكوف وأوبنهيهر وروتشيلد

والعمال اليهود والحرفيين ومواجهة العمال اليهود بعمال غير يهود . وفي اعتقاد الصهاينة ان عصر ال « الحدود الحضرية » ان هو الا موضوع مضاربة وقحة على حساب آلام العمال اليهود (التي يمكن ان نسميها : حقا صعبة للغاية في بعض مراحل التاريخ وفي نطاق بعض البلدان) ، و « ذريعة » لاثبات ان « آلام الشعب اليهودي العالمي خلال جميع الازمان لا يمكن مقارنتها بآلام اى شعب » .

من المعروف ان تاريخ الحروب والصراع في المجتمع المقسم الى طبقات متناحرة ، مشحون بالاعمال الوحشية . وفي ذاكرة كل شعب سلسلة من الاحداث المرتبطة بالعنف ، وبأعمال التنكيل والاضطهاد والوحشية الدموية ، وبفقر الجماهير وحرمانها . ولذلك فان امتهان الصهاينة للنواح يثير انطبعا ضعيفا لدى أولئك الذين يعرفون ويذكرون أحداثا تاريخية كحادثة « سمل عيون البلفار » و « الخوزقة » أو نقل ملايين الافريقيين الى أميركا في عنابر السفن التي كان من بين أصحابها أسلاف الصهاينة من الوجهة الطبقية - أى التجار وأصحاب البنوك اليهود . وكانت مصائر العمال اليهود مرثية بقدر ما كانت مرثية مصائر الشعوب التي عاشوا بينها والتي أصبحوا أكثر فأكثر يشكلون جزءا منها في العمل المشترك والنضال ضد المظهدين .

وليست أساطير الصهاينة وانما وضع الاشياء الواقعى هو الذى أتاح الامكانية لليونارد شتاين ، الذى وصف السنوات التي سبقت مباشرة ظهور الصهيونية ، لكى يعلن ان فلسطين بالنسبة للاكثرية الساحقة من اليهود قد « كفت عن أن تكون منذ زمن بعيد فلسطين الواقع . لقد كانوا يعرفون القليل أو لا يعرفون شيئا عن موقعها الجغرافى أو كيانها الطبيعى . ولم يكونوا مرتبطين بهذا البلد بأواصر التعلق الخاص ، ولم تلازمهم رؤى مناظره . . . وبقي جمع شمل النازحين بالنسبة لهم جمع شملهم بكل معنى الكلمة . الا أن هذا ليس من عمل الانسان - ان الله هو الذى يقوم بذلك في مستقبل لا يدرك بالبصر ، حين يأتى المسيح » (٤٩) .

وبكلمة أخرى كرر ل . شتاين بعد ١٨ قرنا ما كان قد زعمه فيلون الاسكندري ، وكان من الصعب الا يكرر ذلك : فوقائم التاريخ دامغة .

ان انهيار النظام الاقطاعى ، وتطور الرأسمالية العاصف ، ونمو طبقة البروليتاريين فى أوروبا ، والثورة البورجوازية الفرنسية ، ان كل هذه الخضات الجبارة والتقدم فى مصائر شعوب العالم كله كانت ذات قوة مؤثرة لم تأخذها بالحسبان أسوار المحاجر اليهودية فى القرون الوسطى .

كتب هاورد ساشر يقول « ان الاسباط اليهودية » فى تلك المرحلة ، « بالرغم من ان اكثريتها قد استطاعت الاحتفاظ بسلامة أنظمتها الداخلية : الدين ، والتعليم ، والمحاكم ، وجدت نفسها مع ذلك على حافة الافلاس والصراع الطبقي المكشوف » (٥٠)

(التشديد منى - ي . ا .) .

وفى عصر الرأسمالية انهارت أسوار المحاجر اليهودية ، الامر الذى أتاح حرية سير عملية تمثيل اليهود النشيط بين شعوب البلدان التى عاشوا فيها ، هذه العملية التى توقفت لمرحلة قصيرة نسبيا فى القرون الوسطى .

كتب فلاديمير ايليتش لينين يقول : « ان انهيار القرون الوسطى وتطور الحريات السياسية سارا فى أوروبا كلها جنبا الى جنب مع تحرر اليهود السياسى وانتقالهم من الرطانة الى لغة ذلك الشعب الذى يعيشون بين ظهرائه ، وبشكل عام مع التقدم الثابت لاندماج اليهود بالسكان المحيطين بهم » (٥١)

وفى معرض وصفه لهذه المرحلة أشار ل . شتاين فى كتابه « الصهيونية » الى « أن اليهود المنعقلين فى الغرب لم يعودوا يستطيعون أن يعتبروا أنفسهم نازحين يعيشون فى عالم منفرد . لقد كانوا مرتبطين ارتباطا لا انفصام له بالبلدان التى ولدوا فيها والتى ربطهم بها ليس التعلق السياسى وحسب ، بل المصالح الحميمة والعواطف . . ولم يعودوا يعتبرون يهودا فقط ، فهم شأن الانجليز والفرنسيين والالمان وغيرهم ساروا بطرقهم المختلفة . ولم تعد ترضيهم مذاهب العالم القديم حول « النفى والانهيار » ، التى كانت تنبع من فكرة عن اليهود . عن شتات شعب لا مأوى له » (٥٢)

ان عملية التحرر العاصفة التي أشار اليها فلاديمير ايڤيتش لينين ، حطمت في طريقها جميع الحواجز ، وبدأ يتزعزع أيضا السند الرئيسي لأصحاب البنوك وأصحاب العامل والتجار اليهود، الا وهو اليهودية .

وفي المؤتمر الوطني العام لمثلئ الكنيس اليهودي الذي أدخل عليه الاصلاح والذي جرى في بيتسبورج عام ١٨٨٥ أعلن المندوبون بالاجماع : « نحن لانتظر العودة الى فلسطين . . ان اميركا هي صهيوننا » (٥٣) .

وقبل ذلك ، أي في عام ١٨١٨ أوصى الحاخام اسراييل ياكوبسن في همبورج باستعمال الارغن في الكنيس ، وأداء الاغاني بالالمانية (٥٤) . وقد سبق ذلك حذف كل ما يذكر بصهيون من جميع الصلوات . وأعلن أحد زعماء اليهودية في المانيا قائلا : « شتوتجارت هي اورشليمنا ! » (٥٥)

ان استقطاب القوى في الاسباط اليهودية التي انهارت تحت ضربات أحداث العصر الجديد ، سار بوثائب سريعة .

وكان العمال اليهود بين الـ ١٥ ألف ثائر الذين نفتهم السلطات الفرنسية دون محاكمة وتحقيق بعد ثورة ١٨٤٨ . وفي ذلك الوقت كان « الروتشيلديون والباثلمانيون يقدمون قروضا الى بابا روما ، والى الجنرال لويس كافينياك في فرنسا ، قامع ثورة ١٨٤٨ ، والى مترنيخ في النمسا . . » (٥٦)

« أننا (العمال اليهود - ي.ا.) نندمج في جيش الاشتراكية . . » (٥٧) - ان هذا النداء قد دوى في احتفالات أول مايو ١٨٩٢ . ولم يكن هذا مجرد كلام : فلقد نما اشتراك العمال اليهود في الحركات الاضرابية لعمال أوروبا وأميركا بدون انقطاع . وفي الوقت نفسه كان الرأسمالي اليهودي يدعو الى مساعدة البوليس لقمع الاضرابات كما هرع لمساعدته الحاخام أيضا من على المنبر ضد « المشاغبين » .

وقدم جوراتسي غينتسبورج ، ابن « ملك » الحانات في روسيا ايفزل غينتسبورج ، وأحد أصحاب مناجم الذهب في لينا ، الى عائلة القيصر الهدايا دلالة امتنان لاعداء « المتمردين » ، أما العمال اليهود في الـ « حدود الحضرية » فقد أضرَبوا تضامنا مع عمال لينا .

وقد أشار ف . ا . لينين محلا نضال عمال روسيا ضد نير

الحكم القيصري الى أن « حركة اليهود للتحرر كانت أكثر عمقا واتساعا في روسيا بفضل استيقاظ الوعي الذاتي البطولي في اوساط البروليتاريا اليهودية . . » (٥٨)



يكفى ما سبق لتفسير رغبة الصهاينة في التستر بثياب القدم .
الا أن الاستنتاجات حول الاسباب التي حملتهم على وضع الخرافة عن قدم الصهيونية ظهرت غير كاملة ، دون أن تتطرق الى أحداث أخرى لا تقل أهمية وتتعلق مباشرة بالقضية .

قبل المحاولات الاولى التي قام بها تيودور هرزل واضرا به بوقت طويل للعمل لفكرة « تأسيس الدولة اليهودية » برز آخرون ، وكما يقال ، صهاينه حقيقيون تعود لهم (في الواقع) الأولوية ليس في طرح هذه الفكرة وحسب ، بل في وضع خطط حسية لاستعمار مختلف مناطق العالم حيث يشكل اليهود تلك القوة الحيوية التي عليها ان تتحمل أولى مصائب النازحين الجدد القاسية . وقد حاول هؤلاء الصهاينة - غير اليهود الترويج لـ « ضرورة » من هذا النوع ، وبحشوا في اوساط اليهود عن شخصيات ذات نفوذ كاف بوسعها أن تضيف على فكرة استيطان وتمركز الذين من اصل يهودي الطابع « القومي » .

وكان زعماء الاوساط الحاكمة في الامبراطوريات الاستعمارية ، الصهاينة الاول .

« باذن وتحت حماية الشركة الهولندية « وست - اينديا » منحت الاراضي المزروعة في جزيرة كوراساو ، في عام ١٦٥٢ ، الى جوزف نيونيز دا فونسكييه وآخرين بغية انشاء مستعمره يهودية فيها . الا أن المحاولة لم تكلل بالنجاح » (٥٩) .

وفي عام ١٦٥٤ شاعت انجلترا أن تسكن اليهود في مستعمرتها سورينام ، وفرنسا في كايان .

وفي عام ١٧٩٩ قام نابليون بوناپرت ، لأغراضه الاستراتيجية ، بالمحاولة الجديدة الاولى لاستعمار فلسطين عن طريق اسكان اليهود فيها ، ألا أن هذه المحاولة بلغت بالفشل ، كسابقاتها .

كتب المؤرخ الصهيوني ناحوم سوكلوف ، وهو يعلق على ذلك بأسف : « بما أن الحملة كلها قد فشلت (حملة نابليون من مصر على سوريا - ي . ا .) فان الرأي العام اليهودي قد انقسم هو أيضا . وليس ذلك فيما يتعلق بالمبدأ ، بل فيما يتعلق بالامكانية الحالية والوسائل » (٦٠) .

وقبل دعوة نابليون لاستعمار فلسطين بقليل نشرت في فرنسا رسالة مفصلة ، كتبها ، كما يزعم ، أحد أعضاء السبط اليهودي الى صديق له : « انى اقترح باذن من فرنسا - احتلال البلاد التى تشمل مصر السفلى ، وكذلك المنطقة التى تمتد حدودها من **بتوميلي** حتى بحيرة **أوسيفالتو** أو البحر الميت ، من الطرف الجنوبى لهذه البحيرة حتى البحر الاحمر » .

وذكر كاتب الرسالة الذى لم يذكر اسمه ، الاسباب التالية لاحتلال هذه الاراضى فزعم انه « بعد أن نحتل موقعا يشسكل أنسب المواقع فى العالم نصبح ، بفضل البحر الاحمر ، ملوك التجارة مع الهند والجزيرة العربية وأفريقيا الجنوبية والشرقية والحبشة وهى أغنى البلدان التى زودت الملك سليمان بكميات كبيرة من الذهب والعاج والحجارة الكريمة . . » (٦١) واقترح فى الرسالة طبعاً اقتسام هذه الثروات كلها مع فرنسا .

ويعترف ن . سوكلوف نفسه بأن الرسالة قد نشرت « بناء على نصيحة أولئك الذين كانوا فى ذلك الوقت فى الحكم فى فرنسا » (٦٢) .

ولكن اذا كان بالامكان تسمية محاولات المستعمرين الفرنسيين لاستغلال اليهود لأغراضهم فى الشرق الأدنى بأنها حادثة تاريخية فقط ، فينبغى أن ننظر الى جهود الاوساط الحاكمة فى انجلترا فى هذا الاتجاه بأنها ليست سوى تنفيذ دائب لخطوة وضعت باحكام .

وفى عام ١٨٤٠ درست الدول الاستعمارية الاوروبية الكبيرة ، المتصارعة من أجل النفوذ فى الامبراطورية العثمانية المريضة قضية مستقبل سورية المحتلة من قبل الجيوش المصرية . فكتبت « تايمس » اللندنية فى ١٧ أغسطس ١٨٤٠ مقالا بعنوان « سوريا ونهضة اليهود » جاء فيه :

« ان اقتراح اسكان اليهود (مثل هذا الاقتراح ، كما هو

معروف ، لم يتقدم به أحد - ي . ا .) في وطن آبائهم وتوطينهم هناك تحت حماية خمس دول لم يعيد يشكل قضية موضع مناقشة ، بل أصبح بالاحرى مادة لمناقشة جديدة .

ولئن كانت الـ « تايمس » الجريدة الانجليزية شبه الرسمية، قد اضطرت أن تتحدث بلغة دبلوماسية وتشير الى انها مهتمة كذلك بالمستعمرين الآخرين ، فان الاوساط الأخرى في انجلترا لم تجد أنه من الضروري في هذه القضية اخفاء آرائها ورغباتها الحقيقية .

وكتب الشخصية السياسية الانجليزية البارزة شافتسبوري في رسالة الى وزير خارجية انجلترا بالمرستون يقول انه من الضروري تحويل سورية الى دومينيون انجليزي . وأشار الى أن ذلك يتطلب رأسمالا ويذا عامة أما « الرأسمال فهو بطبيعته يرسل دائما بدون رغبة كبيرة الى كل بلد لا تكون فيه الممتلكات والحياة في أمن » . واقترح شافتسبوري في ختام رسالته « لو اننا أمعنا التفكير في قضية عودة اليهود على ضوء اقامة أو استعمار فلسطين لاكتشفنا أن ذلك هو أرخص وأضمن طريق لتزويد هذه المنطقة القليلة السكان بكل ما هو ضروري » (٦٢) .

ان صراع الدول الاستعمارية على النفوذ في الشرقين الأدنى والاوسط في المرحلة التي سبقت بناء قناة السويس وبعد انتهاء بنائها ، كان عنيفا للغاية . وقد كتب الدكتور ادوارد روبنسون في معرض وصفه للصراع العنيد بين الدول الاستعمارية في هذه المنطقة من العالم « ان فرنسا تعتبر منذ زمن بعيد حامية الكاثوليك .. وكانت روسيا تجد دائما في شخص الارثوذكس حلفاء يوثق بهم .. ولكن في شخص من تستطيع انجلترا أن تجد لها حلفاء في هذا الجزء أو ذاك من الامبراطورية التركية ؟ » (٦٤) . وقد حاولت انجلترا أن تضمن لنفسها دعم اليهود الشرقيين (واتخذت في هذه المرحلة قانونا حول الوصاية عليهم) واقناع اليهود الاوروبيين بضرورة الاستيطان (تحت رعايتها) في فلسطين .

وفي ٢٥ يناير ١٨٥٣ أعان في البرلمان البريطاني العقيد جيورج هاولر الحاكم العام السابق لجنوبي أستراليا ، وبالتالي موظف استعماري محنك : « ان العناية الالهية وضعت سورية

ومصر في طريق انجلترا نحو المناطق الالهة في تجارتها الاستعمارية الخارجية ، الهند والصين والارخبيل الهندي واوستراليا . . ان الاصبع الالهى يشير الى انجلترا . أن تفعل بقوة لخلق ظروف ملائمة في كل من هذين البلدين . . ويد انجلترا يجب ان تجدد سورية بواسطة الشعب الملائم لهذه المهمة ، والذي يمكن أن تستخدم طاقته دائما وبصورة فعالة ، اى بواسطة الابناء الحقيقيين لهذه الارض ، ابناء اسرائيل « (٦٥) .

وهنا تجدر الإشارة الى أن الدكتور ن. أدلر - الحاخام الأكبر في بريطانيا العظمى ، قاوم في رسالته عام ١٨٥٤ الدعوات المشابهة للمستعمرين البريطانيين ، فكتب أن مصائر اليهود في يد الاله الذى أمر بأن « لا يستغاث به ، وأن لا يثار حبه حتى تلك الساعة التى يختارها هو نفسه » (٦٦) .

ولكن مع الزمن ازداد عدد الذين يرغبون في ايقاظ يهود المتهاون . ففي عام ١٨٦٦ اقترح هنرى دونانت مؤسس جمعية الصليب الاحمر الدولية انشاء جمعية الشرق الدولية بغية تطوير فلسطين « باشتراك شعب اسرائيل » . وأشار دونانت الى أن « الناس ذوى النفوذ في فرنسا وانجلترا وغيرهما من البلدان يقفون من هذا المشروع موقف الرضا » (٦٧) .

الا أن مثل هذا النوع من « الملكية الجماعية » لم يكن يرضى الانجليز بأى شكل كان . وفي اواخر حياته ، أشار الشخصية السياسية الانجليزية شافتسبورى ، الذى سبق ذكره ، فى الصحافة الى أن « سورية بعد تحويلها ستصبح على الاغلب بلدا تجاريا ، ومن هم على الاغلب تجار في العالم ؟ ترى هل يوجد مكان آخر أكثر خصبا ، وميدان ملائم ، حيث يمكن لليهودى أن يظهر مؤهلاته ؟ وهل ياترى لا توجد لدى انجلترا مصالحها الخاصة بها من أجل تحقيق الاصلاح الضرورى ؟ ان انجلترا ستصاب بضربة اذا ما استولى أحد من خصومها على سورية »

ومن الصعب الافتراض بأن القس المحترم جيمس نيل ، مواطن شافتسبورى كان يعرف أن الله وحده بواسطة المسيح المخلص « يجب ان يجمع شمل جميع اليهود في ظلال جبل صهيون المقدس » بموجب قوانين اليهودية . الا ان هذا الواقع ، لم يربكه ، مع ذلك .

فقد كتب في عام ١٨٧٧ في كتابه « الهجرة الى فلسطين او جمع شمل اسرائيل » مدركا مصالح الاوساط الحاكمة في انجلترا « العجوز الطيبة » انه « من الصعب أن يستطيع الانجليز استعمار فلسطين بمثل النجاح في اميركا الشمالية بسبب الحر . والمعصاع النى يخلقها العرب ، وعدم وجود حماية فعالة وغير ذلك الكثير » . ولذلك فقد اقترح استخدام اليهود لهذا الغرض .

ويشهد رئيس وزراء انجلترا هربرت اسكوين في مفكرته تقريبا على مثل هذا « المنطق » لخلفه لويد جورج ، فكتب بصدد بحث احدى الخطط العديدة للاستيلاء على فلسطين : « انه لمن الغريب ان يكون لويد جورج واحدا آخر من المدافعين عن الاقتراح . ولست ملزما بأن أقول انه ليس بحاجة أبدا لا الى اليهود ولا الى ماضيهم . ولا مستقبلهم ، ومع ذلك فهو يعتقد أن انتقال الاماكن المقدسة الى وصاية فرنسا . . « الملحدة » يمكن أن يكون كارثة » (٦٨) .

وفي السبعينات من القرن التاسع عشر تشكلت في انجلترا « الشركة الاستعمارية السورية - الفلسطينية » التي ترمى الى « ضمان استعمار سورية وفلسطين والبلدان المجاورة من قبل أشخاص ملائمين من المسيحيين واليهود على حد سواء » (٦٩) . ولم يبق للصهيونية ، كما يقال ، سوى أن تظهر ، والا « اضطرت بريطانيا لابتداعها » حسب تصريح ماكس نورداو ، الزعيم الصهيوني في أوائل القرن العشرين (٧٠) .

وفي عام ١٨٩٧ ، كما ذكرنا ، تأسست المنظمة الصهيونية العالمية . وفي عام ١٩٠٢ نشأت الشركة المساهمة الصهيونية العالمية - التروست الاستعماري اليهودي ، الذي يشكل اداة مالية للحركة الصهيونية في تحقيق الهدف الرئيسي ، وهو « التطوير الصناعي والتجاري لفلسطين والبلدان المجاورة » (٧١) .

كتب ناحوم سوكولوف معلقا على هذه الاحداث : « ان جميع انتصارات بريطانيا ، الكبيرة ، في مكتسباتها السلمية (١) ابتداء من انشاء **صناديق الارصدة** أو التروست ، كانت مثالا للصهاينة . وسيسيل روت الذي بدأ من **مليون** ليرة استرلينية أسس روديسيا التي تبلغ مساحتها ٧٥٠ الف ميل مربع . وكانت الشركة البريطانية لفتح بورنيو الشمالية تملك رأسمالا قدره ٨٠٠ الف ليرة استرلينية ، وهي اليوم تسيطر على اراض مساحتها ٣١

الف ميل مربع . والشركة البريطانية - الافريقية الشرقية التى كانت تملك ٢٠٠ ألف ميل مربع بدأت نشاطها بنفس المبلغ من المال شأن التروست الاستعماري اليهودي ، وهو ٢٥٠ ألف ليرة استرلينية » (٧٢) .

وفي البدء صدرت أسهم التروست الاستعماري اليهودي بمبلغ مليوني ليرة استرلينية . وأثارت المبادرة الاستعمارية الصهيونية من حولها ضجة غير قليلة . وسعى زعماء الصهاينة بكل الوسائل الى اظهار الشركة التى انشأوها كأنها ملكية ووليد « يهودي قومي عام » . الا أن ذلك كان ثرثرة صريحة تعتمد على السدج .

وعلى ضوء أقوال ن . سو كولوف الصريحة يتضح جيدا ان الصهيونية لم تنشأ كحركة وأكثر من ذلك كحركة شعبية ، وانما كمؤسسة رأسمالية ، وكان الشركاء في هذا الاتحاد هم رجال الاعمال الكبار في بلدان عديدة والجوالين التجاريين - الزعماء الصهاينة . وتكونت الصهيونية تنظيما كمؤسسة استعمارية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاوساط الامبريالية ، يدرس حاجاتها اتحاد الصهاينة العالمى .

وقد أتاح مثل هذا الوضع الامكانية لـ « البارون » ادمون روتشيلد لكى يصرح قبل الحرب العالمية الاولى بمدة قصيرة : « ما كان الصهاينة استطاعوا أن يتقدموا خطوة واحدة من دونى ، وما كان لاعمالي من دون الصهاينة قيمة »

لقد نشأت الصهيونية كظاهرة غريبة ليس بالنسبة للعمال اليهود الذين ناضلوا مع الطبقة العاملة في بلدانهم من أجل مستقبل أفضل وحسب ، بل كذلك بالنسبة للاكثرية الساحقة من الناس من أصل يهودي الذين عاشوا في مختلف أنحاء الكرة الارضية . وهذا الوضع بالذات قد أتاح لليونارد شتاين أن يزعم : « كانت الصهيونية بالنسبة لليهودي المتحرر ، والذي كان يتمنى أقل من أى شيء آخر . أن ينظروا اليه باهتمام متزايد ، الولد الرهيب . وكانت الصهيونية ، بالنسبة للاصلاحى الذى لم يكن يرى فيها مصدرا للمشاكل وحسب بل خطرا على القيم الروحية التى حافظ عليها باخلاص ، غير مرغوبة . أما بالنسبة للمتشددين المتطرف ، اذا ما نظرنا الى الطرف الآخر من السلم فان الصهيونية كانت تشكل

لا أكثر من مدنس للإيمان يسعى بتصنع الى دفع يد القادر على كل شيء » .

ومع ذلك فقد نشأت الصهيونية . فما هي الاسباب الرئيسية لذلك ؟ فلنحاول بتلخيصنا كل ما كتب عن ذلك ، أن نحدد لها باختصار :

١ - ان التناقضات بين انجلترا وفرنسا ، وفيما بعد المانيا التي نوطدت ، في منطقة الشرق الادنى الذي كان لا يزال في اطار الامبراطورية العثمانية العجوز ، والصراع من أجل تقسيمها النهائي أرغمت كلا من الدول الاستعمارية (التي كانت تعتقد أن ذلك لم يعد زمن الاغتصابات الاستعمارية الباطلة ، وانما تخوم القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، حين يهدد كل « مكسب استعماري » جديد باثارة تدابير عسكرية معاكسة واسعة من قبل الخصوم) ، على البحث عن ذرائع ملائمة لتوسيع مواقع نفوذها .

أن فكرة هجرة اليهود الى فلسطين (وكما سنرى فيما بعد الى أى بلد من البلدان يشكل مصلحة مباشرة) والتي تنفر منها الاوساط الحاكمة الانجليزية ، تبدو أفضل صيغة للاستعمار الملائم » . (وكان بسمارك أيضا ، الذي خطط لاسكان اليهود على طول الخط الحديدي برلين - بغداد يعتزم استثمار هذه الفكرة) . ولتحقيق مثل هذا النوع من المشاريع كان لابد ، مع ذلك من موارد بشرية ، سعت انجلترا بوجه خاص لتأمينها عبثا خلال سنوات طويلة

وبالتالى كانت هناك مصلحة محسوسة لدى الامبرياليين في بريطانيا وفرنسا ومانيا في تأييد القوى التي أخذت على نفسها دور المنفذ العملى في تحقيق المؤسسة ذات النفع المتبادل : استعمار فلسطين أو ، كما خطط بسمارك ، استعمار مختلف اجزاء الامبراطورية العثمانية .

٢ - اشتداد الصراع الطبقي على اعتاب القرن العشرين وضع الامبريالية أمام ضرورة توطيد ودعم جميع القوى التي تحارب بهذا الشكل أو ذاك ، الحركة البروليتارية الاممية والتضامن الطبقي ، ونضال جميع العمال .

وبالتالى كانت توجد مصلحة موضوعية لدى حكام جميع الدول الاوروبية الكبرى بدون استثناء ، في مثل هذه الظاهرة ، كالصهيونية .

٣ - عملية التمايز الطبقي وانحياز الاسباط اليهودية وطموح العمال اليهود للخروج من تحت اشراف زعماء الاسباط في كل بلد فيه سكان يهود ، كونت من بين الناس المنتمين الى الفئات الحاكمة في السبط ، جماعات من أناس ذوى تفكير واحد سـعـوا باى شكل كان لكى يقيموا ويعززوا الهيمنة السابقة ، ويضـمـنوا الاشراف على جماهير العمال اليهود .

وبالتالى كان هناك أيضا ظروف سياسية محسوسة لتشكيل المنظمة الصهيونية العالمية .

وبكلمة أخرى نشأت الصهيونية كمحاولة .. حسية في التروست الاسنعمارى اليهودى والمنظمة الصهيونية العالمية ، من جانب البورجوازية اليهودية الموالية للامبريالية لاعادة سيطرة زعماء الاسباط اليهود (الطبقات البورجوازية حاليا) ، التى ضاعت ، على جماهير السكان اليهود ، وكبح « التقدم الاكيد - كما اشار لينين - لاندماجهم بالسكان المحيطين بهم » ، وتأمين الاحتباطيات السياسية والمادية ، فى نطاق كل بلد وعلى النطاق العالمى ، التى يمكن استخدامها لاغراض الحليف الرئيسى والشريك القديم للصهيونية ، أى الدولة الامبريالية الاكثر جبروتا فى هذه المرحلة التاريخية .

يبدى تماما ان شعار « الدولة اليهودية » قد اتسم فى الظروف الحسية لنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالطابع « الادائى » الصرف .. وكان الزعماء الصهاينة يتصورون دائما تشكيل « الدولة اليهودية » ليس كهدف ، بل كوسيلة لبلوغ أهداف أخرى أوسع بكثير : اقامة الاشراف على الجماهير اليهودية ، الاثراء بجميع الوسائل باسم السلطة والرخاء الطفيلى ، والدفاع عن الامبريالية وتعزيزها .

ان اخفاء الجوهر الطبقي الحقيقى للصهيونية ، ومطامعها الحقيقية ومخططاتها ، ومحو التاريخ الحقيقى لولادتها وأسباب ظهورها الى النور من الذاكرة ، واقناع السكان اليهود فى بلدان العالم بان الصهيونية هى ما تمنوه طول حياتهم ، ولكن دون أن يعوا ذلك تماما - هذه هى الاهداف التى ترمى اليها الاسطورة المنتشرة حتى يومنا هذا حول مايسمى بقدم الصهيونية .

الفصل الثانى

« لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت »(*)

منذ زمن غير بعيد نسبيا أجرى العالم الاميركى هـ. تمارين،
الذى عمل مدة طويلة فى اسرائيل ، استفتاء جاء بنتائج بليغة
وذات مغزى كبير . .

أعد تمارين ١٠٦٦ استمارة ذات محتوى واحد ، اجاب عليها
كتابة ٥٦٣ فتى و ٥٠٣ فتيات من مختلف الصفوف فى مختلف
المدارس . وقد تطرقت الاستمارة لـ « سفر يشوع بن نون » فى
الكتاب المقدس ، الذى يدرس فى المدارس الاسرائيلية من الصف
الرابع حتى الثامن .

« انك تعرف جيدا المقتطفات التالية من « سفر يشوع » :
« فهتف الشعب وضربوا بالابواق . وكان حين سمع الشعب
صوت البوق ان الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور فى
مكانه وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه واخذوا
المدينة . وحرموا كل من فيها بين رجل وامرأة وطفل وشيخ
حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » (يشوع ، ٦ ، ٢٠) .

« واخذ يشوع مقيدة فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف
وحرم ملكها هو وكل نفس بها . لم يبق شاردة وفعل بملك مقيدة
كما فعل بملك اريحا . ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل اسرائيل
معه الى لبنة وحارب لبنة . فدفعها الرب هى ايضا بين اسرائيل

(*) سفر الجامعة ، الاصحاح الثالث .

مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها . لم يبق بها شاردة
وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا » (يشوع ، ١٠ ، ٢٨ ، ٣٠) .
أجب ، من فضلك ، على السؤالين :

١ - هل تعتقد أن يشوع بن نون والاسرائيليين قد تصرفوا
تصرفا صحيحا أو غير صحيح ؟ أشرح لماذا لديك مثل هذا الرأى
بالذات .

٢ - لنفترض أن الجيش الاسرائيلى احتل خلال الحرب
قرية عربية . فهل هو جيد أو سئ ان يتصرف على هذا النحو مع
سكان هذه القرية ، كما تصرف يشوع بن نون مع شعب أريحا . .
اشرح لماذا ؟ » .

وكتب تمارين : « أن إبادة الناس بالجملة التى قام بها يشوع
ابن نون ، ليست المثل الوحيد من هذا النوع فى الكتاب المقدس .
ولقد اخترته لان « سفر يشوع بن نون » يحتل مكانا خاصا فى
نظام التعليم الاسرائيلى » (١) .

وقد وزعت هذه الاستمارة فى مدارس تل أبيب وقرية بالقرب
من الرملة وفى مدينة شارون ومستعمرة معوتشد ، الخ . .

ولنذكر بعض الاجابات . كتب تلميذ من مدرسة فى مدينة
شارون : « كان هدف الحرب هو الاستيلاء على البلاد من أجل
الاسرائيليين . ولذلك فقد تصرف الاسرائيليون تصرفا حسنا
ياحتلالهم المدن ، وقتلهم سكانها . وليس من المرغوب فيه أن يكون
فى اسرائيل عنصر غريب . ان الناس من مختلف الاديان يمكن أن
يؤثروا تأثيرا لا حاجة اليه على الاسرائيليين » (٢) .

وكتبت فتاة من مستعمرة معوتشد : « لقد تصرف يشوع بن
نون تصرفا حسنا ، بقتله جميع الناس فى أريحا ذلك لانه كان من
الضرورى احتلال البلاد كلها ولم يكن لديه وقت لاضاعته على
الاسرى » (٣) .

كانت الاجابات من هذا النوع تشكّل ما بين ٦٦٪ و ٩٥٪
حسب المدرسة والمستعمرة أو المدينة .

وعلى سؤال : هل يمكن فى عصرنا ، تصفية جميع سكان قرية
عربية محتلة . أجاب ٣٠ بالمائة من التلاميذ بشكل قطعى « نعم » .

ونورد فيما يلى بعض ما كتبه الاولاد : « اعتقد ان كل
شئ قد جرى بشكل صحيح . اذ اننا نريد قهر أعدائنا وتوسيع

حدودنا . ولكننا نحن أيضا قتلنا العرب ، كما فعل يشوع بن نون والاسرائيليون » (٤) (الصف السابع) .

وكتب تلميذ من الصف الثامن : « فى رأى يجب على جيشنا فى القرية العربية أن يتصرف مثل يشوع بن نون لأن العرب هم أعداؤنا . ولذلك فهم حتى فى الأسر سيفتششون عن إمكانية لبطنسوا بحراسهم » (٥) .

هذه فقط بعض الثمار المحسوسة لـ « التعليم » الصهيونى . وهى نم تنضج تلقائيا ، وانما نمت على الشجرة الحقيقية للايديولوجية الصهيونية التى أرخت جذورها العميقة جدا والتى نكرس هذا الفصل لدراستها .



تساءل فلاديمير ايليتش لينين فى عام ١٩٠٣ : « هل ياترى يمكن تفسير ذلك الواقع وهو أن القوى الرجعية بالذات فى أوروبا كلها ، وخاصة فى روسيا تتألب ضد اندماج اليهود ، وتحاول تكريس عزلتهم نهائيا ، بأنه مجرد مصادفة ؟ » (٦) .

يتبين من وضع السؤال بالذات ان لينين لم يعتبر قط هذا الواقع بأنه مصادفة .

أن أسوار محاجر القرون الوسطى ، التى أمنت أشراف زعماء الاسباط اليهودية على الجماهير اليهودية ، قد انهارت . ولم تصمد اليهودية - المحجر الروحى - تحت ضربات عصرنا الشديدة ، ولذلك كانت جميع مساعى القوى ذات المصلحة فى الحفاظ على نصيب من النفوذ ، وعلى شىء من الاشراف ، وجزء من الهيمنة الفابرة ، تؤول الى احياء أشكال المحجر الروحية والتنظيمية الجديدة الملائمة للزمن الجديد ، وضمان فاعليتها .

وكان الاتحاد الصهيونى ، الممثل بالمنظمة الصهيونية العالمية والتروست الاستعمارى اليهودى ، أحد هذه الأشكال التنظيمية . . وصيغت الايديولوجية الصهيونية بوصفها أحد أشكال المحجر الروحى الجديد .

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كان ٨٦.٥٪ من

اليهود يعيشون في أوروبا (٧) ، وفي كل بلد منها نمت على حد سواء (في أوساط اليهود وغير اليهود) قوى ناضلت ، على حد قول لينين ، من أجل التقدم الأكيد لاندماج اليهود بالسكان المحيطين بهم ، وقوى وقفت ضد هذه العملية .

« لا يوجد بلد آخر نخلص له كهذا البلد . أى وطن آخر بدعونا الى أن نكون تحت حمايته ؟ نحن لم نهاجر الى المانيا ، بل ولدنا هنا . ولذلك فنحن اما المان واما أناس لا مأوى لهم . يوجد مبدأ واحد فقط في الأمة وهو الدم المراق في النضال المشترك من أجل حرية وطننا » (٨) .

ان هذه الكلمات التي طرحت كتحد للبروسيين اللاساميين في نهاية القرن الماضي لم تعبر عن مشاعر الاكثرية الساحقة من اليهود وحسب ، بل كانت أيضا جزءا من طريقة التفكير .

وكتب المؤرخ بن هالبرين « أن خصوم تحرير اليهود لم يعودوا قادرين على الدفاع بصراحة عن التمييز الدينى الذى كان موجودا في « النظام القديم » . ولذلك ابتكروا سببا ، لا يمكن على أساسه منح اليهود الجنسية المتساوية - ذريعة يمكن الدفاع عنها ، اذا صح التعبير ، من مواقع المبادئ الليبرالية ، ولأن اليهود بالضبط . . أمة خاصة تقف منعزلة عن أكثرية سكان هذا البلد . . » (٩) (التشديد منى - ي . أ .)

وقد أصبحت هذه الفكرة بالذات ، فكرة « الأمة اليهودية » ، الكاذبة تماما ، كما اشار ف . أ . لينين ، والرجعية بجوهرها ، واتى تخلق لدى العمال اليهود مباشرة وغير مباشرة شعورا معاديا للاندماج ، شعور « المهاجر » (١٠) ، أصبحت فى آن واحد نقطة انطلاق لعقائد اللاساميين والسند الرئيسى لايديولوجية الصهيونية التى اقيمت عليها جميع التراكيب النظرية - الفكرية الصهيونية .

ولا يجوز أن نخلط مفهوم « الأمة اليهودية العالمية » الذى استخدمه الصهاينة ولا يزاؤون يستخدمونه من أجل اقامة الاشراف الفكرى والسياسى على مواطنى شتى البلدان ، مع قضية الأمة الاسرائيلية (التى سيجرى بحثها في الفصول التالية) . أن هاتين القضيتين موجودتان في مجالين مختلفين تماما ، ومحاولات اقامة أى اتصال بينهما غير مشروعة . ذلك أن كثيرين

من الانجليز والاييرلنديين قد تحولوا منذ زمن بعيد الى اوسترااليين ونيوزيلنديين تماما كما تحول كثيرون من الاوكرانيين والفرنسيين ، واليهود والروس الى كنديين بعد ان أخذوا جميع الصفات المميزة لهذه الأمة .

لنبحث بايجاز الحجج الاكثر نموذجية لايدولوجي الصهيونية . (*) لصالح ان مواطني مختلف الدول اذا كانوا من اصل يهودي يشكلون « الامة اليهودية العالمية » (*) .

كتب موزيس هس (*) ، أحد ايدولوجي الصهيونية القدماء : « ان أكثر امراة للعواطف في الصلوات اليهودية القديمة هو انها ، في الحقيقة ، تشنكل تعبيرا عن الروح اليهودية الجماعية ، انها لا تصلي لشخص واحد ، انها تدافع عن الجنس اليهودي كله » : « ان اليهودي الجديد الذي ينكر وجود الامة

(*) في هذا الفصل سنبحث معتقدات ومفاهيم النظريين الصهاينة الاكثر شهرة انطلاقا من ان هذه المفاهيم في شكلها الاصلى حتى يومنا هذا تقوم بتسليح الصهيونية العالمية .

(*) يسعى باحثو ما يسمى ب « الحركة الصهيونية » البرجوازيون ، لاغرض الدراسة ، ولكن بغية تشديد البلبلة في مسألة تمثل في اساسها الصهيونية ، الى وصفها كمجموعة من التيارات المختلفة « ظهرت مستقلة الواحد عن الآخر » والتي اخذت تتصارع . انهم يميزون انصار الصهيونية الروحية ، والصهيونية السياسية ويتكلمون عن التوسعيين الصهاينة والمحرفين الصهاينة الخ . ان مثل هذا التشعيب ، وهو لا يمكن ان لا يكون مشروطا بشكل خاص فقط في جميع الظروف على مساعدة دراسة تكتيك الصهيونية ، وطابع الاوهام التي تؤدي الى تضليل الصهاينة العاديين . وهذا التشعيب ، لدى أكثر النوايا طيبة ، ممكن فقط بعد ابانة جوهر الصهيونية كظاهرة ، ككل ، وبعد ابانة اهدافها الاستراتيجية .

« (*) ولد موزيس هيس في المانيا عام ١٨١٢ . وهو أحد انصار دمج اليهود المتحمسين . اشترك في ثورة ١٨٤٨ . هرب الى فرنسا بعد فشل الثورة ، حيث تعرضت اراؤه خلال فترة قصيرة لتغيرات جذرية . وضع كتاب « روما واورشليم » ١٨٦٢ .

اليهودية ليس فقط مرتدا من الوجهة الدينية وحسب ، بل خائن لشعبه ، ولجنسه وحتى لعائلته « (١١) .

وشيئا فشيئا استخلص م . هس ، الذى يدعى انه « ثورى » سابق ، مفهوم « الامة اليهودية العالمية » من «الروح اليهودية الجماعية» يشكل خاص ، واليهودية بشكل عام .

وبهذا الصدد كتب ايديولوجى صهيونى آخر هو ل . بينسكر (**) ، فى مؤلفه « التحرر الذاتى » انهم لا يعتبرون اليهود امة لانهم فقدوا ميزاتها الجوهرية ، الا أن « الشعب اليهودى . . بقى موجودا روحيا كامة . وقد عرف العالم فى هذا الشعب الشبح المشؤوم للجثة التائهة بين الاحياء » . . وأشار بينسكر الى أنه « اذا كان شعور الخوف امام الشبح ليس الا تبريرا غريزيا فى الانسان ، قائما الى درجة معينة فى عالمه النفسى ، فلا غرابة فى الانسان ، قائما الى معينة فى فلا غرابة النفسى ، فلا غرابة فى انه يظهر امام هذه الامة الميتة ، والتي لا تزال تعيش » (١٢) .

أن الناس المحيطين باليهود لا يعتبرونهم ، حسب ل . بينسكر ، امة الا أنهم ، أى اليهود ، خلافا لذلك يشكلون امة بحكم «الوحدة الروحية» . . انهم يشكلون « امة مختارة روحيا » خاصة ، لا يدركونها ، مثيرة لمخاوف الشعوب الاخرى .

ويعانى ايديولوجى صهيونى آخر بارز هو أحد هاعام مفهوم الكتاب المقدس الصرف « الامة اليهودية المختارة من الله والمشردة فى كل العالم ، وذات الرسالة الخاصة » .

ويعتقد ليون سيمون أن « فكرة اسرائيل التى تشكل هدفا لا يتجزأ للتعلق القومى » تحول اليهود الى امة (١٣) .

وأخيرا ، يتحدث الفيلسوف الصهيونى المعروف مارتن بوبر عن التفوق الاقصى « للامة اليهودية العالمية » . فاليهود ، حسب اعتقاده ، هم « الشعب الوحيد فى العالم » الذى تكون خلال الازمنة الغابرة كامة وكسبط دينى ، فى آن واحد . ومع ذلك فان السبب الدينى اليهودى ، من وجهة نظره هو « رمز التكوين » ، فى الوقت الذى تشكل فيه « الامة اليهودية العالمية » ظاهرة مترابطة .

(**) ل . بينسكر « ١٨٢١ - ١٨٩١ » كاتب صحفى روسى ، واحد واضعى

الايديولوجية الصهيونية .

هذه التشكيلة من المفاهيم الصهيونية كانت تعتمد على التلقين من على المنابر . وليس من قبيل المصادفة ان هزل ، أحد « أجداد » الصهيونية ، والذي كان يعرف جيدا **عدم الجدوى التام لعملية الاقناع العلمى للمتناع النظري** الصهيونى ، قد تعهد فى فجر نشاطه : « من أجل الدعاية لأرائنا ، لا فائدة لنا من عقد الاجتماعات وما يتخللها من تتررات ، ان هذه الدعاية تدخل كجزء متمم فى الخدمة الدينية » (١٤) .

أن الصهاينة الذين وجدوا انفسهم أمام ضرورة رفع جدران محجر روحى جديد لم يكونوا عازمين ، بدهيا ، على تعميم موضوعه ف. انجلس الثائرة بأن « ما يسمى بالكتاب المقدس اليهودى ماهو الا تسجيل للتقاليد الدينية العشائرية العربية القديمة .. » (١٥) لقد كانوا مشغولين بشيء آخر ..

وتجدر الاشارة الى أن أحد الاسباب التى لم تذكر فى الفصل السابق ، عن نشوء الخرافة حول قدم الصهيونية كان ضرورة التجسد فى الدين ، التى كان يدركها جيدا الايديولوجيون الصهاينة (هؤلاء البرافماتيكيون بروحهم الى حد كبير) ، هذا الدين الذى تخلى عن الكثير من مواقفه وتحول بأغلبيته الى يهودية اصلاحية والذى بقى واسطة مباشرة للاتصال مع عدد كبير من الذين لم يؤمنوا بقدسية صهيون (بالرغم من ان عددهم يتضاءل) ومع ذلك ما زالوا مؤمنين .

ان تجسد الصهيونية فى اليهودية مهما بدأ فى البدء مزيفا لأنصار الديانة اليهودية ، كان له هدف رئيسى واحد هو اخضاع اليهودية التى لم تعد قادرة بصورة فعالة على تنفيذ وظيفة المحجر الروحى ، للصهيونية ، واستخدامها كوسيلة ثانوية .

ولقد تحدث عن ذلك بكل وضوح الصهاينة انفسهم . ففي اجتماع لانصار الصهيونية عقد فى سنسيناتى عام ١٩١٤ أعلن البروفسور سولومون متشتر أنه « اذا اردنا ان يكون لليهودية وجود ، أية يهودية كانت ، اصلاحية أم متشددة ، فيجب علينا الحفاظ على الصهيونية .. ان اليهودية فى وضع يرثى له لا فى أميركا وحسب بل فى أوروبا أيضا .. » (١٦) . ومن البدهى أن البروفسور الموقر فى حديثه عن الصهيونية ، كشرط لا بد منه

لحفاظ على اليهودية ، قد استرشد لا بحب جمالات القداس فى الكنيس ، بل لقد أعلن بصراحة وبكل بساطة أن الشكل القديم للمحجر الروحى قابل للعيش أطول بنتيجة تعزيز شكله القديم ،

وسبق أن حذر أحد هاعام ، أخذ نظريى الصهيونية البارزين من خطر فشل الأشكال القديمة للمحجر الروحى ، وضرورة الحفاظ عليها عن طريق تشكيل وسائل جديدة للتأثير على عقول الناس . فكتب بهذا الصدد : « لم يفادر اليهود وحدثهم محاجرهم ، بل غادرتها كذلك اليهودية . أن خروج اليهود جرى ضمن إطار تلك الجدران التى يعيشون بينها ، وكان يشكل نتيجة للصبر . واليهودية تتحرر هناك حيث يجرى تماسها مع الثقافة المعاصرة التى تحتاج التحصينات الدفاعية لليهودية من الداخل مما يؤدى الى أن اليهودية لا تعود قادرة على البقاء فى عزلة ، والعيش كالسابق » .

وأضاف ، معبرا عن مخاوفه بأن اليهودية لن تكون قادرة على التطور بسبب التأثير الشامل « للروح القومية السائدة » فى هذا البلد أو ذاك : عندما تفادر اليهودية جدران المحجر فانها تتعرض لخطر زوال « أنا » ها الملموسة أو على الأقل سلامتها القومية ويمكن أن تتشتت الى أنواع مختلفة جدا من اليهودية . لكن منها طابع كيان خاص كبليدان الاستيطان اليهودى « (١٧) » .

ان التمارين اللاهوتية للنظرين الصهاينة لم تكن قط . بهذا الشكل ، فارغة من المحتوى . فهى فى الحقيقة ، تنحصر فى محاولة انشاء ما هو وسط مقبول بين « نظرية » سيسيل روت الاستعمارية وبين دعاية الحاخام العادية ، لكى يتم عن طريق الاولى « تجديد تكوبن » الحاخامات ، وبواسطة هؤلاء الفوز بالرعية .

ان الزعماء الصهاينة ، وهم كقاعدة عامة ، اناس مثقفون ، على معرفة باكتشافات عصرهم الكبيرة فى ميدان العلوم الطبيعية وبنظرية القيمة الزائدة لكارل ماركس وبمؤلفات ف. ا. لينين لم تربكهم أبدا اهتماماتهم التلمودية . لقد كانوا بحاجة الى الكنيس ولكن ليس كحليف متكافئ بل كجهاز تابع .

ولذلك فان المزاعم بأن أحد هاعام وسومو لنسكين ومارتن بوبر وشركاهم كانوا يتوقون الى « التوفيق » بين اليهودية والصهيونية شأن المحاولات المبذولة من أجل تصويرهما كقوتين

منعادلتي ، هي ، من وجهة نظرنا ، تفتقر الى اساس . فالنظريون الصهاينة لم « يوفقوا » بل « حاولوا » تماما كما يفعل الفارس قبل ان يمتطى ظهر جواده . ان اصعب القلاع مناعة لليهودية الاصلاحية الاميركية قد استسلم للصهيونية في اوسناط الثلاثينات من القرن العشرين ، تحت ضغط الرأسمال الاحتكاري ، وليس بتأثير اي سبب عاطفي آخر . . .

اما بالنسبة للناس البعيدين عن التصوف والدين فان الصهاينة يعدون تشكيلة اخرى من الذرائع لمصلحة وجود « الامة اليهودية العالمية » . وقد اشاح ح . وايزمن وجاستس ل . براندس و ن . سوكولوف و ب . بوروخوف وغيرهم باعطائهم النضل لفكرة تفرد وبعوق « الامة اليهودية العالمية » . الى « وحدة اليهود الثقافية » و « ماضيهم التاريخي الخاص » و « نمط تفكيرهم الخاص » الذي لا يزال باقيا حتى بعد أن « لم يعد الدين يشكل قوة فعالة » (١٨) وعقب هذه الذرائع وجدت حجة اخرى تزعم ان اليهود يمثلون « الامة اليهودية العالمية » لانه « يوجد اقتران للعالم الخارجي بأن هو هذا الواقع » (١٩) .

وقد سبق ان تحدثنا باختصار في الفصل السابق على اساس المعطيات ، وبشكل رئيسي معطيات أولئك الباحثين الذين لم يسجلهم الصهاينة ابدا في لائحة اللاساميين ، عن مصير مختلف أنواع الاسباط اليهودية . وحتى مثل هذا العرض الوجيز يشهد على أنه لا اساس للحديث عن وحدة ماضي اليهود التاريخي باستثناء اقدم الازمنة الفائرة .

ان كتاب سيسيل روت « تاريخ اليهود » . وهو واحد من المؤلفات الكثيرة حول هذا الموضوع (٢٠) . يشكل دليلا جيدا على عقم محاولة توحيد تاريخ مختلف الاسباط اليهودية بهذا الشكل أو ذاك . ان لائحة الأبحاث التي استخدمها والتي عرضها على القارئ تبين بوضوح وهن مغامرة روت : « تاريخ يهود روسيا وبولونيا » ، و « اليهود والعرب وصلاتهم على مر الأجيال » ، و « المحجر ويهود روما » و « تاريخ اليهود في اميركا » و « يهود اسبانيا » و « اليهود في مصر وفلسطين » الخ .

وبصدد « الوحدة الثقافية » لليهود أعلن ماكس نورداو الذي

امتاز بالصراحة الهرزلية : « سنحافظ على الثقافة الاوروبية التى
تشربناها خلال الالفى سنة الاخيرة ، ولا يسعنا الا ان نهزأ
بالنصائح للتحويل الى آسيويين . وسنتحول ، من حيث تاريخ
الانسان الطبيعى والثقافة الى آسيويين بقدر ما تحول الانجلو
ساكسون فى أمريكا الى هنود حمر .. » (التشديد منى - ي .
ا . « يجب أن يكون هدفنا أن نفعل فى آسيا الصغرى ما فعله
الانجليز فى الهند .. » (٢١)

وردا على احابيل الصهيونيين التى تنضح منها بجلاء كاف
رغبتهم فى توحيد مواطنى مختلف البلدان تحت راية « الأمة
العالمية » استشهد ف. ا. لينين فى جدله مع قيادة البوندالتى
تسلحت بعدد من آراء الصهيونية ، بالفردناكه الذى كتب يقول :
« هل يشكل اليهود شعبا خاصا ؟ بالرغم من أنهم كانوا بلا شك
فى الماضى السحيق شعبا فانى اجيب على هذا السؤال ب «لا»
قطعا . ان مفهوم الشعب يفترض شروطا معينة ، لا وجود لها
قطعا فى الحالة الراهنة . فلم يعد لدى اليهود لا اراض ولا لغة
مشتركة . ان اليهود الالمان والفرنسيين لا يشبهون ابدا اليهود
البولونيين والروس . ان السمات المميزة لليهود لا تملك أى شىء
يحمل سمة أمة » .

واضاف ف. ا. لينين مؤيدا هذا الرأى : « لم يبق لدى
البونديين الا أن يضعوا فكرة الأمة الخاصة لليهود الروس ، التى
تشكل اللهجة الرطينة لغتها ، والحدود الحضرية أرضها » (٢٢) .

ومن بين مفاهيم الصهاينة فيما يتعلق ب « الأمة اليهودية
العالمية » تمتاز موضوعه تيودور هرزل المعدة لتوجهه لاكبر عدد
من المستمعين . فقد أكد « أن الأمة » ، حسب اعتقادى ، هى
جماعة من الناس تشكلت تاريخيا ووجدتهم التى تتمتع بسمات
مميزة ، والتى ما زالت باقية كوحدة تامة بفضل وجود العدو .
واذا أضفنا الى ما سبق أن ذكرت كلمة « يهودية » فستدركون
ماذا أعنى حين أتكلم عن الأمة « اليهودية » (٢٣) .

من المحتمل أن ت. هرزل لم يستوعب مسألة السمات المميزة
للأمة كقضية حيوية والا لاعتبر أنه من الضرورى معالجتها
بالتفصيل أما فيما يتعلق بال « عدو » فإن هرزل قد أشار أكثر

من مرة الى ان هذا العدو كان ولا يزال وسيبقى اللاسامية .

وحسب منطق هزل فان « الأمة اليهودية » لن يعود لها وجود فى الحالة التى تزول فيها اللاسامية . ولكن الصهيونيين يقولون ان .. اللاسامية أبدية .

وبما أن « الأمة اليهودية » لن يعود لها وجود الدائم للعدو وبما أن « الأمة اليهودية » موجودة نتيجة الوجود الدائم للعدو « اللاسامية » فيمكن القول أن اللاسامية تعيش فى أوساط جميع الشعوب التى تعيش جنباً الى جنب مع اليهود . ويؤكد الصهاينة قائلين « أن هذا لا يكفى . فانها لاتعيش وحسب » !
« ان الشعوب (التشديد منى - ي . ا .) التى يعيش اليهود بينها تشكل جميعاً معا أو على حدة لاساميين سافرين أو مستترين » (٢٤) .

على أى أساس يقوم هذا التأكيد ؟ كان ل . بينسكر يؤكد أن اللاسامية مرض نفسى عضال . كتب يقول « أن اللاسامية هى نفسوز (نوع من الهستيريا - هيئة التعريب) واذ أصبحت هكذا وراثية وكمرض انتقل بالوراثة خلال ألف سنة ، فقد أصبحت مرضاً عضالاً » . واستطرد يؤكد ، محاولاً مد جسر الى العنصرية ، أن « على العموم ، ما من شعب يشعر بالعطف نحو الغرباء وهذه الظاهرة قائمة على أساس عرقى ولذلك فلا يمكن لوم أحد من الشعوب » (٢٥) .

وفى غضون ذلك كتب لوسيان ولف (يهودى انجليزى) ، الشخصية الاجتماعية البارزة أن « اللاسامية مرتبطة فقط بقضايا الحياة السياسية الأوروبية . وينبغى بحث منشئها لا فى الصراع الطويل الذى استمر سنوات عديدة بين أوروبا وآسيا ، ولا فى الصراع بين الكنيسة والكنيس الذى ملأ صفحات كثيرة من صفحات التاريخ القديم وتاريخ القرون الوسطى ، بل فى الظروف الاجتماعية التى نشأت فى اوساط القرن التاسع عشر فى أوروبا نتيجة تحرر اليهود » (٢٦) .

الا أن الصهاينة لم يكن يلائمهم حتى مثل هذا الوضع العام للمسألة : فالاعتراف باللاسامية ظاهرة اجتماعية عابرة يعنى بالنسبة اليهم التوقيع على افلاس ذرائعهم لصالح « الأمة اليهودية العالمية » . ولذلك ردد الصهاينة ، الذين يملكون القابا علمية

رفيعة (منهم مثلاً ح . وايزمن) بالحاح وعناد غير موفق ان «السبب الرئيسي للاسامية يتلخص في ان اليهود موجودون » (٢٧) .
واكد وايزمن مطوراً هذه الفكرة : « ان اللاسامية هي جرثومة يحملها معه في كل مكان كل انسان (التشديد منى - ي.أ.)
بغض النظر عن الاقتناعات بالعكس . » (٢٨) .

هكذا صاغ الايديولوجيون الصهاينة المفهوم الثانى « الاساسى »
لمحجر روحى جديد ، مفهوم « اللاسامية الازلية » .

ان اضعاف الوعى الطبقي للعمال اليهود ، واقناعهم بأن الممول
اليهودى اقرب اليهم روحاً وهدفاً من العامل الروسى او الالماني ،
ومجانبة اليهود بالشعوب كلها كلاسامية ، واثارة الشكوك ،
وتسفير الكراهية ازاء غير اليهود ، عندما يكون ذلك ممكناً ،
والارغام على الامتثال لازادة « الانبياء » الكذبة (اى الصهاينة)
هذه هي الأهداف التى صيغ لأجلها هذا المفهوم المعيب والمزيف
تماماً . ومع ذلك فإن مفهوم « اللاسامية الازلية » كان شاملاً
لدرجة ان أخذ يستغله جميع الذين يرمون الى عزل العمال
اليهود لهذا الغرض أو ذاك .

وقد كتب لينين فى رده على محاولة البونديين اتهام
البروليتاريا الروسية باللاسامية فاضحاً هذا الاختلاق المغالى فى
الرجعية :

« لو أن البونديين فكروا قليلاً ، فى هذه القضية ، بدلاً من
غضبهم الطائش والمضحك ضد لجنة ايكاترينوسلاف ،
واستشهدوا ولو بكراس كاوتسكى الذى أصدره ، والمكتوب
بلفتهم الرطينة حول الثورة الاجتماعية لادركوا العلاقة الاكيدة بين
اللاسامية ، ومصالح الفئات البورجوازية من السكان ، بالذات لا
العمال . ولو زادوا امعاناً فى التفكير قليلاً لادركوا أيضاً أن الطابع
الاجتماعى للاسامية المعاصرة لا يتغير من واقع اشتراك ليس فقط
عشرات بل مئات من العمال غير المنظمين وتسعة أعشار العمال
الجاهلين تماماً ، فى هذه أو تلك من المذاهب . »

لقد وقفت لجنة ايكاترينوسلاف (وكانت وقفها مشروعة)
ضد حكايات الصهاينة حول اللاسامية الازلية ، أما البوند بتعديله
الستراخ ، فقد شوش المسألة وحسب ، وزرع فى أوساط العمال
اليهود افكاراً تؤدي الى كبح وعيهم الطبقي » (٢٩) .
لقد أولى الصهاينة دائماً أهمية من الدرجة الاولى لادخال فكرة

« ازلية اللسامية » فى وعى العمال اليهود . أن يهوه العجوز ورسوله الذى لم يظهر أبدا لم يستطيعا بشكل تام أن يبررا فى العصر الجديد الآمال المعلقة عليهما (وكما رأينا ، فقد تحدث الزعماء الصهاينة بالذات عن ذلك) . ولذلك أصبحت اللسامية واضطهاد اليهود الرب الحقيقى والأمل الواقعى بالنجاح ، ورهانا عمليا لحياة الصهيوتية ، بالنسبة لزعمائها .

ولقد سبق لتيودور هرزل أن قال متأملا قبل أن تظهر بعد الى الوجود المنظمة الصهيونية العالمية ، والاتحاد الاستعماري اليهودى : « ان توسيع الحركة لا يكاد يتطلب الان بدل جهود كبيرة . ذلك أن اللساميين يقومون بذلك عوضا عنا » (٣٠) .

وردا على سؤال عما يدفع اليهود « للنزوح من بلدانهم وتأسيس الدولة اليهودية » ، أجاب هرزل فى كلمته أمام اللجنة الملكية البريطانية عام ١٩٠٢ ، بصورة قاطعة « أنهم اللساميون » (٣١) .

وليس منطق تفكير الصهاينة وحده يؤدى الى فكرة أنهم نظروا الى اللسامية كخير . فقد صرح الزعماء الصهاينة أنفسهم بشكل سافر بأن اللسامية مفيدة ، وهم بهذا الشكل يمدون اليد الى اللساميين لعقد تحالف لم ينتهك قط خلال كل تاريخ وجود الاتحاد العالمى الصهيونى .

وكتب ت. هرزل فى يومياته : « أصبحت فى باريس أنظر بشكل أوسع الى اللسامية التى بدأت أفهمها الان تاريخيا ، وأعذرهما . وأكثر من ذلك . اعترف بفطرسية وعدم فائدة النضال ضد اللسامية . . وزيادة على ذلك تلحق اللسامية باليهود أذى عندما تصبح قوة جبارة ، أكثر منها قوة شبه واعية . واعتبر حركتها مفيدة لتطوير الفردية اليهودية » (٣٢) .

ان هرزل الذى لم يسلم حتى فى المنام بإمكانية انتصار الاشتراكية فى أى مكان من الكرة الأرضية كتب علنا عن فائدة ازلية اللسامية دون أن يعرف كم سيتكلف فيما بعد (بعد ثورة أكتوبر فى روسيا ، وخاصة فى عصرنا) جهاز الدعاية الصهيونية من أعمال وجهود ، محاولات جعل « بط » الصهيونية الميت منذ الولادة ك « رد جماهير العمال اليهود على اللسامية والمذابح » ، يطير .

بيد أن المناداة بأن اليهود هم « أمة يهودية عالمية » « مختارة من الله » ، « لا يدرك كنهها » ، « مثيرة للرعب » وتصوير جميع الشعوب التي يعيش اليهود بينها باللاسامية كانا غير كافيين بالنسبة لخالقي جدران محاجر روحية جديدة . ويقوم الصهاينة ببناء حصن آخر ، ويصوغون فكرة عن « نقاوة » جنس اليهود ، ويسعون تدريجا الى غرسها في أذهان سامعيهم .

وقد حاول ل. بينسكر أيضا أن يروج فكرة « نبل » الجنس اليهودي فكتب أنه « ينبغي على اليهود ، شأن الزوج ، وشأن النساء ، أن يكونوا متحررين أيضا . وسيكون أسوأ بالنسبة اليهم اذا كانوا بعكس الزوج يمتون الى الجنس النبل . . » (٣٣) . « . لا توجد أجناس نقية نقاوة مطلقة ، ولكن اليهود نسبيا هم بدون أدنى ريب انقى عرق بين جميع أمم العالم المتمدنة . . » (٣٤)

وقد أشار لينين الى أن « ليس الميزات القومية وحتى العرقية لليهود فقط تدحضها الدراسات العلمية الحديثة . . » (٣٥) . إلا أن الصهاينة تجاهلوا عمدا وبعناد ، وكتموا أو شوهوا كل ما من شأنه أن يحول دون نشاطهم المتضعع . وكانوا يعرفون أناس متعلمين ، أن سلاحهم هو الاعتماد على الجهالة « الكنيس » والرهان على الخوف (« أزلية » اللاسامية) ، والدعوة الى الطموح الشوفيني (الانتماء الى « انقى عرق بين جميع أمم العالم المتمدنة ») .

لقد انشأت البورجوازية اليهودية الايديولوجية الصهيونية عمدا كمصدر للمشاعر الخسيسة ، وللفرائز الخسيسة : « أن اليهودي يملك مراسا أشد وامكانات كبيرة بالمقارنة مع الاوروبي المتوسط ، فضلا عن جميع هؤلاء الاسيويين أو الأفريقيين الخاملين . . » (٣٦) وقد أدلى م. نورداو بهذا التصريح العلني في عام ١٨٩٧ .

« . . بوسعنا أن نعتز بمثل هذه الصفات التي لا تتمتع بها بالقدر ذاته أية أمة في العالم » (٣٧) .

هذا تصريح صهيوني من طراز عام ١٨٩٩ . ونود أن نشير الى أن الايديولوجيين النازيين قد صاغوا ما يشبه ذلك فقط في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين . وكان على « الجنس الانقى » الذي « خلقه الله » و « الأمة

اليهودية العالمية الخاصة « المعرضة لـ « اللاسامية الازلية » أن تسمع الكثير من أفواه الزعماء الصهاينة . قال تيودور هرزل : « عبثا كنا أمناء ، وفي بعض الأحيان كنا وطنيين متحمسين للغاية ، وعبثا قدمنا تلك التضحيات بالدم والممتلكات كمواطنين ، وعبثا نحاول تضخيم مجد أوطاننا في العلوم والفنون ، ومضاعفة ثرواتها بالتجارة والمبادلات » (٣٨) .

ويقترح هرزل بشكل واضح تماما ، في عبارات دقيقة على المواطنين من أصل يهودي في مختلف بلدان العالم أن يطرحوا جانبا الوطنية وأن يعملوا باسم أهداف الصهيونية طبقا لموضوعه اللساميين القائلة بأن اليهود في كل دولة هم « عنصر دخيل » .

وقد أثار مثل هذا الموقف بصراحته المفرطة بعض القلق بين أتباع هرزل وأضرابه . فصاغ ناحوم سو كولوف بسرعة موضوعة عن « الوطنية الازدواجية لليهود » فكتب : « نحن اليهود ، مواطنو الدول التي نعيش فيها . فمصالح البلدان التي نشكل جزءا منها هي في الوقت نفسه مصالحنا . ولا يوجد لدينا أبدا ما يتناقض ومصالح بلدنا » . (هذا ، في الحقيقة ، من جانب ، ومن جانب آخر . . .) « . . . لا تشكل الفكرة الوطنية اليهودية تقليدا تاريخيا وحسب ، انها برنامج للاستهلاك الخارجي والداخلي . فهي في الخارج تتجلى في النضال القوي من أجل البقاء ، وفي الداخل - في اتحاد يهود جميع البلدان ، بغض النظر عن مستوى الثقافة أو الانتماء الحزبي ، في النضال حول جميع القضايا المتعلقة باليهود واليهودية » (٣٩) .

الا أن حايم وايزمن ، مكمل هرزل فضل ، بتجاهله موضوعة ن . سو كولوف حول الازدواجية ، أن لا يدع أي مجال للشك حول موقف الصهاينة من المسألة الراهنة . فكتب متذكرا حديثه مع اللورد الانجليزى بلفور الذي تباحث معه حول شكوى أرملة المؤلف الموسيقى فاغنر بأن « اليهود في ألمانيا قد استولوا على المسرح والصحافة والتجارة والمؤسسات التعليمية العليا » : « كان بوسعى أن أوافق السيدة فاغنر بصدد الواقع في حد ذاته ، ولكني تمسكت بالرأي المعاكس بصدد الاستنتاجات . . . ان جوهر المأساة اليهودية يتلخص في أن اليهود الذين أعطوا قواهم وعقلهم للألمان ، قد أغنوا بهذا الشكل الألمان أنفسهم ، وليس اليهود » (٤٠) .

وتجدر الإشارة الى ان وايزمن قد ترأس المنظمة الصهيونية في سنوات اتصالاتها الوثيقة مع النازيين ، وفيما بعد سخر في مذكراته من اليهود الذين بالرغم من انفلات النازية في المانيا ظلوا يعتبرون هذا البلد وطناً لهم .

ان جميع المهندسين المعماريين اليهود للجدران الجديدة للمحجر الروحي قد أشاروا بهذا الشكل أو ذاك الى ان المواطنين من أصل يهودي في مختلف البلدان موجودون « في المنفى » . . وان تحررهم مستحيل ، وأن مساواتهم في الحقوق مع الشعوب الأخرى لا يمكن تحقيقها .

وقد زعم موزيس هيس في كتابه « روما وأورشليم » ان « تحرر اليهود بين الشعوب الأخرى غير واقعي » وقال بينسكير « اليهودي هو عنصر منعزل . . واليهود يشكلون بين الشعوب التي يعيشون معها عنصراً دخيلاً . . » (٤١) .

ويعلن الصهاينة بصوت واحد أن « القضية اليهودية لا يمكن حلها في بلدان المنفى » . وأشار ل. سيمون ، أحد النظريين الصهاينة بحزن الى أنه « حتى في إنجلترا حيث اللامسامية غير معروفة عملياً ، توجد على كل حال قضية يهودية لأن معابد اليهود تشفر ، والجيل الجديد لا يبدو أبداً يهودياً كما كان أهله ، ويبدو جنوح الى الاندماج وإلى الزواج المختلط » (١) (٤٢) .

فما هو المخرج الذي اقترحه الصهاينة على الانسان المضلل من قبلهم ، والذي آمن بهم ؟ هل هو الانعتاق الاجتماعي ؟ أم النضال المشترك مع الشعوب الأخرى من أجل خلق مجتمع عدل ومساواة ؟ انه من الصعب انتظار مثل هذه التوصيات من أنصار « نقاوة الجنس » ، وبشكل رئيسي من المشتركين في الاتحاد الاستعماري لليهودي .

لقد سبق ان كتب هرزل في رسالة منه الى البارون دي هيرش في حزيران ١٨٩٥ : « لن اقبل أبداً بآية قرارات تافهة على غرار العشرين الفا من أرجنتينيكم أو باعتراف اليهود الاشتراكية » (٤٣) .

وكما كتب ف. ا. لينين ، فان الصهيوني رقم واحد بما يتصف به من تعنت (الذي أصبح الآن موضوعاً لاهتمامات كبيرة من جانب مكملية) قد كشف أهداف « جميع القوى الرجعية في أوروبا » .

فقد كتب هرزل ان « شبيبتنا كلها - وكل من يتراوح عمره بين العشرين والثلاثين سنة سيتخلون عن اتجاهاتهم الاشتراكية الغامضة ، وينضمون الى » (٤٤) .

ان دائرة آراء الصهاينة حسب قوانين المنطق كان يجب أن تقفل هكذا بالضبط : صوفية اليهودية ، ونشر العداء ازاء الجميع وكل شيء ، والدعوة الى التخلي عن الوطنية . والتفنى ب « نقاوة الجنس » و « الاستثنائية » ، والمعاداة للأمية ، والمعاداة للشيوعية .



ما هو المخرج الذى اقترحه الصهاينة على « الأمة اليهودية العالمية » التى أعلنوا عنها (وكذلك أعلن عنها اللساميون) ؟ فهل اقترحوا انشاء « الدولة اليهودية » أو بالأحرى دولة اسرائيل ؟ كلا .

ولنتذكر أيضا ، فى معرض تذكركنا لمن تعود الأولوية فى الواقع فى طرح فكرة استعمار هذه المنطقة أو تلك من مناطق العالم ، باستخدام اليهود « كقوة حية » ، ان الصهيونية قد تكونت تنظيما كمنظمة صهيونية عالمية واتحاد استعماري يهودى ، أى كمنظمة رأسمالية . وكان هدفها السياسى الرئيسى (مع كل ما ينبجم عن ذلك من عواقب : مواجهة الشعوب الأخرى بمحاولات شق الحركة الثورية ، وبانشاء قاعدة لنشاط شبكة عملاء الامبريالية ، الخ) عزل اليهود واقامة الاشراف عليهم بفية الاثراء عن طريق الاستعمار (لأنه سريعا ما تشكل التروست الاستعماري اليهودى) ، ومسألة العزل بالذات على حد سواء . وكانت « جميع القوى الرجعية فى أوروبا ، وبنوع خاص فى روسيا » ذات مصلحة فى عزل اليهود لا تقل عن الصهاينة .

لقد كان الصهاينة يعتبرون دائما « الدولة اليهودية » كوسيلة فقط لبلوغ أهدافهم الرئيسية . وليس ذلك مطلقا عن طريق حشد اليهود جميعا أو أكثرية اليهود فى هذه الدولة اذ أن القضية ستفقد حينذاك معناها الذى وضعه الصهاينة وحماتهم الذين كانوا يعتمدون على انشاء احتياطي من مخزبى الحركة الثورية وشبكة عملاء امبريالية أخرى . وكانت القضية تتعلق بانشاء « مركز » يمكن عن

طريقه التأثير على « الأطراف » . ولذلك فإن المسألة الحسية حول مكان انشاء مثل هذا المركز حتى قيام الاحداث الثورية في روسيا ، لم تكن ذات أهمية مبدئية بالنسبة للأكثرية الساحقة من الصهاينة . فلنوضح الخطط فيما يتعلق ب « المركز » و « الأطراف » .

كان ل . بينسكر يعتقد أن هجرة اليهود الى « المركز اليهودي الوطني » يجب أن تكون محدودة : « أن عدد اليهود في كل بلد يجب أن ينخفض فقط في الحدود التي تفرضها الظروف الاقتصادية للسكان الأصليين » . وأعلن أنه « لا يجوز حتى مجرد التفكير بالهجرة العامة للشعب » (٤٥) .

وأشار أحد هاعام الى أن « الدولة اليهودية » ضرورة كعامل معنوي فقط . وزعم « أن » أنا « نا القومية بحاجة الى مركز روحي وثقافي سيكون حلقة وصل بين جميع الاسباط المشتتة لشعبنا وسيحفزها عن طريق التأثير الروحي نحو حياة قومية جديدة » . وبالإضافة الى ذلك اعتقد أنه لا داعي للسرعة بشكل عام لإنشاء دولة ، وأنه من الضروري فقط انشاء مركز للتأثير الفكري . وكتب « أن روح اليهودية ستنتشر من هذا المركز في جميع التخوم الشاسعة وتبلغ جميع الاسباط ، وتبث فيها قوة جديدة ، وتوطد وحدتها » (٤٦) .

وبهذا الصدد أشار ناحوم سو كولوف قائلا : « أن الصهيونية لا تجادل مع خصومها الا لأجل الاعتراف بالطابع القومي لليهود إذ أنهم يشكلون وحدة عرقية وتاريخية وثقافية وكذلك نظرا لهدفهم المشترك لبعث حياة قومية كاملة في وطن آبائهم » (٤٧) .

ان محاولات اسدال النقاب واخفاء الدور الثانوي لفكرة تأسيس « الدولة اليهودية » حتى يومنا هذا تؤدي الى تصريحات تقول ان « الواضع » الرئيسي للمذهب حول « الدولة اليهودية » ، هرزل ، لم يتكلم قط عما يلمح اليه بينسكرواحد هاعام بشكل واضح كفاية . فلقد دعا هرزل ، الذي « نسق » آمال جميع اليهود ، على حد الزعم ، الى « الهجرة التامة لليهود من بلدان المنفى » واستيطانهم في مركز واحد .

الا أن هذا ايضا لا ينطبق على الحقيقة . ذلك أن هرزل حاول في الواقع ، في خطبه العامة أن يلعب دور موسى التوراة الذي

دعا الى « الخروج الجماعى من مصر » . الا انه أشار مباشرة فى يومياته الى أن خطته لا تؤدي « الى أكثر من تسوية القضية اليهودية وليس الى هجرة اليهود جميعا . . » (٤٨) .

وبصدد الطابع الثانوى الاداتى لفكرة « الدولة اليهودية » فان المسألة المتعلقة بمكان انشاء « مركز التأثير » ، وكرر ذلك، لم تكن ذات أهمية كبيرة من وجهة نظر الصهاينة . فقد كتب ل . بينسكر انه « ينبغى أن لا نستقر هناك بالضبط حيث حياتنا فى نطاق دولة قد تحطمت وأزيلت فى زمن ما . . فنحن لسنا بحاجة الى أى شىء سوى منطقة من الأراضى تصبح ملكا لنا . . وسننقل الى هناك قدس الأقداس الذى أنقذ لدى انهيار وطننا القديم ، أى فكرة الله والكتاب المقدس اللذين حولنا ، وحدهما ، وطننا الى أرض مقدسة ، وليس نهر الأردن وأورشليم » (٤٩) .

« اذا وافقت الدول الكبرى على اعطاء الشعب اليهودى الحق فى السيادة فى بلد حيادى ، فان الجمعية (المنظمة الصهيونية العالمية - ي . ا .) ستبشر فى المحادثات حول البلد الذى سيقع عليه الاختيار » (٥٠) .

وقد وقفت الدول الامبريالية الكبرى ذات المصلحة فى استعمار هذا أو ذاك من رؤوس الجسور الحساسة موقفا أكثر جدية ، ازاء هذا الموضوع .

وفى بداية القرن الماضى كانت أوساط معينة من البورجوازية الانجليزية مهتمة باستعمار أوغندا بشكل أقوى ، وكانت تضم قسما من كينيا الحالية (« الهضاب البيضاء ») ومن جديد لم يتكلم أحد ، مثل هرزل ، بهذا الصدد ، حين خطب فى المؤتمر العالمى السادس للصهاينة اذ قال : « . . انى لا أشك فى أن المؤتمر ، كممثل للجماهير اليهودية ، سيوافق على هذا الاقتراح الجديد بامتنان حار . أن الاقتراح ينص على اقامة مستعمرة يهودية ذات حكم ذاتى فى أفريقيا الشرقية ، يدير اليهود شؤونها ، ولها حكومة يهودية محلية على رأسها حاكم أعلى يهودى ، وكل ذلك ، بالطبع تحت الاشراف البريطانى » (٥١) .

وبصدد القضية المتعلقة باختيار مكان لـ « الدولة اليهودية » كتب ح . وايزمن بأنه برزت صيغ ، منها ما هى ذات مناخ بارد جدا

ومنها ذات مناخ حار جدا . وكان الأمر يتعلق بالأراضي التي يمكن
أحيائها فقط بعد عشرات السنين من العمل بتكاليف غير
معقولة (٥٢) . وبكلمة أخرى ، لم تكن المشاريع ، من وجهة نظر رجال
الأعمال ، ذات ربح .

وتجدر الإشارة الى أنه كانت في قيادة الاتحاد الصهيوني
فئات تمثل مصالح مختلف الدول الامبريالية الكبرى . وعلى سبيل
المثال كان الزعيم الصهيوني الدكتور نوسينغ يدافع عن مصالح
الامبريالية الألمانية التي كانت تجهد بجميع الوسائل لتحقيق نفوذ
لها في الامبراطورية العثمانية . وقد كتب أحد الزعماء السياسيين
في اسرائيل هو الدكتور م . سنيه : أن نوسينغ أسس بمساعدة
غليوم الثاني شركة استعمارية مستقلة لاسكان اليهود في أراضي
الامبراطورية العثمانية خارج فلسطين (٥٣) .

وفي نهاية الأمر حلت نهائيا مسألة اين ينبغي تأسيس « الدولة
اليهودية » ، تحت تأثير عاملين ، بشكل رئيسي . كان العامل الأول
هو الصراع (ونتائجه) بين مختلف فئات الزعماء الصهاينة الذين
كانوا يمثلون مصالح الامبرياليين الانجليز والالمان والفرنسيين .

وكان هذا الصراع ، حتى حول مسائل كان يخيل أنها ثانوية ،
حادا لدرجة يشهد عليها ح . وايزمن .

قبيل الحرب العالمية الأولى أنشأ فيسوتسكى « ملك الشاي »
في روسيا ، مدرسة مهنية في مدينة جيفا (فلسطين) لتعليم
الشبيبة اليهودية . وعقب انتهاء أعمال البناء برز سؤال وهو نفوذ
من سيكون المسيطر في هذه المدرسة المهنية التي بنيت بأموال
الممول الروسى الكبير - أنفوذ الانجليزى أم الالمان (وطبقا لذلك برز
سؤال حول لغة التعليم) . كتب وايزمن « لكى نفهم أهمية هذا
الصراع ، ينبغي أن نتذكر أن ذلك كان أيام « الاستسلام » على
الأراضي التركية . فكل مؤسسة غير تركية في الامبراطورية التركية
المتفسخة والتي أصابها الانحلال ، وضعت نفسها تحت اشراف
الدول الأوربية الكبرى المتصارعة على النفوذ والمكانة في الممتلكات
التركية . وقد استخدم اليهود (بشكل خاص) في هذه المكائد الكبيرة
ككلايات قرصنة . . كانت هناك منظومة مدارس يهودية تحت اشراف
« التحالف الاسرائيلى العالمى » (باريس) وطبعاً كانت اللغة هناك ،

الفرنسية . واعتمد الألمان على « تحالف اليهود الألمان » الذي كان يملك منظومة من المدارس التي تساعد المسكائد الألمانية في الشرق الأدنى . وكان التدريس في هذه المدارس يجرى باللغة الألمانية وكانت إنجلترا (وهنا ينعكس اهتمام وايزمن الشخصي ، الذي ربط حياته بشكل وثيق بالامبريالية البريطانية كارتباط نوسينغ بالامبريالية الألمانية - ي.أ.) متخلفة في هذه المنافسة العامة . . « وأشار ح. وايزمن فيما بعد الى أن مدرسة فيسوتسكي المهنية وضعت تحت حماية الدكتور تسيمرمان - « اليهودي الامبراطوري » (هكذا كان الصهاينة ذوو الاتجاه الانجليزى يسمون اليهود الألمان) ، وتقرر ان تكون اللغة الألمانية لغة التدريس ، وأما هو نفسه ، أى وايزمن ، فقد « مثل الاقلية بصوت واحد عند التصويت » (٥٤) .

وفي الصراع بين الزعماء الصهاينة الذين كانوا يعكسون مصالح مختلف الدول الامبريالية الكبرى انتصرت في نهاية الامر الجماعة الموالية لانجلترا وعلى رأسها وايزمن . وقد حدث ذلك عندما برزت في الاوساط الحاكمة البريطانية بالذات فئة كانت فلسطين تشكل بالنسبة لها الهدف الأقدم (*) .

« (*) في السنوات الاولى من القرن العشرين اصرت اوساط معينة من الامبريالية البريطانية ، كما أشير الى ذلك ، على استعمار اوغاندا وقد أبدتها الصهاينة المواليون لانجلترا تأييدا كليا .

وبهذا الصدد فقد شق زانفويل ، وهو زعيم صهيونى موال لانجلترا ، بعد قرار المؤتمر العالى السابع للصهاينة (١٩١٥) لصالح فلسطين ، المنظمة الصهيونية العالمية وشكل منظمة معارضة لها بغية تحقيق الاقتراح الاسرى الشرقى او تأسيس اتحاد يهودى ذى حكم ذاتى .

وبعد تعديل الاتجاه داخل الاوساط الحاكمة فى إنجلترا ، التى ابدت استعمار فلسطين ، أعلن زانفويل بالذات : « ان المنظمة الاقليمية اليهودية (المنظمة التى شكلها بعد الانشقاق) لا يمكن ان تقف ضد أى مشروع عمل ، والا كان ذلك ليس خيانة للشعب اليهودى وحسب ، بل وخيانة لبرنامجنا الخاص وتوقف الانشقاق فى صفوف الصهاينة .

بيد أنه كان هناك عامل آخر ، سبب آخر ، رجح كفة الميزان لصالح « أرض كنعان » بالذات .

كتب ف. ا. لينين في يونيو عام ١٩٠٥ : « ان الانتفاضة والمعركة المسلحة خلف المتاريس في لودزى ، والمعركة في ايفانوفو - فوزنيسنسك ، والاضرابات العامة ، واطلاق النار على العمال في فرصوفيا وأوديسا ، - النهاية المشينة للمهزلة لو قد الزيمستفو (ادارات محلية وريفية منتخبة من قبل النبلاء وأوساط الأثرياء في روسيا القيصرية - هيئة التعريب) ، هذه هي الاحداث السياسية الرئيسية في الأسبوع المنصرم ..

ان البروليتاريا هي في غليان مستمر وخاصة بعد التاسع من يناير ، دون أن تعطى للعدو دقيقة واحدة للراحة ، مناضلة في الغالب بشكل اضطرابات ، متحاشية الاصطدامات المباشرة مع القوات المسلحة القيصرية ، ومجموعة قواها من أجل المعركة الكبيرة ، الحاسمة » (٥٥) .

وفي ألمانيا ، وأوروبا الشرقية حيث كانت متركزة الاكثرية الساحقة لأكثر من ٨٥ ملايين يهودى من سكان أوروبا نمت قوى الثورة بشكل عارم . وكانت البروليتاريا المتمردة القوميات في روسيا القيصرية ، كما كتب ف. ا. لينين ، تستعد « للمعركة الكبيرة الحاسمة » . وخلف المتاريس في لودزى كان العمال اليهود يناضلون جنبا الى جنب مع العمال البولونيين . وخلافا لمواقف قيادة البوند ، الانفصالية ، القومية ، كان العمال اليهود يتجهون أكثر فأكثر نحو حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى بقيادة لينين ، ويناضلون بشكل أوسع مع العمال الروس والاوكرانيين والبيلوروسيين والبولونيين . ومن المعروف جيدا، أيضا، أن القوى الرجعية في أوروبا الشرقية ، وخاصة في روسيا القيصرية ، قد عولت ، في الكفاح ضد حركة الجماهير ، الثورية ، على تسخير الشقاق القومى ، واستثارت الصدامات بين العمال من مختلف القوميات . وكانت المذابح اليهودية احدى وسائل نشاط الرجعية هذا ، المعادى للثورة .

وفى مثل هذا الوضع يستنتج الزعماء الصهاينة وأنصارهم أن لصيفة الفلسطينية بالنسبة اليهم أكثر تعقلا من وجهة نظر

جاذبية فلسطين ، الدينية الرمزية . وكانوا ، شأن الجاحام س .
موجيليفر الذى جاء على ذكره ناحوم سو كولوف ، يعتقدون أن
« استعمار فلسطين كان قد اوصى به كالتزام دينى ، ولذلك يجب
أن يكون الدين العامل الرئيسى . . » (٥٦) بيد أنهم كانوا يدركون
اهمية هذا العامل بشكل خاص نوعا ما . وكان على لاسامية الثورة
المضادة ، التى ، حسب قول هرزل « تسهم فى تعزيز الشخصية
اليهودية » ، أن تطرد ، حسب حساباتهم ، قسما معينا من السكان
اليهود من أوروبا الشرقية . وأمل الصهاينة ، الذين اتكلوا للفاية
على الثورة المضادة ، باستخدامهم رمز فلسطين الدينى أن يوجهوا
سيل ضحايا المذابح الى منطقة قناة السويس بالضبط .

بيد أن الآمال الكبيرة لرؤساء الاتحاد الاستعماري اليهودي لم
تتحقق الا بمقدار صغير . وقد ذهبت أدراج الرياح المبالغ الطائلة
التى أنفقوها على الدعاية للنزوح الى فلسطين .

وقد اندفع سيل اللاجئين ، ضحايا الثورة المضادة الى أميركا ،
وليس الى الشرق الأدنى . وفى عام ١٨٩٧ . كان عدد اليهود فى
أميركا ٩٨٦ ألف شخص ، وحتى أواسط العشرينات من القرن
العشرين بلغ عددهم ٥ر٤ ملايين شخص . فى حين أن عددهم فى
آسيا فى المدة نفسها قد ازداد من ٤٠٠ ألف الى ٦٠٠ ألف
شخص فقط .

فما هى اللوحة التى رسمها الصهاينة للعمال اليهود لـ « الدولة
اليهودية » المفروضة ؟ أعلن ت . هرزل : « . . . » « هناك » ينبغى
تدبير كل شئ ، حسب الامكان ، مثلما هنا . ولم يكن عازما على
اشاعة الوهم بصدد طبيعة الدولة المعدة فى المشاريع الصهيونية
للجماهير اليهودية . وزعم هرزل انه « سيكون بوسع اليهود الأغنياء
المضطرين الآن لاختفاء كنوزهم ، ولإقامة الولايم خلف الستائر
المسدلة ، أن يتمتعوا هناك بالحياة ، بحرية » (٥٧) .

ولم يدع ل . بينسكر أيضا أى مجال للشك فى هذا الصدد :
« يجب أن تعود المبادرة فى قضية الانبعاث القومى الى مؤتمر
المواطنين اليهود الأكثر احتراماً . . . ودقق - . . ان افضل قواناهم
الماليون ، والعلماء والناس ذوو النشاط العملى . . » وأشار
بينسكر كذلك الى أن « هذه الادارة وحدها مع الرأسماليين ،

كمؤسسين للشركة المساهمة التي ستنشأ بالتالى ، ينبغي ان تشتري قطع الأرض . . » .



ان من أكثر الخصائص البارزة للتراث النظرى الصهيونى هى مرونته المستخدمة بشكل واسع من قبل الزعماء الصهاينة الحاليين أيضا .

وبالنسبة اليهم كمن لقضيتى بسط الاشراف على اليهود والاثرء عن أى سبيل أهمية مبدئية . وهذه . اذا صح القول عناصر ثابتة لمفهومهم . أما فيما يتعلق بالمبادئ الفكرية أو المعنوية - الاخلاقية فان موقف الزعماء الصهاينة فى القضية الراهنة قد أدى عمليا ويؤدى الى ان يؤمنوا لأنفسهم الحياة فى كل حال ، بمختلف « المبادئ » التى يمكن استخدامها عند الظروف المتقلبة على افضل وجه . « أقصى الوقاحة وأدنى المنطق » - هذا الوصف الذى أطلقه ف. ا. لينين على مسلك البوند ، ينطبق أكثر على الصهاينة أيضا .

نحن نقرا لدى بينسكر : « ان المخرج الوحيد الصحيح والحقيقى هو فى تكوين الأمة اليهودية - الشعب الذى يعيش على اراضيه الخاصة به ، أى التحرر الذاتى لليهود ، تحررهم كأمة بين الامم عن طريق تشكيل وطن قومى هو ملكهم » (٥٨)

وأشار أحد هاعام الى انه « بعد ان تتقوى روح اليهودية فى المركز القومى سيظهر - فى البلاد - اناس قادرون ، فى ظروف ملائمة ، على تأسيس دولة . . »

وكرس ت. هرزل « جد الصهيونية » كتابا كاملا هو « الدولة اليهودية » لكى يبرهن على ضرورة تأسيس دولة كوسيلة وحيدة لحل جميع قضايا « الأمة اليهودية العالمية » .

وفى الوقت نفسه أعلن ناحوم سو كولوف بشكل قاطع : « لقد أكد اللاساميون ويؤكدون الى يومنا هذا بعناد أخرق ان هدف الصهيونية هو انشاء « دولة يهودية » مستقلة . ان هذا كذب تام . فالدولة اليهودية لم تكن أبدا هدف البرنامج الصهيونى » . (*)

(*) ن. سو كولوف « تاريخ الصهيونية » المجلد ١ . ص ٢٤ - ٢٥ .

لقد انطلق هس وبينسكرو وهرزل ووايزمن ، كما سبق ان بينا، من مفهوم « أزلية اللاسامية » ، ومن واقع - كما اشار وايزمن - ان « السبب الرئيسى للاسامية ، . يقوم فى ان اليهودى موجود - » .

وفى الوقت نفسه (عند زوال اللاسامية ، لا سمح الله) يصاغ موقف آخر : كتب أحد هاعام ، مناقشا بصدد « الفرق فى جوهر المسألة اليهودية » فى أوروبا الشرقية والغربية ، ان المسألة اليهودية فى أوروبا الشرقية هى « وليدة اللاسامية ، وان وجودها مرتبط بهذه الأخيرة ، والمسألة اليهودية فى أوروبا الغربية هى نتاج خطة قومية صرف ، ونتيجة الصلة الحقيقية لليهود بثقافة يعود تاريخها لآلاف سنة . خات . وستبقى هذه الصلة قوية كالسابق حتى لو زالت جميع نكبات اليهود فى العالم أجمع ، ومن ضمنها اللاسامية (التشديد منى - ي ١٠) حتى لو اخذ اليهود فى كل البلدان مناصب ملائمة ، وأقاموا أكثر العلاقات الودية مع جيرانهم واشتركوا معهم على قدم المساواة التامة فى جميع ميادين النشاط السياسى والاجتماعى » (٥٩) .

لقد سبق ان اشير الى انه بالإضافة الى المطلب بترك كل تعلق بأوطانهم ، وطرح الوطنية جانبا صاغ الصهاينة مفهوم « الوطنية المزدوجة » . وزعم بعضهم أن اليهود هم « أمة عالمية » خلافا لرأى المحيطين بهم هم « أمة عالمية » . الخ « لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت . للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت ، للحب وقت وللبغضاء وقت » (*) . وانطلاقا من منطق الكتاب المقدس هذا يصوغ ايدولوجيو الصهيونية عمدا سلسلة كاملة من المفاهيم المتناقضة لكى يتمكنوا فى أى ظرف كان من « الاحتفاظ بمظهر جيد فى لعبة رديئة » .

ان نشوء الايدولوجية الصهيونية سجل بدء ازمتها فى الوقت نفسه . فافلاس هذه الايدولوجية قد حصل قبل وقت طويل من انشاء دولة اسرائيل ، التى يبين واقعها بشكل أجلى وأدق فقر مطامع الصهاينة النظرية .

(*) سفر الجامعة ، الاصحاح الثالث .

لقد عكست الآراء الصهيونية أمنية ورغبة البورجوازية اليهودية فقط، من أجل استعادة الاشراف الذى فقدته على الاسباط اليهودية المنهارة . وهذه الآراء لم تكن تنطلق من القوانين الموضوعية لتطور المجتمع الطبقي الذى كانت الاسباط اليهودية تشكل جزءا لا يتجزأ منه ، وانما من الرغبة الذاتية للقوى الرجعية فى الحيلولة دون اتحاد جماهير العمال اليهود مع عمال القوميات الأخرى . وبحكم هذا لم تستطع الايديولوجية الصهيونية الا تتحول ، مباشرة عند مصادرها ، الى عقيدة حاجة عملية . (١٠٠*)

وسبق أن أشير كيف أن ت. هرنزل ثار ضد مجرد التذكير بالاشتراكية . واعتبر مكمله نوردوا الاشتراكية « علامة انحلال » بالاضافة الى « الهيفلية واللاسامية » (٦٠) بيد أن الاتحاد الصهيونى ، بعد مرور بضع سنوات فقط على نشوء المنظمة الصهيونية العالمية وفى معمران تعديل وصايا الكتاب المقدس على نمط « عصرى » ، يبذل جهودا لكى يظهر أمام الجماهير اليهودية وبشكل خاص فى أوروبا الشرقية ، باللباس « الثورى » و « الاشتراكى » .

« ان الدولة اليهودية يجب أن تصبح ، اذا شكلت ، دولة اشتراكية . ويجب أن تنصهر الصهيونية بالاشتراكية من أجل أن تصبح مثالا للشعب اليهودى بأسره - للبروليتاريا ، والطبقة المتوسطة والمتقنين ، وبنفس القدر ، للمثاليين (المراد هنا «المثاليين - الرأسماليين» ي . ا .) ويمكن للصهيونية ، بعد انصهارها بالاشتراكية ، أن تصبح مرغوبة أكثر . . ان الحلم بمجىء المخلص الذى دغدغ كل يهودى يقطن خارج الدولة اليهودية ، يمكن أن يتحول الى عامل سياسى ملموس » (٦١) .

ان مثل هذا الشكل من الانعطاف المخالف للطبيعة وبالدرجة الأولى من وجهة نظر مؤسسى الصهيونية ، فرضته الآن الضرورة العملية . كتب م. ساشر واصفا سنوات بدء هذا القرن : « ان الاشتراكية الماركسية (ولا شىء هنا مثير للدهشة) كانت بسبب تركيب الاقتصاد اليهودى ، القوة الجاذبة للمشاركين فى حياة اليهود السياسية » (٦٢) .

(١٠٠*) وصف قدمه لـ . ماركس لليهودية بشكل عام .

وكتب موريس ادلمان ، واضع سيرة بن جوريون السياسية أن « الحركة الثورية في عام ١٩٠٥ كانت حركة احتجاج ضد حرمان الجماهير الشعبية من حقوق الانسان الاولية . أن مبادئ هذه الحركة قد شملت اليهود أيضا » (٦٣) .

لقد كانت هذه اعترافات غير مباشرة بواقع حقيقى وجلى تماما وهو أن موجات الحركة الثورية ، التى ازدادت في اوروبا الوسطى والشرقية ، قد جرت خلفها أوسع جماهير العمال اليهود تاركة وراءها الفلك الصهيونى جانحا بسكانه القليلى العدد . أن مثل هذه الظروف بالذات قد أرغمت الصهاينة على أن يشرعوا بسرعة بوضع « نظرية » « الاشتراكية » الصهيونية أو الصهيونية « الاشتراكية » واول من حاول القيام بذلك هو ناحوم سوكولوف السابق ذكره .

بدأ سوكولوف بتحليل طبقي لاتتصف به الصهيونية ، وبالاعتراف بدور العمال . وفى نفس الوقت طرح موضوعة يقسم العمال اليهود ، طبقا لها ، الى جماعتين : **الوطنيين** - اللامبالين الذين يعترفون فقط بالمصالح الطبقية ، **والوطنيين** - الثابتين الذين يحافظون على موقفهم الخاص بالرغم من تعاونهم مع العمال الآخرين في النضال من أجل زيادة الاجور والتحسين العام لمستوى الحياة » (٦٤) .

وأشار سوكولوف بدعوة الصهاينة للترسخ في أوساط العمال من « الفئة الثابتة » والتغافل عن طريقها في الاولى الى انه « **إذا أصبح العمال صهاينة ، فإنهم ، إذا صح القول ، سيشكلون قوة متينة وفعالة يمكن الاعتماد عليها في كل لحظة** » (٦٥) .

وأضاف بصفاقة تقليدية : « أن العمال اليهود هم حلفاء طبيعيون للصهيونية بيد أنهم سيصبحون حقا حلفاء نشيطين فقط شرط تأسيس منظمة مستقلة (صهيونية) ، للعمال » (٦٦) . ومع اعترافه ولو بشكل غير مباشر بأن الصهيونية هي عنصر غريب بالنسبة للعمال ، أشار بشكل خاص الى ضرورة العمل الدائب العنيد بغية شق صفوف الطبقة العاملة . فكتب : « بالرغم من أن العمال اليهود يتحسسون العنصر الوطنى ، ليس مطلقا بسبب حبهم للصهيونية ، مع مرور الزمن فيمكن أن يصبحوا سريعى الادراك وطنيا بالمعنى الصهيونى ، وهذا الانتقال ممكن بشرط

الانتقال من التحسس الباطنى الى الادراك الواعى لوحدة المصالح ،
الطبيعية » (٦٧) .

وبكلمة أخرى ، كان سوكولوف يؤكد أن « لا بد من تحريك
الحجر ليجرى الماء من تحته » ، وكان يدعو الصهاينة الى بدل
نشاط قوى جدا بغية تفكيك صفوف العمال اليهود من اجل عزلهم
عن الجيش المشترك للعمال المناضلين فى سبيل عتقهم كطبقة .
وأشار الى ان « اليهودية الصهيونية هى ايضا ليست غريبة عن
مبادئ مثل هذا التطور . . » (٦٨) .

وكان بير بوروخوف نظريا آخر معروفا لـ « الاشتراكية »
الصهيونية . وقد كتب أن « الانسانية تنقسم الى أمم وطبقات .
وكانت الامم موجودة قبل ان تتجزأ الى طبقات . وتبقى الامم فى
حين تتغير الطبقات . . وقد تعرضت الامم من وجهة نظر الثقافة
لمختلف التأثيرات والتغيرات ، ولكنها بقيت فى أساسها كما كانت
سابقا . . » (٦٩) ويؤدى بوروخوف بالقارىء تدريجا الى فكرة
تقول ان اليهود ، بالرغم من أنهم مشتتون فى مختلف بلدان العالم ،
يشكلون أمة واحدة .

الا ان حصان طروادة الصهيونية « الاشتراكية » ، كما يبدو ،
لم يجر طويلا عبر السهوب . لقد أقفلت الحلقة . . « لقد بحثت
الجماهير اليهودية كالأعمى ، طوال مئات السنين عن الطريق التى
يمكن أن تعود بها الى الارض . وأخيرا وجدناها . الصهيونية هذه
هى طريقنا الوحيدة » (٧٠) وسبق بوروخوف « الاشتراكي »
اعتمادا على أحد هاعام استنتاجات المتصوف م . بوبر . « . . الأمة
منذ قديم الزمن . . . »

زعم ب . بوروخوف أن « العمال ينظرون الى عمليات استعمار
(التشديد منى - ي ١٠) فلسطين ونمو البروليتاريا باعتبارهما
مرتبطين الواحد بالآخر . ولا ينطلق الوعى الطبقي لعاملنا من المصالح
الانسانية الضيقة ، الغريبة أو التى تتنافى ومصالح الأمة كلها
ككل » (٧١) . وبكلمة أخرى ، يوجد ، حسب بوروخوف عمال «نا»
و « لا » عمال « نا » ، مع العلم أن « لا » عمال «نا» هم الانانيون
الطبقيون ، وعمال «نا» هم الناس **الوديعوالاخلاق** الذين يجب أن
يكون لديهم ، طالما أنهم يهود ، ادراك لوحدة المصالح مع أمثالهم من

اليهود ولكن .. الرأسماليين . ولنشر الى أن ب . بورخوف ليس مبتكرا مطلقا . فال « اشتراكي » بورخوف يطلّى بلون وردى الملكى هرزل الذى كتب : « لقد جعلوا منا فى المنحجر طبقة متوسطة ما ، أصبحت فيما بعد مزاحما مخيفا لكل الطبقة المتوسطة . وبهذا الشكل وجدنا أنفسنا بعد الانعتاق فى دائرة البورجوازية .. ولم تكن البورجوازية المسيحية ضد رمينا فريسة للاشتراكية الا أن ذلك ما كان ليساعدها كثيرا .. وفى الحقيقة لا يمكن اتخاذ أى شيء ملموس ضدنا . ففى الماضى ، انتزعوا من اليهود مصاغهم ، والآن بأى شكل يمكن انتزاع أموالهم المنقولة حين تكون معبرة عنها على قصاصات الورق المحتفظ بها فى مكان ما ، وربما حتى فى الخزائن المسيحية .. ونحن نتحول ، اذ نفلس ، الى بروليتاريين ثوريين ، مومنين جميع الاحزاب الثورية بضباط صف فى الوقت الذى تزداد فيه **قوتنا النقدية** .. نحن نشكل جماعة تاريخية سهل مصرفتھا بسبب تلاحمها .. » (٧٢)

كلا ، ليس من قبيل المصادفة أن « جميع القوى الرجعية فى أوروبا ، وبنوع خاص فى روسيا ومن بينها جميع المشتركين فى الحفلة التنكزية الصهيونية - من « الصهاينة التلموديين » حتى الصهيونيين - الاشتراكيين » ، - قد استهدفت بمثل هذا الاصرار عزل اليهود فى عصر أدت فيه المسألة بكل معنى الكلمة الى من سيقف الى هذا الجانب ، ومن سينتقل الى الجانب الآخر من المتاريس الثورية .

ومهما يحاول الصهاينة واضرابهم الفكريون أن يموهوا جوهر المسألة ، **فقد أصبحت المسألة** : هل سيتمكن الصهاينة والقوميون اليهود الآخريين (بتأثير اللاساميين) من تحويل العمال اليهود فى كل بلد ، حيث عاش اليهود ، الى عنصر « يعنى اختلافه العنصرى وعزلته » ، الى احتياطي للبورجوازية ، وقاعدة لشبكة عملاء للامبريالية أو هل ستكون الحركة الثورية والتضامن الأممي الطبقي للعمال فى نضالهم ضد العدو المشترك - طبقة المستثمرين حجر عثرة فى طريق مثل هذه المحاولة . وبكلمة أخرى كانت القضية فى كل بلد معلقة على نتيجة تصارع قوى الثورة والثورة المضادة . ان الصهيونية وايدئولوجيتها كانوا ولا يزالون يشكلون احدى القوى النشيطة المعادية للثورة .

وكان لابد أن يجد مؤسسو الاتحاد الاستعماري اليهودي ، بصورة شرعية ، أنفسهم محاطين بالمعادين للثورة . وأصبحت الثورة الاشتراكية التي كان هرزل ، الرئيس الأول للمنظمة الصهيونية العالمية ، والذي ندد بشكل مكشوف بالاشتراكية ، ينبذ دائما التفكير بها ، رمزا لفاجعة آتية بالنسبة لمكمله ، الذين شهدوا أحداث عام ١٩٠٥ الرهيبة . ولهذا بالضبط تنقل الفخاخ الفكرية الصهيونية بمثل هذه السرعة من الأسواق المحلية والكنائس الى الورش والمستودعات والمعامل والمصانع .

وبعد أكثر من ستين سنة ونيف بعد المحاولات المباشرة الأولى للصهيونيين لجعل العمال اليهود وخاصة العمال اليهود في روسيا ، تحت سيطرتهم ، وبعد خمسين سنة من انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى التي بددت هباء كل ما يسمى بنظريات الصهيونية « الاشتراكية » ، أذاعت محطة إذاعة « صوت إسرائيل » يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٧ في محاولة منها لتبرير النظرين والمطبقين للصهيونية « الاشتراكيين » ، ما يلي :

« ان مبدأ الصهيونية القومي ليس فقط لا يتعارض مع النظرية الاشتراكية بل على العكس ، تسعى الصهيونية الى أن تصهر في حركة واحدة أفكار التحرر الوطني لليهود وأفكار التحرر الاجتماعي للجماهير المستثمرة . وعلى اساس جمع الاشتراكية بحركة التحرر الوطني الصهيونية انما وضع برنامج حزب العمال الصهيوني « **عمال صهيون** » (« بوالى تسيون » - ي . ا .) ، هذا البرنامج الذي تم اقراره في المؤتمر الأول لعموم روسيا لهذا الحزب ، الذي انعقد في بولتافا عام ١٩٠٦ . وقد صاغ هذا البرنامج ب . بوزونخوف . . ان الموضوع الرئيسي للصهيونية الاشتراكية تؤدي الى أنه غير ممكن بالنسبة لليهود في بلدان التشتت ، مهما تكن الأنظمة في هذه البلدان ، لا تطور الجماهير الاشتراكي التام ، ولا تطورها المستقل الذاتي الوطني » . (التشديد مني - - ي . ا .) .

ويبقى أن نطرح السؤال التالي : من أي درجة من السذاجة والصفة العرضية لتفكير مستمعيهم ، لا يدركونها أبدا ، انطلق أصحاب مثل هذه التصريحات الواضحة التي تفضح نفسها بنفسها ؟

لقد عرض « صوت اسرائيل » بكلماته برنامج لجنة « بوالى تسبون » فى مينسك الذى جاء فيه ان الثورة الروسية لايربطها اى رابط بالنضال من أجل مستقبلنا ، لأنها لن تحل المسألة اليهودية حتى بالنسبة لليهود فى روسيا ، ولن تقربنا من الصهيونية « (٧٣) وبهذا الصدد كتب الجلاد زوباتوف الى قسم الشرطة : « يجب مساندة الصهيونية وبشكل عام ، الضرب على وتر المشاعر القومية » (٧٤) .

وقد اشارت اللجنة التنفيذية للأمية الشيوعية محددة جوهر نشاط « بوالى تسيون » الذى حوله الصهاينة على أساس أفكار بوروخوف الى منظمة عالمية ، الى أن « مشروع فلسطين ، ومحاولة صرف جماهير العمال اليهود عن النضال الطبقي بالدعاية الى الهجرة الجماهيرية الى فلسطين ، ليسا فقط قوميين وبورجوازيين صغيرين ، بل هما أيضا فى جوهرهما معاديان للثورة . . » (٧٥)

وفى الأول من ابريل عام ١٨٩٥ ، اليوم العالمى لتضامن العمال ، انتهج مارتوف ، المعروف (الاسم المستعار لـ ي . ا . تسيدرباوم) أحد زعماء المناشفة العتيدين - الذين لا يسمون أنفسهم صهيونيين أو من محبى فلسطين ، الفكرة التالية فى خطابه : « لقد انتظرنا كل شئ فى السنوات الاولى من حركة الطبقة العاملة الروسية ، وكنا ننظر الى أنفسنا كذيل وحسب للحركة الروسية العامة . . كان ينبغى علينا بعد أن وضعنا الحركة الجماهيرية فى قلب البرنامج أن نكيف دعايتنا وتحريضنا الطبقي ، أى أن نجعلها أكثر يهودية » . وأشار مارتوف الى أن « الطبقة العاملة اليهودية تمثل جمهورا على درجة كافية من التلاحم قادرا ، بعد أن يصبح منظما ، أن يشكل قوة كبيرة جدا » . واستطرد الخطيب قائلا : « يجب ان نأخذ بعين الاعتبار أن الطبقة العاملة الروسية ستواجه فى تطورها الطبقي نوعا من العقبات بحيث سيكلفها كل مكسب ، مهما يكن ثاقفا ، بذل جهود هائلة . ومن الجلى فى مثل هذه الحالة - كما تكهن مارتوف - أنه حين سيضطر البروليتارى الروسى للتضحية ببعض مطالبه من أجل تحقيق شئ ما ، فانه على الأرجح يضحى بالمطالب التى تتعلق بشكل خاص ، باليهود » . ويستنتج مارتوف (من تفكيره الخاص) قائلا : « ولهذا ينبغى علينا أن نعترف بحزم بأن هدفنا ، هدف الاشتراكيين - الديمقراطيين العاملين فى الوسط اليهودى ، يقوم

بشكل خاص فى انشاء منظمة عمال يهودية . . » (٧٦)

أما قيادة البوند الذى تشكل فى عام ١٨٩٧ فقد جادلت بحسد أولوية مارتوف فى طرح الافكار الانفصالية ، افكار عزل العمال اليهود ، استنادا الى أمثلة أقدم حسب الترتيب الزمنى .

أما الصهاينة فلم يكن بوسعهم يشكل عام ان يتحملوا بهدوء أى مزاحمة، وقد أعلنوا بلسان أحد زعمائهم البارزين ف. جابوتينسكى: « ان الطبقة الاعدادية لدى المدرسة الصهيونية النموذجية ، هذا هو الدور التاريخى ، موضوعيا ، للبوند فى الحركة العمالية اليهودية ، اذا واصلنا مقارنتنا التربوية . فالبوند والصهيونية ليسا نباتين من جذر واحد ، انهما جذع كبير وواحد من نبتاته . . . وحين سيكتب الباحث العتيد تاريخ الحركة الصهيونية المترابط ، سيثير فصل واحد بشكل خاص فى عمله اهتمام القارئ . . فى البدء سيقابله القارئ بأنه تكرر لافكار بينسكر ، وفى النهاية بأنه الاعلان الأول لـ « بوالى تسيون » . وسنروى فى هذا الفصل احدى مراحل الصهيونية ، وسيكون عنوانه « البوند » » (٧٧) .

وقد أشار ف. ا. لينين الى خطر المحاولات المتنامية لعزل العمال اليهود ، متوجها اليهم فى عام ١٩٠٥ فكتب « ان ظروف حياة البروليتاريا الواعية فى العالم بأسره موجهة لخلق روابط أوثق واتحاد أشد فى النضال الاشتراكى . - الديمقراطى المنتظم للعمال من مختلف القوميات . . ان عمال جميع القوميات فى روسيا يعانون اضطهادا اقتصاديا وسياسيا لا وجود له فى أى دولة ، وبنوع خاص أولئك العمال الذين ليسوا من القومية الروسية . ويقدر ما يكون نير هذا الاضطهاد ثقيلًا ، بقدر ما تكون أقوى الحاجة الى اتحاد أوثق قدر الامكان بين بروليتارىي مختلف القوميات لأنه بدون اتحاد كهذا يستحيل النضال الظافر ضد هذا النير » (٧٨) .

ان هذه الفكرة اللينينية بالذات القائلة أن اليهود الى جانب الجماعات القومية والقوميات والشعوب المضطهدة الأخرى - متساوون فى الآلام ، ومتساوون فى النضال - لم ترق أبدًا للصهاينة الذين أقاموا على « مبدأ » الاستثنائية جميع صروحهم النظرية الفكرية ابتداء من الأصل الالهى لـ « الأمة اليهودية العالمية » وانتهاء بالمزاعم حول ضرورة اشتراكيتنا .

وبهذا الشكل انتهى عمليا فى بداية القرن العشرين خلق اللوحة
الفكرية الصهيونية . وقد قام الصهاينة بعناد على أعتاب الاحداث
الثورية العظمى فى روسيا بتلوين واجهة الاتحاد الاستعماري
الصهيوني باللون الاحمر مخفين بغلالة مجموعة الالوان القاتمة
المنضلة . ولكن لم تكفهم الأصباغ ولا القوة ، فلقد سبقهم الزمن ،
وحل عام ١٩١٧ .

الفصل الثالث

متاهة بدون سقف

فى الثانى من مايو عام ١٩١٨ ، افتتح فى جو تحيطه السرية التامة مؤتمر احدى المنظمات الصهيونية الواسعة الانتشار والتي تحمل اسم «تسيرى تسيون» وحضر المؤتمر ممثلون عن بتروجراد ، وموسكو ، وفيتيبسك ، وفورونيچ ، وفولوغدا ، وريبينسك ، وساراتوف ، دبروفكا ، وكامبوف ، وبوريسوغليبسك ، وليفنى ، وكينيتسا . وايلنس ، وساراما ، وريازان .

وفى فترة انعقاد المؤتمر تلى التقرير الذى كانت موضوعاته قد نوقشت مسبقا بشكل متقن وتم اقرارها : « المعضلة الاساسية للسياسة الروسية - قضية الثورة الروسية ، تجارب الثورة الاشتراكية - تجارب البلاشفة فى مضمار الصناعة ، والمال ، والاقتصاد الحكومى ، والسياسة الخارجية . . نتائج التجارب - انهيار الدولة ، وتدهور الاقتصاد . . رد الفعل العنيف فى الغرب ، وضع الشعب اليهودى ، الانحطاط الاقتصادى وافتقار الوسطاء والتجار والمستخدمين والحرفيين نتيجة لمصادرة الاملاك فى الاجزاء المحتلة من روسيا ، ونفس العملية تجرى فى روسيا الاشتراكية حيث تجرى تجارب البلاشفة الذين خنقوا التجارة والصناعة . . ومطالبنا السياسية تبقى كالسابق : انشاء حكومة ائتلافية يستبعد منها البلاشفة . . » (١) .

ودارت حول التقرير مناقشات حامية . فنوه الدكتور ريس فى خطابه : « لقد قال البلاشفة ان عليهم ان يرسخوا دكتاتورية البروليتاريا . كيف سيتسنى لهم تحقيق كل هذا . . واى خط سنتبع بالنسبة للبرهة الراهنة ؟ علينا ان نتشبت بالنهج اليهودى : ولصالح اليهودية يجب ان تنشأ جمهورية روسيا الاتحادية . . كيف ينبغى ان نتصرف ، - استطرد الخطيب - هل سنذهب لخدمة

البلاشفة ؟ نعم ، اذ ان هذا ليس اعترافا سياسيا بسلطتهم ، بل مسألة خبز » (٢) .

اما ليزلى فقد قال فى خطابه : « ان البلشفية لا تزال تتمتع بالقوة ، ولهذا ينبغى تحديد اساليب النضال ضدها ، وفى حياتنا اليومية نصطدم باستمرار بالمؤسسات البلشفية ، اما الفئة المثقفة فقد قالت كلمتها ضد التخريب ، والى حد ما ، يجب علينا ان نتخلى عن التخريب وان لانتأخر عن العمل فى كافة فروع الحكومة البلشفية التى نستطيع ان نشتغل فيها » (٣) .

واكد مندوب استراخان زيلبرغ قائلا : « ان نضالنا هو تنظيم لجميع العناصر الديمقراطية من أجل القبض على زمام السلطة بعد سقوط البلشفية . . ان التنظيم اليهودى يبدأ من الوحدة » (٤) .

فكما هو واضح ، ان وراء الأبواب الموصدة تختنق عند الصهاينة كل رغبة فى مناقشة القضايا المرتبطة « بقدسية » جبل صهيون ووصايا التوراة عن « حب القريب » . وكان الحق على الأممية والحكم السوفياتى وحزب لينين هو محور جميع انفعالاتهم النفسية فى عصر اكتوبر العظيم . ان صياغة المخططات الملموسة وتجسيدها للنضال ضد الشيوعية هما نقطة انطلاق نشاطهم العملى . فمن غير المعقول ان يحدث شىء آخر مع انصهار « العقيدة » التى تصف الاشتراكية بقولها « عبر تاريخ حياتها الطويل لم تبتل اليهودية بمثل هذا العدو . . ان الاشتراكية هى العدو اللدود لليهودية ولافكارها القومية . . .

ان خطر الاشتراكية يكمن فى مذاقها المر المطلق بالذهب وفى انها تأتى الى الشعب اليهودى السوء الحظ متوشحة برداء « الصديق » ، وتقول له : « تعالوا الى ايها البؤساء وانا أريحكم » . على ان الاشتراكية ليست بتلك « الغيرية الافلاطونية » بل انها تتطلب « دفعا » لقاء لمجهودها .

ماذا تطلب الاشتراكية من اليهود ؟ يستطرد مؤلفو الوثيقة - . انها تطلب الكثير . فهى تطلب أولا ، التضحية بالجسد والدم ، الاشتراكية بقولها « عبر تاريخ حياتها الطويل لم تبتل اليهود بمثل الانقلابات غير معقولة بدون اهراق دماء » .

لقد خطت الاشتراكية على رايتها ما يلى : « ان تاريخ الانسانية،

هو تاريخ الصراع الطبقي ، أى أن المادية الفظة ومتطلبات الامعاء هى عامل التاريخ الوحيد ، وتقريباً ، قانون الحياة الخارق . فمهما يكن الشكل الذى ستتبلور فيه الاشتراكية - أمميا كان أو قوميا - فإن مصيرها ، على أى حال ، الهلاك . أما إذا قدر لليهودية أن تعيش حياة تاريخية أطول ، فما عليها إلا أن تستخرج من أعماقها مادة لمحاربة بسم الاشتراكية .

هذا ما حدث ، عندما نشأت الحركة المعروفة باسم الصهيونية بين يهود العالم كترياق . **ان الصهيونية خاق وبعث ، والاشتراكية هدم وانحلال .**

الصهيونية ، تعنى السلام ، والاشتراكية تعنى الضغينة :
الصهيونية ، تعنى توحيد جميع اليهود ، والاشتراكية تعنى نضال طبقة ضد أخرى داخل اليهود .

الصهيونية ، تحتاج الى النظام المعاصر (الرأسمالية - ي . ا .) ، أما الاشتراكية فإنها تشهر سيفها فى وجه هذا النظام .

ان الاشتراكية تعترض سبيل الصهيونية ، فلذا فانهما ليسا تقيضين . فحسب ، بل هما عنصران ينفى أحدهما الآخر نفياً تاماً .
فى كل مكان فيه يهود يقتضى وجود الصهيونية ، وهناك ، حيث تفجرى ، اضافة الى ذلك ، عملية الاختمار فى رؤوس اليهود ، فان الصهيونية أمر ضرورى « (٥) .

لقد أقر الصهاينة كلياً الاتصالات التى جرت مع القيصر الروسى . نقولاً الثانى عن طريق وزيره بليفه وستالين . وأجرى هرزل مباحثات ناجحة مع بليفه وفولغزون ، وأتباع هرزل - مع ستالين . واستجابت الحكومات المناهضة للثورة لكافة مطالب الصهيونيين والأميرلوف وكيرنسكى . وطبقاً لشهادة ن . سو كولوف ، فان المؤتمر السابع للصهاينة الروس الذى انعقد فى بتروجراد ، قد أيد باجماع ٥٢٢ صوتاً كيرنسكى « ضد أعدائه » ، وأعرب عن تعاضده مع قضية « استيطان فلسطين » . وفى روسيا لم يرق للصهاينة الحكم السوفياتى ، والنظام الاجتماعى والحكومى الجديد الذى كان يترسخ تحت قيادة فلاديمير ايليتش لينين والتلاشفة ليضع نهاية لاستغلال الانسان لأخيه الانسان . ان هذا النظام لم يرق للصهاينة بنفس الدرجة التى لم يرق فيها لحمايتهم الامبرياليين .

لقد كتب ريتشارد كروسمان فى كتابه « انبعاث الامة » :
« والآن ، وحيث ان الدولة الشيوعية فى الشمال تهدد مصالح
انكلترا الحيوية ، فعلى الاخيرة ان تقدر أهمية الوطن اليهودى
بالنسبة لها » (٦) .

وفى ١٧ نوفمبر عام ١٩١٧ ، تلقى صهيونىو كيف برقية
مستعجلة من بتروجراد جاء فيها : « بمزيد من السرور نعلن اليوم
عن استلامنا من المنظمات الصهيونية المفوضة فى لندن نص البيان
الذى اذاعته الحكومة البريطانية فى ١٠ نوفمبر ، والذى ينص
حرفيا على « ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى انشاء
مركز قومى للشعب اليهودى فى فلسطين » . ان فعل الحكومة
البريطانية النبيل يفتح عهدا جديدا ويحقق وصية هرزل . « انشروا
الخبر على نطاق واسع بين يهود منطقتكم ، وأقيموا الاجتماعات
الشعبية ، واتخذوا القرارات . ابرقوا . ميركاز » (٧) .

وهكذا ، أحاط مركز بتروجراد صهيونى كيف علما بما يسمى
بـ « وعد بلفور » ، الذى اتخذته الحكومة البريطانية فى نوفمبر عام
١٩١٧ ، أى ، فى نفس فترة الشروع العملى بالمحادثات بين بريطانيا
والحكومات الامبريالية الأخرى حول التدخل المسلح ضد الجمهورية
السوفياتية الفتية .

وما أن تلقى صهاينة كيف التعليمات من مركز لندن المتعلقة
بالاجراءات الواجب اتخاذها بشأن مرسوم انجلترا التشريعى الذى
أكد نيتها الثابتة فى الاستيلاء ، بشتى الوسائل ، على كافة المناطق
المتاخمة لقناة السويس ، حتى ظهر فى أوكرانيا المغامر المشهور
فلاديمير جابوتينسكى ، الشاعر الروسى والصهيونى ، وعميل عدد
من البلدان الكبيرة والصغيرة الذى تمكن ، فى الماضى القريب ، من
أن يحوز على ثقة الانجليز المطلقة ، واشترك مع شخص اسمه
ترومبلدورف فى تنظيم جماعة من الضهاينة عملت مع الجيوش
البريطانية بفية احتلال فلسطين .

ان المستعمرين البريطانيين المحترفين ، بشهادة ك. ي .
تشوكوفسكى ، منقح كتاب العقيد بيترسن وواضع مقدماته ،
قدروا عاليا جهود عملائهم . وجاء فى المقدمة التى وضعها
تشوكوفسكى : « من الطبيعى أن نهتم فقط بتلك الفصول التى

تحدث عن فصائل المتطوعين الصهاينة الذين التحقوا بالجيش البريطاني لاستعادة فلسطين . ان مؤلف الكتاب بيترسن ليس يهوديا ، بل هو انجلو ساكسونى كريم المحتد ، ومحارب محنك ، وعليم يركن اليه فى كل المعارك . لقد استوعب مهنته فى كل مكان : فى الهند ، فى افريقيا الجنوبية . . فى أوغندا ، فى كلودايك . . ولذا ، فان كيله المديح لآثر الصهاينة الحربية له وزن هام « (٨) .

وفلاديمير جابوتينسكى احد ملهمى اشد الافعال حزما فى تأييد الاحتلال البريطانى لفلسطين ، قد ارسل على وجه السرعة الى اوكرانيا لاجراء اتصالات وارتباطات مع بيتليورا .

لنستطرد قليلا . ان تلك الوثيقة الصهيونية «العملية» الباهتة اللون والمكتوبة بخط جلى تستلفت الانتباه العفوى لشخص يسير عبر المتاهات الغريبة الصهيونية فى معمعان الحوادث الكبرى الناتجة عن اول ثورة اشتراكية فى العالم .

فى ٥ ابريل عام ١٩١٤ ، بعث مجلس ادارة الجاليات اليهودية فى مدينة كولونيا الى ابراهام ايتسكوف دوموفيتش ، الذى يعمل كاتب حسابات عند الاخوان شركانسكى ، ويرأس ، فى مدينة لومج ، حلقة من الصهيونيين التابعين لهرزل ، برقية أعمال جاء فيها ما يلى : « بعد أن راجعنا حساب حصالات النقود الخاصة بالتبرعات ، رأينا انك لم ترسل لنا الا ٩٧ حصالة من أصل ١٠٨ موجودة لديك .

فى كل سنة نجمع ره فرنك ، فيمكن ، بمثل هذا المبلغ ، انشاء عشر مستعمرات . لقد قلنا منذ زمن بعيد ، منذ عام ١٩١١ وعام ١٩١٢ ، ان اليهود الروس يتخذون موقفا حماسيا من هذه القضية ، ولذا نرفع لهم شكرنا . ولكن ، على الرغم من الجهود التى بذلوها فى الآونة الاخيرة ، فان باستطاعتهم ان يقدموا لنا اكثر من ذلك . وحسب المعلومات التى حصلنا عليها ، لم يبدأ ما يقارب الالف مدينة فى روسيا بالدفع بعد ، ويدفع عدد كبير من المدن النزر اليسير وهذه المدن هى فيلنا وجبتومير وكوفنو وريغا .

ان روسيا تعطينا اكبر دخل ، وفى هذا المجال تعد روسيا اول دولة بالمقارنة مع غيرها من الدول ، فاذا قارنا بين السكان اليهود فى روسيا وغيرها من الدول ، فان روسيا تعطينا النزر اليسير . واذا قسمنا جميع الدول حسب نسبة السكان اليهود فيها والايراد

الذى نحصل عليه منهم ، فان روسيا تشغل المركز التاسع عشر .

ان حصة كل يهودى من يهود روسيا من مجموع الدخل لا تتجاوز الكسوبيكين ٠ أى اذا قسمنا كل ما جمع من أموال فى روسيا على مجموع اليهود القاطنين فيها تكون حصة كل يهودى كوبيكين « (٩) . فى مدينة جوميل وصلت فى ١٦ يونيو ١٩١٤ ، الى ل . كارانوفيتش الذى يسكن فى شارع جينرالسكى ، المنزل رقم ٠٠ ، قائمة بدخل المنظمة الصهيونية العالمية ، وذلك بالمارك الالماني : (١٠) .

روسيا ٢٣٧،٢٨٤،٨٣

النمسا ١٤٤،١٣٣،٢٧

أميركا الشمالية ١٤٣،٧٤٠،٥٠

ألمانيا ١٠٧،٩٠٥،١٧

كندا ٣٧،٥٦٣،٥٠

أفريقيا الجنوبية ٢٠،٧٦٦،٩٧

انجلترا ١٨،٨٦٢،١٤ الخ

من الواضح أن الوكالة الصهيونية العالمية قد قلصت دخلها ، ولكن ، حتى الأرقام المخفضة أكثر من اللازم ، تبين ماذا عنى تأميم وسائل الانتاج على سدى الكرة الأرضية الذى كان يجبى منه أتاوات كبيرة للتروست اليهودى الاستعمارى المستقر فى لندن ، وماذا عنى عند الزعماء الصهيونيين ، الذين بنوا حساباتهم بشكل ثابت على اللامامية فى روسيا ، انتصار المبادئ الإلينيئية للسياسة القومية فى الجمهورية السوفياتية الفتية . لقد وجهت ثورة أكتوبر الاشتراكية ضربة ساحقة للوكالة الصهيونية العالمية ، ولذا أخضعت كل جهود الصهيونية للإطاحة بالدولة السوفياتية .

لقد اشترك الصهيونيون ب « حكومات » دينكين ، والقائد سكوربادسكى وبيتليورا المزعومة . وقاموا بأعمال نشيطة من أجل خلق الفصائل العسكرية الصهيونية التى شهرت السلاح فى وجه السوفيات . ونشير هنا الى أنه ما بين عام ١٩١٨ و ١٩٢١ ، نظم اتباع دينكين ، وبيتليورا ، وبولاك - بولاخوفيتش نفسه ، واتباع ماخ ، ١٥٢٠ مذبحة عذب وقتل فيها عشرات آلاف اليهود . إلا أن هذا النشاط المعادى للثورة لم يعرقل مطلقا التعاطف الفكرى

والاقتصادي والعسكري لقادة الوكالة اليهودية العالمية مع هذا النشاط .

ولم تكن أعمال الصهاينة أقل نشاطا في مؤخرة الحكم السوفياتي . فبالإضافة الى التخريب ، أعاروا اهتماما جديا لما يسمى بـ « الاشكال العلنية » للنضال ضد الدولة السوفياتية ، منظمين بمختلف الدرائع عددا كبيرا من الجمعيات والاتحادات التي أصبحت مركز نشاط معاد للسوفيات .

ومثال على ذلك قصة اللجنة اللينينجرادية اليهودية لتقديم المساعدات (ليكوبو) ، وقد تأسست قبلها « الجمعية الخيرية اليهودية » المسجلة باسم بيتروجوبيسيولسكى في شهر أغسطس ١٩١٩ و « جمعية التعاضد اليهودية » .

وقد جاء في نظام تأسيس « الجمعية الخيرية اليهودية » ان « هدف الجمعية هو تقديم المساعدة الى سكان مدينة بتروجراد المعوزين ، وأنه لتحقيق مثل هذا الهدف ينبغي تقديم سلفة مالية بلا فوائد ، وتعويضات مالية ، وانشاء مطاعم يهودية » (١١) الخ .

هذا هو الكلام ، واما الأفعال فهذه هي : جاء في بروتوكول جلسة منطقة المدينة المركزية « لتفتيش العمال والفلاحين » التي عقدت في العاشر من يناير عام ١٩٣٠ والخاص بالفاء « اللجنة اليهودية اليهودية اللينينجرادية للتعاضد » ، ما يلي : قبل في الجمعية ، التي أسستها اللجنة اليهودية اللينينجرادية للتعاضد « تجار عليهم مديونية لـ « قسم المالية بمنطقة لينينجراد » ، وبعدها ، قبل ، زيادة على التجار اليهود ، تجار من قوميات أخرى . أن (لوكوبو) « اللجنة اليهودية اللينينجرادية للتعاضد » التي أخذت على عاتقها تقديم المساعدة لليهود الفقراء ، قد دعمت كليا التجار الذين موهتهم تحت ستار مؤسستها . وترأس هذه الجمعيات أشخاص لا يلمون مجرد المام بالانتاج أمثال آيزبرغ وليسمان . وكانت « اللجنة اليهودية اللينينجرادية للتعاضد » (لوكوبو) همزة الوصل مع المؤسسات الدينية ، تؤيد المشاعر القومية ، وتمارس الأعمال التجارية ، (قاعة البيع بالمزاد) وتحتوى في صف قياداتها على عناصر غريبة طبقيا » (١٢) .

وفي عام ١٩٢٧ غادر الاتحاد السوفياتي الى ليتوانيا البورجوازية

ى.ش. شنارسون ، كى يتسلم منصبه كحاخام ريفا الأكبر . وبعد
مضى بعض الوقت ، التقى شنارسون فى المانيا مع اثنين من ممثلى
الرأسمال الاميركى الكبير . وبعد هذا اللقاء ، أصبح شنارسون ،
انطلاقا من مصالحته الخاصة ، الشخصية الرئيسية التى تقوم
بايصال الأموال الضخمة المرسله من الجمعية الاميركية ذات النشاط
الهدام « دجوينت » الى عملياتها فى الاتحاد السوفياتى . وفى
الواقع ، كانت « اللجنة اليهودية اللينينجرادية للتعاقد » ستارا
يختبئ وراءها نشاط عملاء « دجوينت » على اراضى الاتحاد
السوفياتى .

وانصرفت السنون ، وترسخت الدولة السوفياتية التى صمدت
لهجوم العناصر المعادية للثورة فى الخارج والداخل . وبمقدار ما
كانت تمنى بالفشل مخططات القضاء على اول دولة للكادحين فى
العالم ، تلك المخططات التى كانت تحوكلها الامبريالية وعملاؤها ، كان
حقد الرجعية العالمية على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية
يزداد جموحا . لقد كان للصهيونيين حسابهم الخاص فى باب
« الشيوعية » .

وكما كتب عضو البرلمان البريطانى ريتشارد كروسمان : « أن
اليهودية لم تف بتعهداتها حول تأمين ملايين المهاجرين فى السنوات
الاولى لنشوء الوكالة اليهودية . ومن الطبيعى ، أن تكون الثورة
البolshevik أهم هذه الأسباب . لقد كانت روسيا دائما فى حسيان
الصهاينة المصدر الرئيسى للهجرة الى فلسطين » (١٣) .

واذا ما أضفنا الى التزامات الصهاينة المذكورة (امام امبريالى
بريطانيا العظمى) عاملا آخر أشد عمقا قد جرى الكلام عنه آنفا هو
سيل الايرادات الذى كان يتدفق من روسيا الى خزينة الوكالة
اليهودية ، فان سبب الضئيلة التى يضمها الصهاينة لبلاد
السوفيات يصبح مفهوما تماما .

لقد دعم العمال اليهود بنشاط ثورة أكتوبر الاشتراكية ،
وانصهروا فى عملية بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى . الأمر
الذى حتم أزمة الصهيونية ، التى تفاقمت نتيجة للقضاء على النشاط
الصهيونى السرى فى الاتحاد السوفياتى ورفض عدد كبير من
اليهود التعاون مع الصهيونيين .

ونتيجة لنشوء هذا الواقع ، اندفع القادة الصهاينة لصياغة تكتيك جديد ، وإيجاد طرائق جديدة لاتخاذ مؤسستهم . وفى هذا الوقت أنحسر مؤقتا بعبع « اللاسامية الابدية » وظهرت مكانه شعارات أكثر مرونة . « عندما انشأنا منظمتنا ، لم ننطلق أبدا من الآلام التى تعاني منها جماعتنا فى روسيا أو فى أى مكان آخر » . هذا ما اكده ن. سوكولوف (١٤) .

لقد اجتذبت مسألة صياغة موضوعات نظرية جديدة القوى « الاشتراكية » الصهيونية التى تناقص عددها . فصاغ ممثل هذه الجماعة من الحرس الصهيونى بيرل لوكر - هذه الموضوعة : « أن أمتنا ، وخاصة فى المجتمع الاشتراكى ، لا تقوى على طرح قضية تشردها ، فلذا يجب علينا ، بكل ما لدينا من طاقة ، ان نسعى الى خلق مركزنا فى فلسطين » (١٥) .

لقد أسس الاتحاد الاحتكارى الصهيونى ، معتمدا على دعم أنصار من ممثلى التجمعات المالية الامبريالية الكبرى ، عددا من المنظمات كلفت أن تنشر على نطاق واسع وبشكل مستمر الدعاية المعادية للسوفيات بهدف التشهير بأفكار الاشتراكية ، وكذلك بأن تنشئ داخل الدولة الاشتراكية نفسها فئة من « المثقفين الليبراليين » تتجلى حرية « تفكيرها » فى استيعاب وتبنى هذه الأفكار التى كانت تصاغ فى الخارج .

وفى عام ١٩٢١ تم فى انجلترا واميركا فى آن واحد انشاء وكالة الأنباء اليهودية على ايدى الرأسمالى الصهيونى يعقوب لاندאו ، والصحفى ميير غروسمان . وكانت وجهات نظر الاول الفكرية تحددتها رساميله ، والآخر - شغفه بهذه الرساميل .

وفى الفترة بين عامى ١٩١٣ و ١٩١٦ اشتغل جروسمان فى تحرير الصحف والمجلات الصهيونية التى كانت تصدر فى برلين وكوبنهاجن ، وفى عام ١٩١٧ فى كييف ، وفى عام ١٩١٩ حتى ١٩٣١ فى لندن .

وفى عام ١٩٣٣ وصل جروسمان الى نتيجة مفادها أن وجود فئة جابوتينسكى الاشتراكية الشوفينية المفرطة فى رجعيتها داخل الوكالة الصهيونية العالمية لا يكفى ، وأخذ يكون فئة أخرى تحلت اسم « الحزب الحكومى اليهودى » ، كرست نفسها لاجتثاث الشيوعية من الصهيونية !

وكان نوع نشاطات وكالة الأنباء اليهودية أكثر من مناسب لطبيعة معطيات سيرة حياة مؤسسيها .

وكان شريك جروسمان ، روبرت شتريكر ، ممثل الوكالة وزعمائها الصهاينة في النمسا . فأقام عرى صداقة متينة مع الموظف السابق في قسم العلاقات اليهودية في وزارة خارجية ألمانيا الامبراطورية ناحوم جولدمان . (وقد أسس شتريكر ، في حينه ، معه ومع المهاجر الأبيض سولوفاينشيك فئة « الصهاينة الراديكاليين » ومركزها برلين) . وتعددت لقاءات شتريكر وجولدمان ، وتباحثا ، وتأسفا على هبوط هيبة الصهاينة الألمان ونفوذهم في قيادة الوكالة الصهيونية العالمية (بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى) وتناقشا في إمكانية إعادة احياء هذا النفوذ . وخلال مباحثاتهما ، كان يتردد دائما اسم ستيفان وايز الذي أسس عام ١٩٢٩ فرعا للصهيونية العظمى ، ولفتت اليه تصريحاته الحقودة المعادية للشيوعية الانظار .

وقد تألق نجم الحاخام وايز بسرعة . وحين التقى مع شتريكر وجولدمان في فيينا كان رئيسا لـ « المؤتمر اليهودي الاميركي » ، احدى المنظمات اللاصهيونية المتمتعة في ذلك الوقت بنفوذ لا بأس به . وكان يسنده رجال المال الاميركيون الذين كانوا ينشدون فلسطين برغبة لا تقل عن رغبة انجلترا .

ان خيبة أمل بعض الدوائر الحاكمة في انجلترا في أهلية الوكالة الصهيونية التي تنفذ « مهماتها » ، والمشاحنات في قيادة هذه الوكالة الصهيونية ، والانخفاض الحاد في ايرادات الخزينة الصهيونية ، والأهم من ذلك ، رفض معظم الكادحين اليهود في الغرب التعاون مع الصهيونية . كل هذا ، ادى الى بروز فكرة تأسيس « منظمة عالمية » لا تمت بصلة الى الصهيونية ، كما يزعم ، مهمتها العمل تحت شعار « الدفاع عن حقوق يهود العالم » .

وكان الهدف الحقيقي لهذه المنظمة مدجسرا للرأسمال الاميركي ، الذي كان يناهض بعنف « سيدة البحار » في منطقة الشرق الادنى ، ومن ثم اقامة علاقات متينة مع الفاشية المترسخة في أوروبا ، أي محاولة اللعب على السباقات الرأسمالية بدون خسارة . (في بداية الثلاثينات كانت الفكرة جديدة ، لكن المبدأ كان قديما . فقبل ذلك

بعشرين عاما ، كانت الصهيونية تغازل فى آن واحد ، بلا حياء اللورد بلفور ، و غليوم الثانى ، و بليفه ، والسُلطان التركى ، والملك الايطالى .

وفى هذه الظروف « بزغ نجم » ناحوم جولدمان ، هذا المنفلت من العقال والوصولى الحريص الذى حددت نجاحه سلفا اتصالاته الواسعة ، والتربية التى تلقاها فى المكاتب المظلمة لوزارة خارجية الرايخ الثانى .

لقد سعى جولدمان فى البداية للحصول على اتفاق مع ستيفان وايز - رئيس « المؤتمر الصهيونى الاميركى » ، بشأن مسألة تأسيس المؤتمر اليهودى العالمى « اللاصهيونى » . وأعطى وايز موافقته بعد أن كسب رأى الممولين الاميركيين - الاصحاب الحقيقيين للمؤتمر الذى يتزعمونه ، مبدىا تفهمه للعرض ، وبروح عملية كسب ورقة الاشراف على المشروع ، واعداد مقابل ذلك بتفطية ٥٠٪ من ميزانية المنظمة الجديدة .

واقنع رئيس المنظمة العالمية الصهيونية وايزمان ، الذى ربط بصورة وثيقة مصيره بانجلترا ، الانجليز بأن مشروع جولدمان،الذى وضع بمعرفته ، سيجلب للتاج البريطانى ارباحا طائلة .

اما الخطوة الثالثة ، فكانت تستوجب ضمان تأييد الفاشيست .

وفى هذا الصدد ، قامت المخابرات الصهيونية بعملية جس نبض . فتحققت الآمال ، وأسرع جولدمان الى روما فى عام ١٩٣٤ ، حيث كان يتوقع الشىء الكثير من حديثه مع موسولينى . وذلك لأن علاقة الدكتاتور الفاشيستى بالمشروع الصهيونى لم تقلق جولدمان فحسب ، بل جميع الزعماء الصهيونيين الذين كانوا يتابعون باهتمام زائدهمهمة الدباوماسى الالمانى السابق .

وفى ١٣ نوفمبر عام ١٩٣٤ ، استقبل موسولينى جولدمان ، وجرى بينهما حديث استغرق ثلاثين دقيقة فى جو من الود والتفهم المتبادل . فاستحسن موسولينى فكرة تأسيس المؤتمر اليهودى العالمى ووعد بتأييدها . فتكللت مهمة جولدمان بالنجاح . وكان هذا بالنسبة لجولدمان شخصا يعنى الكثير . اذ ظهر اسمه لأول مرة فى الصحافة الاوروبية ، « الواسعة الانتشار » فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ ، الى جانب اسم « من أكثر الشخصيات قوة فى العالم الغربى . . »

وهكذا ، تمت « وراء الكواليس » مسألة تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية - المؤتمر العالمى اليهودى ، الذى أصبح ناحوم جولدمان أحد زعمائه . وحتى وقت قريب ، ١٩٦٨ ، وبعون الله ، بقى جولدمان فى آن واحد رئيسا للمؤتمر اليهودى العالمى والمنظمة الصهيونية العالمية .

وبهذا الشكل ، أسس التجمع العالمى الذى استمال للعمل فيه اشخاصا لم يتقبلوا بادىء ذى بدء العقائد والاهداف الصهيونية ، مؤمنا لنفسه دعما اضافيا من جانب الرأسمال الاميركى والايطالى ، وفيما بعد ، من جانب الفاشستية الالمانية . ومن أجل اهدافهم الخاصة واصل زعماء الصهيونية خدمتهم للتاج البريطانى ، لان الاتحاد معه فى تلك السنين كان يحتمه وضع بريطانيا القيادى فى عالم الكواسر الرأسمالية .

وفى عامى ١٩٢٢-١٩٢٣ ، قامت عصبة الامم بتحويل بريطانيا العظمى بوضع اشرافها على فلسطين . فناهض السكان العرب فى هذا البلد بحزم النير الاستعمارى مما جعل انجلترا تتكل ، اكثر من أى وقت مضى ، على الصهاينة فى عملية « تجهيز » فلسطين بسكان يكونون مستعدين لانجاز مهمة حراسة المصالح البريطانية . وشجعت بكافة الوسائل الاستيطان الصهيونى ، ولنعد الى الذاكرة ما كتبه الصحف البريطانية فى فترة ما قبل العشرينات . « .. بعد انتقال فلسطين كلية الى اشرافنا ينبغى علينا أن نكرس جهودنا لتركيز سكان يهود هناك ٢٢- هذا ما كتبه «مانشستر جارديان» . اما صحيفة « ايريتس تايمز » فقد نوهت بدورها ، قائلة « ان احسن وسيلة لحماية قناة السويس من وجهة نظر المصالح البريطانية هى تحقيق حشد سكانى موال لنا فى فلسطين » (١٦) .

وعلى مدى عشرين سنة ونيف من الجهود الجبارة (من ١٨٩٧ حتى ١٩١٩) ، تمكنت الدوائر الحاكمة البريطانية والصهيونيون من مضاعفة سكان فلسطين اليهود من ٥ الى ١٠ ٪ (١٧) من المجموع العام لسكان البلاد . ولم تكن هذه العملية سليمة نتيجة الرفض القاطع لاناس من اصل يهودى ، التوجه للعيش فى منطقة قناة السويس فحسب ، بل أيضا ، لكون ٩٠ ٪ من سكان فلسطين العرب اعتبروا الانجليز والمستوطنين اليهود الذين يزسلاهم

الصهيونيون الى فلسطين ، مستعمرين يعيشون على حساب الغير .

وتستأثر بالاهتمام ملاحظات أحد هاعام وآراؤه فقد قام في ذلك الحين بزيارة فلسطين : « اننا نعتبر جميع العرب همجا يعيشون مثل الحيوانات لا يعلمون ماذا يجرى حولهم . الا ان هذا ضلال كبير » . ويتساءل أحد هاعام فيما بعد : « ماذا يصنع ، في الواقع ، اخواننا في فلسطين ؟ . ان اليهود يعامون العرب بوحشية ويحرمونهم من حقوقهم الشرعية ، ويهينونهم دون أدنى سبب ، ويتباهون فوق ذلك بتصرفاتهم . انه لا يوجد أحد بيننا يستطيع أن يعارض هذا الجنوح الخطير البشع » (١٨) . (هذه الاقوال ، كما نعلم تخص الايديولوجى المرموق ، الذى ، احيل فعلا على التقاعد نظرا لعدم الحاجة) .

لقد كان أحد هاعام على شىء من بعد الرؤية كى يتصور الى أية نتائج سيؤدى ، في نهاية الامر ، الاحتقار والضعفنة نحو سكان فلسطين الاصليين ، لاسيما أن الزعماء الصهاينة كانوا يرسخونها في شرايين المستوطنين الاوروبيين بشكل مستمر ومفرض . وكان الوردات البريطانيون آخر من يمكن أن تقاوم هذه المسألة . فصرح اللورد بلفور جهارا بما عرف عنه من برود وقع : « . . ان مبدأ الحكم الذاتى يدل على صحة (!) الصهيونية على الرغم من انه لا يلائم كليا من وجهة النظر التكنيكية الصرفة » (١٩)

ان « الاساليب والموجبات التكنيكية » للدوائر البريطانية الحاكمة معروفة لدى جميع الضليعين في تاريخ الغزاة المستعمرين والحكم البريطانى الاستعمارى .

فقد جاء في تقرير اللجنة الملكية البريطانية المؤرخ عام ١٩٣٧ ما يلى : « في أعوام ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ ، انتفض العرب ضد اليهود . وفي عام ١٩٣٣ (وخاصة في مجرى انتفاضة ١٩٣٦ - ١٩٣٨ - ي . ا .) ركزوا نضالهم بوجه خاص ضد الحكومة . . وأصبح جليا ومحددا أن الانتداب البريطانى بالنسبة لهم ليس أكثر من محاولة وقحة للحفاظ على سلطة « الامبريالية » البريطانية تحت ستار الدوافع الانسانية نحو اليهود » (٢٠) .

ان جوهر الموضوع واضح ، وعلى ما يبدو لم يتوقع اللورد البريطانى ميلشيت نفسه الذى كتب في حينه : « لقد كان الشعب

العربى ينتفض ضد جميع الهجرات المتحضرة وضد جميع الاجناس والاعراق والمعتقدات (٢١) . ان تجربة جميع الدول الاستعمارية الكبرى على شواطىء البحر الابيض المتوسط واحدة في هذا المضمار . ففي المغرب والجزائر وتونس انتفض المغاربة بشكل مستمر ضد الدخلاء ، ومثل هذه المصاعب ظهرت امام الايطاليين في طرابلس الغرب « (٢١) » .

وهناك ما كتبه أحد زعماء الصهيونية ح . وايزمان :

« ان المسألة في فلسطين لا تنحصر في الاختيار بين اليمينيين وغير اليمينيين بقدر ما تنحصر بين عمل أكثر عدالة أو أقل عدالة . . » (٢٢) . انه مثال رائع لـ « الديالكتيك » الصهيونى ! ويطور أفكاره بصورة أكثر تحديدا الكاتب الانجليزى الاجتماعى هربرت سايدبوتام .

لقد كتب يقول : « ان الموضوع الذى تقرر أن الارض ملك أبدي لأمة معينة حالما تستوطنها هو مبدأ ديمقراطى أو ليبرالى كاذب . فمن الممكن استيطان هذه البقعة أو تلك ؛ فقط عندما يجلب وجود الأمة عليها منفعة للعالم باجمعه ، والا فان الامه تفقد مبرر وجودها الاخلاقى والسياسى ايئما جلت . كما انه ليس لهذا العرق أو ذاك حق مطلق فى تقرير مستقبله على أساس الحاق الضرر بمستقبل عرق آخر مؤهل أن يمنح العالم أكثر بكثير . . » (٢٣) .

وهكذا اكملت سعة اطلاع الصهيونيين الفكرى بعقيدة اخرى تتجاوب مع النظريات التى صاغها مفكرو الرايخ الثالث .

قبل عام واحد من وصول الهتلريين الى الحكم فى المانيا ، وقبل عامين من اجراء مباحثات جولدمان وموسولينى ، كان السكان اليهود فى فلسطين يشكلون ١٩٪ (٢٤) من مجموع السكان . وكان هذا كل ما توصل اليه الصهيونيون وحماتهم البريطانيون على مدى ٣٥ عاما من الجهود الجبارة والمصاريف الضخمة .

ولكن حتى هذا العدد - ١٩٪ - لم يكن يعكس فى الواقع نتائج نشاط الصهاينة . ففي عام ١٩١٧ كان السكان اليهود الاصليون فى فلسطين يشكلون نصف الـ ١٠٪ من سكان فلسطين اليهود

« (٢٥) » وهناك احد الصهاينة المعروفين الذى يعترف بصراحة ، ان نضال العرب ضد الاستعمار لم يكن يتصف بطابع خاص معاد للسامية .

الذين لم يصبحوا هكذا بفضل جهود هزل وشركاه اطلاقا . وفي وقت لاحق ، استقر قسم معين من اليهود في فلسطين ، وبلدان أخرى بحثا عن مأوى ، وذلك بسبب وقوعهم ضحية الثورة المضادة في أوروبا الشرقية ، وفقدانهم المأوى ، وليس لاهداف صهيونية اغتصابية ، لـ « أرض كنعان » . وهكذا فان عدد المهاجرين الى هذه البلاد على مدى ٣٥ عاما و «بتصريح» من الصهيونيين وتشجيعهم ، كان هزيلا جدا . وان واقع ظهور الحزب الشيوعي في فلسطين عام ١٩١٩ الذي ما زال حتى الان ينتهج خط نضال مظفر ، ينطلق من مواقع أممية ، لشاهد على أشياء كثيرة .

« ليس كل من « دان » بالصهيونية يلم الماما جيدا بأهدافها السامية . نحن نعلم ما تنتظرون منا - أنتم تريدون منا أن نحمل قناة السويس . علينا أن نؤمن طريقكم الى الهند عبر الشرق الاوسط . نحن على استعداد لانجاز هذه المهمة الشاقة ، لكن يجب عليكم السماح لنا بأن نصبح قوة قادرة على القيام بواجبها» (٢٥) . هكذا صاغ في العشرينات ماكس نورداو بوضوح الالتزامات المتبادلة بين الصهيونيين والبريطانيين .

وقد سعى الانجليز بشكل منهجي الى خلق مثل هذه القوة في فلسطين . لقد كان الصهيونيون اقتصاديا فئة ضئيلة من السكان اليهود الفلسطينيين ، ويوصفهم ممثلي الاتحاد العالمي اليهودي ، فقد شغلوا المراكز المهيمنة . ومن الناحية السياسية والعسكرية ساعدهم بكل حماسة منتدبو عصبة الأمم .

وقد وضعت جميع القوى الديمقراطية بين السكان اليهود ، ناهيك عن الاكثرية العربية ، تحت مراقبة متواصلة ، وكانوا باستمرار يتعرضون للتنكيل . وكان الجهاز المتشعب للمؤسسات الصهيونية التعاليمية منها والدعائية يأكل الجالية اليهودية في فلسطين كالصدا وبشكل مستمر .

في ذلك الوقت ، كان البريطانيون يسهمون مساهمة فعالة في تكوين جماعات حسنة التسليح من المستوطنين اليهود يطلق عليها اسم « الدفاع المدني » ، وكان في الامكان استخدام هذه الجماعات ضد حركة التحرير الوطني العربية . وحسب اعتقاد ف. جابوتينسكي ، دعى «اليهود ذوو التركيب الاستعماري» الى توجيه دفعة البلاد . « ماذا تعنى مسألة الأمن » - استنتج جابوتينسكي - في كلمته التي ألقاها أمام اللجنة الملكية البريطانية . هل أن أمة مثل

امتكم ، كدست تجارب استعمارية خارقة ، لاتعرف انه لايمكن الوصول الى الاستيطان ببساطة وبدون اصطدامات مع السكان المحليين .. اجعلوا دفاعنا الذاتى شرعيا . تماما كما تفعلون فى كينيا » (٢٦) .

وهكذا تم تعيين عميل الاستخبارات البريطانية المجرب اللورد تشارلز وينجيت ، قائدا لفصائل « الدفاع الذاتى » بغية تحويلها الى وحدات قتالية ، تأديبية محترفة . وكانت احدى المهمات الرئيسية لهذه الفصائل طرد العرب بالقوة من ارضهم الأصلية . وهكذا يصف اسرائيل بير - المستشار السابق لبن جوريون - نشاط الفصائل التأديبية الصهيونية بعد أن مرت فى مرحلة التاهيل على يدى وينجيت ، (كتب بير عن سحق انتفاضة العرب المسلحة عام ١٩٣٦ - ١٩٣٨) : « ان المجموعات الخاصة الليلة ، أكثر من أى قوة أخرى ، ضمنت القضاء على الانتفاضات (العربية - ي.ب.١) التى كانت تستهدف ، حسب اعتراف اللجنة الملكية الفلسطينية ، الانجليز ، أكثر منها اليهود . ولم يكن انشاء الفصائل الخاصة يهدف الى محقق حرب الفدائيين ، بل لحماية المنشأة الامبراطورية النفيسة - انبوب النفط العراقى (الذى كان يصب فى مرفأ حيفا - ي.١٠) (٢٧) .

« هاغانا » - هكذا كانت تسمى هذه القوات المسلحة التابعة للمستوطنين اليهود وكان من أبرز قادتها فيفل بولكس ، الذى كان رئيسا لمركز الاستخبارات الفاشية فى فلسطين وسورية . وكتبت الصحيفة الألمانية الغربية « شبيجل » بهذا الصدد ، فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٦ ، تقول : « ان العميل راىخسرت ، من مكتب الاستعلامات فى فلسطين ، أقام صلات مع واحد من أشهر رجال المنظمة الصهيونية السرية ، التى شغلت ، كما لم يشغل شئ غيرها (باستثناء المخابرات البريطانية) بال مخابرات ألمانيا . لقد كانت هذه المنظمة تدعى « هاغانا » وفى المركز الرئيسى لأركان هذا الجيش السرى عمل فيفل بولكس .. وقد وضعت تحت تصرفه كما أشار رئيس قسم مركز الاستخبارات رقم (١١١١٢) المختص بقضايا اليهود « خاغن » الذى حل مكان فون ميتدلشتاين ، هيئة جهاز أمن اليهود الفلسطينيين بكامله » (٢٨) المتشديد منى - ي.١٠) .

وفى نفس الوقت الذى كان فيه فيفل بولكس مع سفاحيه يخدم ، « الاحتياجات » الخارجية لألمانيا الفاشية ، لم يكن الدكتور

نوسيك ، الذى دافع فى زمن حكم غليوم الثانى عن مشروع توطين اليهود فى الدولة العثمانية خارج فلسطين ، أقل نزاهة فى خدمة « الاحتياجات الداخلية » للفاشيين . ان نوسيك الزعيم الصهيونى والكاتب ، والنحات ، والشخصية السياسية ، فى مكتب برلين حيث عملت فى حينه الشخصيتان الصهيونيتان المعروفتان كارتور روبين ويعقوب تون (٢٩) ، قد صاغ وبمعية النازيين خطة القضاء على عجائز اليهود الألمان وفقرائهم وعاش نوسيك حتى الثمانين . وفى هذا العمر ، وحسب شهادة موشيه سنيه ، نفذ فيه حكم الاعدام مناضلو « غيتو - فرصوفيا » ، الذين عاموا الكثير عن جرائمه . « هاك الى أى حد - كتب سنيه - وصل اخلاص الزعيم الصهيونى البارز، للإمبريالية الألمانية » (٣٠) .

ان جولدمان ، وبولكس ونوسيك - حلقات الاتصال المباشر مع الفاشية - لم يتصوروا أنفسهم بالأشخاص الشاذين . « لقد تقبل الصهيوونيون ترسيخ النازيين فى المانيا لا ككارثة وطنية ، - كتب الصحافى الألمانى هانس خينه ، - بل كامكانية تاريخية فريدة لتحقيق النوايا الصهيونية » . واكد قائلا « حالما رفع الصهيوونيون والاشتراكيون القوميون العرق والقومية الى مستوى الأشياء الأخرى ، كان من المحتم أن يمتد بينهم جسر مشترك » (٣١) .

وقد أشار المعلق الصحفى الأمريكى موريس كوهين الى هذا الرأى الذى محضه تأييده ، فقال : « ان الصهيوونيين يشاطرون مبدئيا الايدلوجية اللاسامية ، لكنهم يستخلصون من ذلك نتائج مغايرة . فمكان التوتونى حل اليهودى ، الذى يمثل العرق الأنقى والأرفع » (٣٢) .

وفى عام ١٩٣٣ كان السكان اليهود فى فلسطين يشكلون حوالى ٢٠٪ من مجموع السكان - ٢٣٨ ألف شخص . وما أن حل عام ١٩٣٦ حتى قفز هذا الرقم الى ٤٠٤ آلاف ، أى أكثر من مرة ونصف المرة (٣٣) . فمن السذاجة القول أن أغلبية تدفق المستوطنين الجدد هى نتيجة لـ « انتصار » الأفكار الصهيونية . ان وحشية المذابح الفاشية هى التى أكرهت اليهود على البحث عن ملاذ ، وكانت فلسطين واحدة من المناطق العديدة التى وجد فيها اللاجئين المأوى . وقد اضطر الصهيوونى ايدلمان أن يعترف بهذا الواقع اذ قال : « ان اليهود لم يتوجهوا الى فلسطين من أجل هدف محدد لخلق موطن قومى لليهود ، بل سعوا اليها لانقاذ حياتهم فقط » (٣٤) .

وفى هذه المرحلة ، فى برلين وبتأييد من السلطات النازية ، عمل مايسى بالمكتب الفلسطينى بجد بالاشتراك المباشر مع رئيس الوزراء الاسرائيلى فيما بعد ليفى اشكول على « تصنيف » اللاجئين ويشهد جون ودافيد كيمشى ، مؤلفا كتاب « دروب غير منظورة » ، بأن المبعوثين اليهود الفلسطينيين « سافروا الى المانيا النازية ليس من أجل انقاذ اليهود الألمان ، بل من أجل انتقاء الرجال والنساء الشباب المتأهبين للتوجه الى فلسطين ، كى يصبحوا روادا يناضاون ويحاربون » (٣٥) .

ويؤكد هانس خينه ، معتمدا على معطيات وثائقية ، بأن : « . . رئيس قسم مركز الاستخبارات لشئون اليهود رقم (١١١٢) فون ميتدلشتاين دعم بكل اقوته نشاط المنظمات الصهيونية المتعلق بإنشاء معسكرات تختص بإعادة تربية اليهود الشباب واعدادهم للاستفادة منهم فى التعاونيات الزراعية فى فلسطين . وقد تابع باهتمام عمل الصهيونيين ، وأعطى فى قسمه أمرا بوضع خرائط خاصة يدون فيها نمو الصهيونية بين اليهود الألمان » (٣٦) .

ان هذه المعسكرات المسماة بمعسكرات « إعادة التربية » انشئت فى المانيا الفاشية نتيجة المباحثات التى جرت بين المبعوثين اليهود وايخمان . « لقد كان ايخمان يحتقر اليهود المتجنسين . ويثير حنقه اليهود المتشددون . لكن ايخمان كان يحب الصهيونيين ، وذلك لان المتشددين ، هؤلاء كانوا مثله » مثالين « (٣٧) » - هذا ما كتبه الصحفية الاسرائيلية حنة أردنت .

وكما نعلم ، كأن الصهاينة ينشدون دائما للاسامية ، فقد علقوا عليها ، صراحة ، آمالهم ونجاحهم . ولذا ، كان كل شىء طبيعيا لقيام اتحاد سرى بين الصهيونية والفاشية . وسعيا منهم وراء اهدافهم استجابوا على طريقته لولائم الفاشية المعادية للاسامية ، وكتب الصهيونى البريطانى اللورد ميلتشات ، فى الكتاب الذى اصدره عام ١٩٣٧ ، أن اضطهاد اليهود فى المانيا يشكل عائقا فى طريق قيام تفهم متبادل بين الشعب الالماني وبقية الشعوب الاوروبية وبهذا الخصوص ، وبغية تحسين الوضع الناشئ ، اقترح ميلتشات اجراء اجلاء جماعى شامل لليهود الألمان وتوطينهم فى فلسطين . لا يجوز ، ولا بأى شكل من الاشكال ، تسمية كتاب ميلتشات وثيقة تفضح وحشية الفاشية (٣٨) .

وكان موقف حايم وايزمان من أحداث المانيا أكثر برودة

وتساهلا . وجوابا على استفسار اللجنة الملكية البريطانية حول امكانية ترحيل ٦ ملايين يهودى المانى غربى الى فلسطين اجاب :

« لا . . . القدمات سيرحلون عن هذا العالم . . . انهم الغبار الاقتصادى والاخلاقى لهذا العالم الكبير - وسيبقى الشباب فقط » وبعد مضي ٢٢ عاما على هزيمة المانيا الفاشية ، باح الزعماء الصهاينة بسر الاسباب التى استدعت اتخاذ هذا الموقف الحيادى المخلص . « لو كنا ، نحن (الصهاينة) ، قد راينا مهمتنا الاساسية (التشديد منى - ي.ا.) فى انقاذ العدد الاكبر من اليهود - هكذا اعلن احد الصهيونيين المعروفين العازر ليفنيه - لوجب علينا التعاون مع الانصار - لقد كانت قواعد الانصار منتشرة فى بولونيا ، وليتوانيا ، وفى المناطق المحتلة من روسيا ، وفى يوغسلافيا ، وفيما بعد فى سلوفاكيا . ولو كان هدفنا الرئيسى (التشديد منى - ي.ا.) هو اعاقه القضاء على (اليهود) ، ولو اقمنا ، نحن ، صلات مع قواعد الانصار ، لاستطعنا انقاذ الكثير » (٣٩) .

وبهذا الصدد اعلنت الشخصية الصهيونية حايم لاندאו علانية آراء اسحق غرينباوم ، الذى ترأس فى سنوات الوحشية الفاشية ، اللجنة الصهيونية التى يطلق عليها اسم « لجنة الانقاذ » : « عندما سئلت - كما يستشهد لانداو يقول غرينباوم - هل ستعطى الاموال من المجهود الصهيونى لانقاذ اليهود فى بلدان التشرذ ، اجبت « كلا » وها انا من جديد اقول « لا » . اعتقد ان من اللازم مناهضة هذه الموجة التى يمكن أن تفرقنا وتدفع بنشاطنا الصهيونى الى المؤخرة » (٤٠) . لقد انحصرت سياسة زعماء الصهيونية فى التشجيع الصامت للفاشيين (على أساس تواطؤ المبعوثين الصهيونيين مع ايخمان) وايجاد الشروط ، التى تساعد عملية اضطهاد اليهود فى المانيا لتقطع شوطا آخر ممكنا ، والى جانب ذلك ، قامت فى المنظمة ضجة احتجاجات متأخرة بقية كسب رؤسما سياسى أو غيره .

وأشارت حنة أردنت الى الاثار الرئيسية « للاتفاق المتبادل والمرضى الى حد كبير ، بين السلطات النازية والوكالة اليهودية » ، فكتبت تقول : « ان النتيجة المباشرة لذلك هى أنه فى الثلاثينيات ، وفى الوقت الذى بذل فيه اليهود الأمريكيون مساعى جديدة لقاطعة البضائع الألمانية ، كانت فلسطين تفرق بالبضائع التى تحمل العلامة التجارية « صنع فى المانيا » (٤١) .

وكتب الصحافي الأمريكي داود فلينكر في صحيفة « توك مورغان جورنال » بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٦٣ ، مؤكداً على « الاتهام الذي وجه لبن جوريون . وهو على رأس الوكالة اليهودية في اورشليم ، كونه عقد « صفقة » مع الحكومة الهتلرية بغية استلام اموال المهاجرين اليهود اليهود بضائع ألمانية . ومن ثم اجساد الحصار المضروب حول النازيين . . » . وأكثر من ذلك ، لقد اتهم الكاتب بن جوريون علانية بالصمت المقصود في تلك المرحلة التي أصبحت فيها وحشية الفاشية معروفة للرأى العام العالمى فى ٢٥ نوفمبر عام ١٩٤٠ ، أدى نسف السفينة « باتريه » فى مرفأ حيفا ، الى مقتل ٥٠ شخصا من طاقم السفينة و ٢٠٢ راكبا من المهاجرين .

وعلى أحد مفارق المتاهة المعقدة للاحداث فقد هؤلاء الناس حياتهم بدون أن يعرفوا قتلهم ، ولا أسباب الاجرام الحقيقية . وقد سبقت هذه المسألة سلسلة كاملة من الاحداث . وكانت تبدو وكأنها حلقة من المناورات المعقدة دبرها وانجزها بطريقة محكمة رؤساء المؤسسة الصهيونية . فالتحدث عن ذلك أمر ضرورى من أجل العودة من جديد الى حادث الانفجار على « باتريه » . كان يعقوب ح . شيف وصهره ووريثه فيلكس ل . فاربورج . وابن هذا الأخير ادوارد فاربورج ، يعدون بين كبار أصحاب المصارف الاميركيين « اشخاصا متوقدى المخيلة » . لقد نشر بداية هذه السمعة صاحب مصرف « كون وليب وشركاهما » يعقوب شيف ، الذى اصبح السيد الحقيقى لـ « اللجنة اليهودية الاميركية » المؤسسة عام ١٩٠٦ ، والتي أشهرت قضية « الدفاع عن اليهود فى العالم أجمع » بصفة بند أساسى لبرنامجها . على أن مشروع شيف لم يكن يتميز بابتكاره ، وذلك لأنه لم يكن الا تكرارا للمشروع البريطانى الذى كان يعول فى أوروبا على المؤسسة الصهيونية العالمية التى أسسها هرزل . الا انه كان يبدو لاميركا شيئا جديدا وكان على « اللجنة اليهودية الاميركية » تحت مظهر الاهتمام بمصائر يهود هذا البلد أو ذاك ، أن تسهل تسليل رأسمال « كون وليب وشركاهما » وشركة « الاخوان نيومان وشتراوس » الى مناطق مختلفة من الكرة الأرضية . (ولنلاحظ أن الحاخام الريفى شنارسون كان يلتقى فى ألمانيا مع ممثلى جماعة الماليين هذه) . فطبقا لتعليمات رؤسائها ، اتخذت « اللجنة اليهودية الاميركية » بادىء ذى بدء ، موقفا مناهضا كليا للصهيونية ، وذلك لأن

الصهيونيين محضوا حمايتهم لتسليح رأسمال دولة عظمى أخرى هي إنجلترا . على أنه فى عام ١٩٢٦ ، قام مصرف « كون وليب وشركاهما » ، و « الاخوان ليتمان » وبمشاركة رأسمال أ. مارشال ول . شتراوس ، بإنشاء « الاتحاد الاقتصادى الفلسطينى » . ولمصلحة جيوبهم الخاصة وقفوا كالطود الى جانب الصهيونية . وخلال زهاء عشر سنوات ، « صهر » هذا التكتل المالى بتأييد عدد كبير من كبار ممثلى رأس المال اليهودى ، أغلبية المنظمات اليهودية الأميركية (بما فى ذلك الجمعيات الدينية) فى منظمات صهيونية أو موالية ، وخلال قرابة عشرين عاما استطاع هذا الاتحاد أن يضاعف رأسماله المساهم خمس مرات ، وان يخضع لنفوذه معظم فروع الاقتصاد الفلسطينى .

وفى عام ١٩٢٩ ، قام أ. مارشال ، أحد المساهمين فى « الاتحاد الاقتصادى الفلسطينى » ، باستكمال المحادثات مع قادة المنظمة الصهيونية العالمية إلموالين لانجلترا ، من أجل ضم الأميركيين « اللاصهيونيين » ، الى الوكالة الصهيونية الأوربية - المجلس الاستشارى - التشريعى التابع للمندوب السامى البريطانى فى فلسطين * . (وفى عدد الـ ٥٠٪ من « لا صهيونى » الوكالة ، ممثلو كبار رجال الاعمال الاميركيين)

وفى عام ١٩٣٦ ، بدأ يتكون المؤتمر اليهودى العالمى الانف الذكر - الفرع « اللا صهيونى » للمنظمة الصهيونية العالمية . وقد هيمن على قيادة المؤتمر اليهودى العالمى بشكل سافر ، ممثلون وعملاء ماجورون لرجال المال الاميركيين برئاسة ناحوم جولدمان .

لقد رأى الزعماء الصهيونيون فى تأسيس « المركز اليهودى القومى » فى فلسطين ، عملا مؤهلا لجلب لهم ، بصورة خاصة ، منافع ضخمة . أما المرامى التى استهدفوها بهذا الصدد ، فقد جرى الحديث عنها بشكل مسهب فى الفصول السابقة . ان تعاون الصهيونيين الوثيق مع الانجليز حتى عام ١٩٣٩ ، كان يفسر بتطابق مصالح الأوساط البريطانية الحاكمة مع مصالح زعماء الصهيونية فى منطقة الشرق الأوسط من ناحية ، ومع المركز القيادى الذى كانت تشغله بريطانيا آنذاك بين الدول الامبريالية الكبرى ، من ناحية أخرى . .

(*) يرجى عدم خلطها مع وكالة الانباء اليهودية - دائرة الدعاية للصهيونية العالمية . .

ان تنشيط تسليح رأس المال الاميركي الى فلسطين ، ونمو نفوذه داخل الاتحادات اليهودية ، وبنفس الوقت مفاولة الصهيونيين للنازيين والاميركيين ، كانت تضع الاوساط المالية في لندن أمام ضرورة الضغط على قيادة الاتحاد الصهيونى بغية اكرامها على التعاون المطلق معها .

وفى عام ١٩٣٩ اقرت بريطانيا العظمى - صاحبة العديد من مشاريع تهجير اليهود لاستيطان فلسطين - وبصفة أحد التدابير، قانونا يفرض قيودا صارمة على هجرة اليهود الى فلسطين ، وفى ذات الوقت ، سعت الى استمالة الزعماء الاقطاعيين من سكان فلسطين الأصليين لتنظيم اصطدامات مع المستوطنين اليهود .

وفى ذات الوقت ، استمر الارهاب النازى ضد اليهود بقسوة متنامية . وأصبح طريق آلاف الناس فى ألمانيا يمر اما عبر معسكرات الاعتقال واما عبر معسكر « اعادة التربية » وفلسطين . لقد كتب أحد قادة الاستخبارات الألمانية ، هافن ، مستشهدا برأى بولكس - العميل الصهيونى والنازى ، يقول : « كان يسود الاوساط اليهودية القومية ارتياح عميق لسياسة ألمانيا الجذرية تجاه اليهود وذلك لان هذه السياسة تساعد على زيادة السكان اليهود فى فلسطين بشكل يصبح معه بالامكان الاعتماد على تفوق السكان اليهود على العرب فى المستقبل القريب » . (٤٢)

وأشار هانس خينه الى أن السياسة البريطانية قد اصطدمت بمناهضة الكتلة الصهيونية ، المؤيدة من منظمة «الهاغانا» والتي كان فى قيادتها بولكس ، الشخصية الموثوقة عند ايخمان . (٤٣) وقد قامت هذه المنظمة « بتكوين شبكة أوروبية من الرجال الموثوقين، الذين كانوا يسهلون هجرة اليهود بصورة سرية الى فلسطين . وكان رجال جولومب على شئ من القسوة للاستفادة منهم فى التهجير بمساعدة رجال الحرس الهتلري الخاص . » (٤٤)

وفى محاولة لفك عقدة الارتباطات السرية بين النازيين والصهيونيين ، يروى خينه أنه « فى وقت المجازر اليهودية التى كانت تحمل اسما اصطلاحيا « الليل الشفاف » ، وصل اثنان من ممثلى الماسادا (✱) - بينو جينتسبورغ وموشيه افرباخ ، الى راين أدولف هتلر ، وعرضا عليه الاسراع فى البرنامج الصهيونى الخاص باعادة تربية اليهود الراغبين فى الرحيل الى فلسطين . .

(✱) الماسادا ، واحدة من المنظمات التى اسسها زعماء « الهاغانا » .

.. وكان على وسائل المواصلات الألمانية التابعة للمسادا
التي تنقل اليهود - وهذا كان شرط المخابرات الألمانية غيرالرسمى
- عدم التلميح الى فلسطين كوجهة سفر » . (٤٥)

وفي مارس ١٩٣٩ ، أعد ب . جينتسبورج أول وجبة له من
المجندين الجدد . « لقد كانت هذه الدفعة تضم ٢٨٠ نازحا ، كما
يشهد خينة . وكانت المكسيك هي البلد المعين للسفر اليه تنفيذا
لأمر هيئة أركان الرايخ . وفي فيينا انضمت هذه الدفعة المؤلفة
من ٢٨٠ شخصا الى جماعة كان قد جهزها موشيه افرباخ . وفي
المرفأ اليوغوسلافى سوشاك ، نقل هؤلاء الى السفينة « كولورادو »
وبالقرب من كورفو انتقلوا الى السفينة « أوترنتو » ، حيث أوصلوا
الى فلسطين . فكلما كان انفعال السلطات البريطانية شديدا ،
كانت رئاسة أركان هايدريخ أكثر استعدادا لتقديم المساعدة
(للصهيونيين) . وما أن انتصف فصل الصيف حتى أذنت رئاسة
أركان هايدريخ لجينتسبورج بتوجيه المركب الى ايمدن وهامبورج
من أجل ترحيل اليهود من ألمانيا مباشرة .. » (٤٦)

وكما نعلم ، لم يتركز هدف الصهيونيين على الاهتمام بانقاذ
حياة الناس ، بل على زيادة عدد المستوطنين اليهود فى فلسطين .
ومثل هذه السياسة كانت تستجيب كلية لمصالح الرأسمال
الاحتكارى الاميركى ، الذى شرع يتألف بشكل سافر مع الاتحاد
الصهيونى العالمى (خرقا للعقود القديمة مع انجلترا) . وقد
حددت هذه الظروف بالذات مسبقا مصير ركاب السفينة
« باترييه » .

فعندما ألقى المركب بمراسيه فى مرفأ حيفا ، رفضت السلطات
الاستعمارية البريطانية استقبال المهاجرين ، متذرة بأمر حكومى
ومشيرة الى أنها ستقود المركب مع مسافريه الى جزيرة
« موريس » ، وعندها اتخذت المخابرات الصهيونية قرارا بنسف
« باترييه » مع ركابه .

وفيما عدا بعض الأسباب الموهة الكامنة وراء تحقيق هذا الفعل
الوحشى ، كان الشئ الجلى هو أن الصهيونيين ، قبل أن يقدموا
على نسف « باترييه » مع ركابها ، أعدوا أسطورة لم يسبق لها
مثيل عن الانتحار الجماعى لأولئك الذين « فضلوا الموت على فراق
الوطن » . وقد حسب زعماء الصهيونية أن مقتل الناس ونشر
مثل هذه الخرافة قد يساعدان معا على ترسيخ « روح الصهيونية

فى كل مكان » ، ويوقظان الرأى العام العالمى ضد الانجليز وبالتالى يساهمان فى القضاء على القانون البريطانى الذى يحد من الهجرة الى فلسطين ، الامر الذى كان يلقى تأييدا نشيطا فى ذلك الوقت من قبل اوساط مالية اميركية معينة .

ان حدوث الانفجار (فى « باترييه » - ي . ا) لم يكن عملا شكليا ، - كما كتب جون وداود كيمشى . ولم يكن سرا على أحد ان « الهاغانا » ، هى التى نظمت هذا الانفجار . ولكن داخل فلسطين وخارجها - كما يشير الكاتبان - لاقت رواجاً كبيراً الأسطورة القائلة ان المهاجرين هم الذين نسفوا المركب . . » (٤٧)
وعند قيام اتصالات بين قيادة المنظمة الصهيونية العالمية وكبار ممثلى الرأسمال الاميركى (فى اواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات) ، بدأ عدد أعضاء المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة ينمو باطراد حتى بلغ فى عام ١٩٤٥ ، ٤٠٠ ألف شخص . وقد كتبت الصحيفة اليهودية الاميركية « فورفارد » فى ١١ ديسمبر ١٩٤٣ كاشفة عن أسباب هذا النمو السريع تقول : « ان المؤتمر اليهودى (فى الولايات المتحدة . ي . ا) يستيقظ فقط عندما تفوح فى الجو رائحة الأعمال المرتبطة بفلسطين ، وينسام عندما تطرح مسألة انقاذ اليهود من التشتت » . من البديهي أن مصرف « كون وليب وشركاهما » قد لعب دورا كبيرا فى خلق مثل هذا المزاج . وتجدر الإشارة الى أن « الانتعاش » عند مناقشة القضايا الفلسطينية لم تستثره رغبة التوجه للسكن فى « أرض الميعاد » ، وان الهجرة من الولايات المتحدة الى فلسطين كانت على مدى السنين ضعيفة جدا . وباعتراف وزارة الخارجية الاميركية فان الولايات المتحدة (وبعبارة أخرى الاحتكارات الاميركية) كانت تهتم ، طول سنى الانتداب البريطانى ، بفلسطين ، وتعارض قانون عام ١٩٣٩ الذى حد من الهجرة » . (٤٨) وفى ديسمبر من عام ١٩٤٢ طالب ٦٣ شخصا من مجلس الشيوخ الأمريكى و ١٨١ من الكونجرس ، روزفلت ب « إعادة بناء الوطن اليهودى » (٤٩) وفى يونيو عام ١٩٤٥ ، توجهت أغلبية المجلسين الى ترومان بطلب ترجوه فيه أن يستعمل كل ما لديه من نفوذ لفتح فلسطين « بهدف تسهيل الهجرة اليهودية والاستيطان » .

(لنلاحظ أن جميع الوثائق الموضوعة فى أزمنة مختلفة ، تشهد على أن جميع القوى المعنية ، بدأ بنابوليون بوناپرت وانتهى بالاساط الحاكمة الامبريالية الاميركية التى برزت الى الصفوف الاولى بعد

الحرب العالمية الثانية ، تحدثت بشكل جلى لا يقبل الريبة عن استعمار البلد المعروف بفلسطين) .

ويبين ا . ليلنتال انه بدأ من ديسمبر ١٩٤٢ أصبح الرؤساء الاميركيون موضع ضغط هائل من قبل الشيوخ والنواب الذين كانوا يطالبون باكراه انجلترا على رفع قيودها عن الهجرة الى فلسطين . (تنبغى الملاحظة بأن الرأسمال المساهم لشركة أميركية واحدة - « الاتحاد الاقصادى الفلسطينى » - تضاعف ، الى ذلك الحين ، أكثر من ٤ مرات ، وكان بحاجة الى ضمانات وحماية) . وفى غضون ذلك شهد وزير المال فى حكومة روزفلت ، هنرى مورجمانتا ، « انه بدأ من أغسطس عام ١٩٤٢ (التشديد منى . ي . ا) عرفنا ، نحن ، فى أميركا أن النازيين يخططون للقضاء على جميع اليهود فى أوروبا . وبعد عام ونصف العام أصبح المخطط الجهنمى معروفا ، والادارة الحكومية الاميركية لم تعمل شيئا عمليا » . (٥٠) .

وهكذا طالب الشيوخ والنواب برفع القيود التى فرضتها انجلترا فى فلسطين على الهجرة ، وكذلك بحرية نقل اللاجئين الى الشرق الاوسط - وليس الى الولايات المتحدة الاميركية حيث كانت مئات البواخر تبحر وهى « فارغة » بعد أن تبقى حمولتها فى أوروبا فأغلقوا بذلك حقا طريق الخلاص الوحيد أمام آلاف اليهود .

وحسب رأينا ، تظهر هنا بجلاء البصمات المألوفة « للاتحاد الاقصادى الفلسطينى الاميركى » والمركز الصهيونى .

وفى السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية أصبحت وحشية الهتلريين معروفة لدى الراى العام العالمى . على أن الصهيونيين المشتركين فى العديد من الأعمال الاجرامية بقوا فى الظل . واستغلوا امكانيات ووسائل حلفائهم فتجنبوا الحسب تاركين وراءهم متاهة الدروب المعقدة .

وفى تلك الفترة ، كانت « لجنة الانقاذ » ، المعينة من قبل الوكالة اليهودية الصهيونية تمارس أعمالها فى المجر ، برئاسة الصهيونى رودولف كاسنر ، الذى كان على علاقات متينة مع ايخمان . « لقد كان الدكتور المجرى كاسنر ، أبرز « مثالى » يهودى التقى به ايخمان » . « لقد توصل معه ايخمان الى اتفاق حول الترحيل « السرى » (الى فلسطين - ي . ا) لبضعة آلاف من اليهود تحت حماية البوليس الالمانى مقابل ضمان كاسنر « الهدوء والنظام »

فى المعسكرات (المجرية - ى.ا) التى سيرحل منها مئات الآلاف الى أوستفنسيم » . وأشسارت ح. أردنت الى أن « اليهود المسورين وأعضاء منظمة الشبببة الصهيونية ، الذين أنقذوا نتيجة للتواطؤ ، كانوا فى مفهوم ايخمان أفضل مادة بيولوجية ، بحيث يكون الدكتور كاسنر ، انطلاقاً من وجهة نظره ، (أى ايخمان) قد ضحى بجماعته (نصف مليون انسان - ى.ا) من أجل الفكرة .. » . (٥١)

لقد وصل الدكتور كاسنر سالما الى فلسطين ، وبدل اسم رودولف باسم اسراييل ، ومن ثم أصبح شخصية صهيونية معروفة فى حزب « الماباى » الذى يرأسه بن جوريون وجولدا ماير . ولكن أجهز عليه البوليس السرى الاسرائيلى (٥٢) فى وقت لاحق لاعترافه بواقع اشتراك المركز الصهيونى فى عملية القضاء على مئات آلاف اليهود المجرين .

... أنصرم عام ١٩٤٤ . وتحت ضربات الجيش السوفياتى الجبارة أخذ الجيش الهلترى يتقهقر . وبدأت بشكل حاد تلمس الخسائر فى التكنيك والأرواح . ومن أجل ثقل وحشد الجيوش فى أكثر قطاعات الجبهة الشرقية صعوبة ، كان على القيادة الألمانية أن تؤمن وسائل النقل التى تشتمل على آلاف سيارات الشحن . وفى أوائل ابريل عام ١٩٤٤ ، تسلم ايخمان تكليفا بأن يؤمن عن طريق الصهيونيين تسليم عشرة آلاف سيارة شحن الى الجبهة الشرقية مقابل وعد بتحسير الاشخاص من أصل يهودى والموجودين فى المعسكرات الألمانية بفيئة ترحيلهم الى فلسطين . (فى ذلك الوقت كان السكان اليهود فى فلسطين يشكلون ٣٠٪ من مجموع السكان العام) . وفى المجر تلاقى ايخمان مع أحد زعماء الصهيونية ، جول براند ، وبدون أدنى إبطاء ، أعلم براند اللجنة الصهيونية التى أرسلته الى اسطنبول ، باقتراح النازيين بفيئة مناقشة المسألة مع ممثلى الوكالة اليهودية . (٥٣)

وبدون تردد ، وافق الزعماء الصهيونيون برئاسة ح. وايزمان على تسليم قيادة الجبهة الشرقية الألمانية عشرة آلاف سيارة شحن . (٥٤) لقد كان القرار الذى اتخذه الصهيونيون طبيعيا جدا، اذ أنهم كانوا دائما يعتبرون الاتحاد السوفياتى وقواته المسلحة أعداء مباشرين لهم .

ان السياسة ورجال الأعمال الصهيونيين الذين ما فتئوا يصرخون بأنهم هم « المدافعون » عن جميع يهود العالم و « المحسنون »

اليهم ، لم يربكهم اطلاقا واقع أن صفوف الجيش الذى بذل كل جهده من أجل وقف الفاشية كان فيها جنود ، وبخارة ، وضباط ، وجنرالات يهود الى جانب الروس ، والأوكرانيين ، والبيلورسيين ، ومحاربى كافة القوميات الأخرى . ولم يكن لهم جميعا . من شيوعيين ولا حزبيين ، غير وطن واحد هو اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، وقد دافعوا عنه بجسارة . ولم يمسه اطلاقا الهلاك المتوقع الذى كان من شأنهم أن يتعرضوا له فى ظروف كان الصهيونيون على استعداد للتمهيد لها بنشاط . وقد كان على حق الصحفي الاميركى موريس أرنست الذى قال ان « مسألة الدم البشرى هى أقل ما يقلق الصهيونيين ، خصوصا ، اذا كان الدم المسفوك ليس دمهم » . (٥٥)

ان زعيم الصهيونية العالمية ، آنذاك ، حايم وايزمان الذى كان فى بطانته معاونون أمثال ناحوم جولدمان ، وبن جوريون ، وجولدا ماير ، وليفى أشكول ، وكثيرون غيرهم من الزعماء الصهيونيين الحاليين ، قد انبرى يطالب ونستون تشرشل بلجاجة لمساعدته فى الانجاز التكنيكى لمشروع تسليم الشاحنات . و « بامتعاض شديد وعلى الرغم منه . . رفض » (٥٦) منظم العديد من الأعمال التخريبية ضد الاتحاد السوفياتى ، وما كان ذلك منه الا خوفا من الفضيحة ومن غضب الراى العام العالمى .

وفى السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية ، وتحت تأثير قوى الرأسمال الاميركى المهيمنة أكثر فأكثر فى العالم الرأسمالى ، تعرض الاتحاد الصهيونى العالمى لاعادة تنظيم متزايد وشامل ، بغية ايجاد التقارب ، فى المستقبل العاجل ، بين الاتحاد الصهيونى والآلة الاقتصادية الاستخبارية الدعائية والحربية الاميركية .

وفى ذلك الوقت تعاضم تسلل الرأسمال الاميركى الى منطقة الشرق الأدنى ، بما فى ذلك فلسطين ، وازداد بمقدار كبير عدد المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة الاميركية نفسها . واتباعا لتكتيكها الرامى الى الحصول على تأييد أكثر الدول الكبرى جبروتا فى المرحلة التاريخية الآنية ، ربطت قيادة الاتحاد الصهيونى العالمى مصيرها بالرأسمال الاحتكارى الاميركى بشكل اوثق .

لقد كتب لعازر ليفنه واصفا الصهيونية فى الولايات المتحدة ، قال : « ان المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة لم تكن تشاطر مطلقا افكار **التزوح الشخصى** وبناء الدولة اليهودية ، بل كانت تؤيد الأعمال السياسية والمالية التى ينبغى أن تتم على أيدي يهود

آخرين » . (٥٧) وحسب التعبير الصائب لأحد الزعماء الصهيونيين ،
إن الحوار الصهيوني في الولايات المتحدة ينحصر في أن « الداعية
المحرك يقنع اليهودي بالرحيل الى فلسطين ، على أن الأخير يؤكد
بأنه يفعل هذا بعد أن يتوجه الداعية نفسه الى هناك » .
وفي ديسمبر عام ١٩٤٤ ، في بيتسبورج (الولايات المتحدة)
انعقدت دورة المؤتمر اليهودي الأميركي الثانية ، حيث كان يهيمن
الصهيونيون ، وسعى عدد كبير من الأعضاء لطرح مسألة تنامي العداء
للإسامية في الولايات المتحدة على المناقشة في المؤتمر . فأعلن م.
سلونيم - ممثل سان لويس - أمام المؤتمر « يبدو أن معضلة الواقع
الأميركي تربك المندوبين أكثر من أية مسألة . وإن الغالبية العظمى
من الممثلين تشعر بضرورة طرح مسألة النضال ضد الإسامية في
الولايات المتحدة الأميركية للمناقشة وادخالها في برنامج
العمل » (٥٨) .

لقد استغل الصهيونيون مسألة هيمنتهم على المواقع الحساسة
في الندوة التي اشترك فيها ممثلو التيارات السياسية والفكرية
للطائفة اليهودية الأميركية ، فأنحرفوا بالمؤتمر عن مسألة مناقشة
الإسامية . الأمر الذي دفع الحاخام ماكس نوسباوم ليعلن :
« ليس من العبث أن يجتمع ٥٠٠ مندوب في عام ١٩٤٤ الجاري ،
لمعالجة جميع القضايا الموجودة تحت الشمس ، باستثناء تلك التي
تهم أكثر من غيرها كل يهودي أميركي » (٥٩) .

أما زعيم الصهيونية العالمية ناحوم جولدمان ، فقد أعلن رأيه
بصراحة متناهية إذ قال : « إن المؤتمر انعقد من أجل أهداف ،
اتجراً بأن أصفها بأنها تهم الحياة اليهودية أكثر بكثير من النضال
ضد الإسامية في الولايات المتحدة » (٦٠) .

ورضوخا لارادة قيادة الصهيونية ، تجاهل المؤتمر
كلياً مسائل النضال ضد النازية ، والمخ بشكل عام الى انقاذ يهود
أوروبا ، « التي كانت تهيمن فيها دول المحور » . وإلى جانب ذلك
أيد المؤتمر الداعي الى استيطان فلسطين ، والقرار الخاص
بـ « إعادة تعمير الممتلكات اليهودية » بعد الحرب . وإن القرار الداعي
الى تأسيس « اللجنة اليهودية العالمية للإنهاض » ، والذي نص على
ضرورة إعادة تعمير ممتلكات الجماعات ، والمؤسسات ، والعائلات
التي قتل أفرادها ، قد أرسى منذ عام ١٩٤٤ أسس الاتفاق حول
دفع التعويضات (٦١) (الأموال بدلا من الدماء التي أريقَت) ، والذي

عقدته فيما بعد الطفمة الصهيونية الحاكمة فى اسرائيل مع النازيين الجدد ، حكام المانيا الغربية .



انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة المانيا الفاشية ، وفوق الريخستاخ رفرفت راية النصر الحمراء ، التى رفعها الجنود السوفيات . وانفتحت على مصاريعها ابواب السجون والمعتقلات النازية : وبتدابير لا يعرفها غير قلة من الناس ، تبعثرت بقية السفاحين النازيين فى العالم . ولعل ايخمان كان اكثرهم جميعا اطلاعا على حقيقة دور النشاط الصهيونى السرى وطبيعته فى سنوات الحرب .

وما أن انتهت الحرب ، حتى تم ارسال بن جوريون ، فى يونيو من عام ١٩٤٥ ، الى الولايات المتحدة بمهمة خاصة . وهناك التقى مع « جماعة من الاشخاص الموثوق بهم » للبحث فى موضوع . . حرب جديدة . وقد تطرق الحديث الى تكوين صناعة حربية فى القسم المستعمر من فلسطين ، اذ أنه (كما عبر بن جوريون) « ينتظرنا ، على ما يظهر ، فى المستقبل القريب ، صراع مسلح مع الجيوش العربية » .

لم يتمكن بن جوريون فى كتابه « اسرائيل وسنوات النضال » ، من كبت رغبة التباهى بذكائه فى المساومة ، « وكذلك بذكاء « أصدقائه الموثوقين » فى الولايات المتحدة » ، اذ قال : « بأقل من مليون دولار اقتنينا عتاد المعامل الحربية الذى يساوى عشرات الملايين ، والذي نقل الى فلسطين كاملا سالما » (٦٢) .

وفى يوليو عام ١٩٤٧ ، أصدر بن جوريون ، بصفته « وزيرا للدفاع » أمرا الى فصائل الهاجانا المسلحة «نص على أن تكون الهاجانا العامل الأساسى والحاسم ، وأن الاعتداء العربى لا يمكن مجابهته الا بقوة السلاح ، وليس هناك أى حل غير الحل الذى يجاوبه السلاح اليهودى » (٦٣) .

وقبل ذلك بسبعة أشهر ، فى ديسمبر من عام ١٩٤٦ ، تم ، فى المؤتمر اليهودى الثانى والعشرين (فى بال) ، شكليا ، تكريس انتصار الجناح الموالى للاميركيين فى الصهيونية العالمية . وفى محاولة لتثبيت استكمال عملية تآزر قوى الامبريالية الاميركية والصهيونية العالمية ، أشار الدكتور موشيه سنيه الذى كان آنذاك عضوا فى الوكالة اليهودية الى أن النفوذ السياسى للولايات المتحدة الاميركية وحده مع ضغط قوى اليهود الفلسطينيين المسلحة

« بمقدورهما ارغام بريطانيا على تنفيذ مطالبنا » (٦٤) . وفي أول الامر كانت مطالب الصهيونيين هذه ، الذين يحظون الآن بالتأييد السافر من قبل الرأسمال الاحتكاري الاميركي ، تقتصر على الفاء بريطانيا للقيد المفروض على هجرة اليهود الى فلسطين .

وفي آن واحد مع الحملة الواسعة من أجل السماح بجملة اليهود الحرة الى فلسطين ، قام المركز الصهيوني ، الذي نقل عمله من انجلترا الفقيرة الى الولايات المتحدة ، بحملة ناشطة من أجل « انقاذ اليهود » الموجودين في معسكرات « النازحين » في اراضي أوروبا الغربية بعد الحرب .

وقام الزعماء الصهيونيون بالبحث عن مختلف وسائل «الانقاذ»

لقد قدم . مثلا ، الحاخام كلاوزنر في أحد تقاريره أمام المؤتمر اليهودي الاميركي الذي مارس عليه الصهيونيون اشرافهم (بصدد محاولات الصهيونيين ارسال سيل من « النازحين » من المعسكرات الى فلسطين) ، اقتراحا حول ايقاف تزويد « الافراد من أصل يهودي » بالمواد الغذائية ، الى جانب اعطاء مهمة « كي تقوم الهاجانا بارهاب اليهودي .. » (٦٥) .

ونوهت الشخصية النقابية الاميركية ، لويس لمسن « بأن المنظمات الصهيونية التي تتحكم بمعسكرات « النازحين » ، سعت بمختلف الطرق الى اكراههم على تقبل الصهيونية ، والالتحاق بالجيش « الفاسطيني » ، ونبد الخلافات السياسية الطبيعية كليا » (٦٦) .

وروى الصحفي الاميركي موريس ارنست علانية كيف أحبط الصهيونيون جميع المحاولات الرامية الى فتح منفذ أمام «النازحين» من أصل يهودي ، للدخول الى الولايات المتحدة الاميركية ، تماما كما منحهم حق « اللجوء السياسي في أي بلد يختارونه هم » (٦٧) . ولم يشأ الصهيونيون أن تغلت من أيديهم « القوة الحية » التي أفسحوا لها ، بوعي ، حتى في السنوات المبكرة من نشأة الفاشية في أوروبا ، دور عناصر « تخضع لاعادة التربية » بغية «الاستصلاح» الاستعماري لفلسطين .

لقد نقل الاتحاد الصهيوني العالمي مقر أركانه ، وأدخل تبديلات في ترتيب حلفائه ، وبذل في تكتيكة ، على أنه له يستبدل أهدافه الاستراتيجية المطابقة للظروف الاميركية ، التي وصفها فرانكلين روزفلت بالشكل التالي : « انهم (الصهيونيون) يعرفون انه سيتاح

لهم تركيز مبالغ مالية ضخمة (التشديد منى - ي.أ.) من أجل فلسطين اذا هم أعادوا الكرة بالتبرع بدمائهم : فليس فى العالم مكان آخر يمكن لليهودى المعدم أن يذهب اليه . أما اذا وجدت امكانية اللجوء السياسى للنازحين حسب اختيارهم ، وبصرف النظر عن العرق ، والمعتقد ، ولون البشرة ، فاذاك لا يعود بمقدور الصهاينة الفوز بمثل هذه الاموال « (٦٨) .

ويقول أ. ليلينثال مكملًا ما قاله روزفلت : « ان عدم رغبة الجماعة اليهودية ذات السطوة ، القديرة والميسورة فى الولايات المتحدة فى اجراء دراسة موضوعية علمية للاسامية ، ينطوى على الكثير من المعانى . فلا القادة الدينيون ولا القادة المدنيون العديد من المنظمات اليهودية يرغبون فى فقدان هذا السلاح الجبار . امحقوا الخرافات ، تفقدوا انصار الدين . خففوا من التعصب لتلاش الاموال المجمعلة لاعمال اليهود القوميين . ولهذا ، لاتكون اى ضرورة للهجمات العلمية ضد مشككة الاسامية . وبهذا يمكن التواطؤ (كل التشديد منى - ي.أ.) بين رجال الدين ، واليهود القوميين وبقية قادة المنظمات اليهودية » (٦٩) .

ان الفاشية - مركز الاسامية العسكرية فى بداية الثلاثينات وأواسط الاربعينات - قد تحطمت . وحسب آراء الزعماء الصهيونيين أنفسهم ، فقد أصبحوا فى حاجة الى بؤر لاسامية جديدة ، وأن تكن اصطناعية . وقد أكد بن جوريون قائلا « اننى ان أخجل من الاعتراف بانه لو كان لدى من السلطة بقدر ما عندى من الرغبة ، لانتقيت الشباب الموهوب ، المتطور ، المستقيم والوفى لقضيتنا ، والمتوقد رغبة فى تغيير أخلاقية اليهود ، وأرسلتهم الى البلدان التى غرق فيها اليهود فى رضا عن النفس آثم » .

واستطرد الزعيم الصهيونى قائلا : « ولامرت هؤلاء الشباب بالتظاهر باللايهودية ، وملاحقة اليهود بالاساليب اللاسامية السمجة تحت شعارات ، ك « أيها اليهود القذرون » ، « أيها اليهود ارحلوا الى فلسطين » وأؤكد لكم أن نتائج الهجرة . . قد تتخطى عشرات آلاف المرات النتائج التى يحصل عليها رحالتنا - الدعاة ، الذين يكيلون المواعظ للصم منذ عشر سنوات » (٧٠) .

من الصعب هنا أن لانتذكر كلاسيكى الصهيونية الذين اعتبروا اللاسامية خيرا . فيا له من استمرار . . انها لا تقل عن مسألة اشهار كل ظاهرة تقف عائقا فى طريق تحقيق الاهداف الصهيونية، ظاهرة لاسامية .

ويعطى مثلاً مقنعا على ذلك فارلوج ، أحد واضعى سيرة
ح . وايزمان ، الذى قال : « أن العرب الذين انتفضوا ضد تسليم
وطنهم للصهيونيين ، كان ينظر اليهم ليس فقط كخصوم سياسيين ،
بل كمجرمين ، بات يطلق عليهم فى وقت لاحق اسم لصوص وقتلة ،
وذلك عندما شرعوا بالانتفاض ضد اليهود بشكل ناشط ، وأصبح
يخيل لعدد من الصهيونيين ، أن قوة شريرة ما ، يحتمل أن تكون
لأسامية ، قد أوجدت العرب للاحاق المتاعب باليهود » (٧١) .

من النادر أن يجرى المستعمرون جردا احصائيا لجرائمهم .
وكما هى القاعدة ، فانهم لا يتركون معطيات وثائقية عن الافعال
التي ارتكبوها . ومن المعروف ، انه فى عام ١٩٣٠ ، أصبح ٢٩٪
من العائلات العربية فى فلسطين بلا أرض (ولقد أشير فى تقرير
اللجنة الملكية بأن العدد الحقيقى لهذه العائلات التى شردها الصهاينة
عنوة غير معروف) . وحتى عام ١٩٣٦ ، كان قد سجل ٣٢٧١ طلبا
قدمها الفلاحون العرب الذين شردهم الصهاينة (٧٢) (تتألف كل
عائلة من ٥ أشخاص على الأقل) . وكم من العائلات لم تتمكن من
تقديم طالب وكم من الطلبات كان نصيبها الإهمال .

لقد قال مارتين بوبر ، الفيلسوف الصهيونى ، بكل تواضع ،
« أن الهفوة الاساسية (للصهيونيين - ي.أ.) هى أن القيادة قد
سارت على السياسة الاستعمارية التقليدية » (٧٣) .

فإذا كانت عبارة « سارت على » يقصد منها الطرد الجماعى
الاكراهى لفلاحى فلسطين العرب من قبل الصهيونيين ، أو الاشتراك
مع الانجليز فى خنق حركات التحرر الوطنى العربية ، أو تنظيم بن
جوريون لـ « الوحدات الصدامية » (التابعة لما يسمى بالمركز
النقابى - الهستدروت) بغية ممارسه الارهاب ضد العمال العرب ،

وفرض المقاطعة على البضائع العربية ، والافقار المنهاجى لجميع
فئات السكان فى فلسطين ، والعديد من الافعال « لاستثمار »
« أرض كنعان » ، فمن الممكن موافقة بوير الى حد ما .

وفى وقت واحد مع الاجراءات الخاصة بـ « انقاذ النازحين » ،
اتخذ الزعماء الصهيونيون الاعمال الحربية ضد القوات البريطانية
المسلحة المراقبة فى اراضى فلسطين ، وبدون موارد أعلنت صحيفة
الهجانا عن الاهداف الحقيقية لهذه الاعمال (التى كانت تعطى
أحيانا طابع المثالية) فقالت : « نحن لانهدف بنضالنا الى اكراه
بريطانيا على الرحيل من هذه البلاد ، بل نهدف الى تجديد التحالف
معه . . . وكما هو جلى لنا تماما ، لا توجد بيننا وبين بريطانيا أية

تناقضات في المصالح . ونحن لسنا معنيين إطلاقاً بنسف مواقع
انجلترا في العالم أجمع ، وعلى الأخص في الشرق الأدنى وفلسطين»
(٧٤) .

وبدوره قارن ف . جابوتينسكى الذى سبق أن عرفناه نجيداً
بين انتفاضات القوات الصهيونية المسلحة ضد الانجليز في فلسطين
وبين أعمال البوير الذين أنشأوا جمهورية أفريقيا الجنوبية
الحالية .

وزيادة في التعقيب على هذه التصريحات تأتي التصريحات
التالية لناحوم جولدمان التى تعود الى نفس المرحلة : « لقد كان
الصهيونيون مفعمين رغبة في منح انجلترا جميع الحقوق لإنشاء
القواعد العسكرية ، والبحرية ، والقواعد الجوية في فلسطين مقابل
الموافقة على اقامة الدولة اليهودية فوق ٦٥ ٪ من اراضي فلسطين .
كما ان اقامة القواعد في فلسطين كانت ستعرض أيضاً على الولايات
المتحدة الاميركية ، اذا كان لديها رغبة واستعداد لتأدية مهمات
الدفاع هناك . . » (٧٥) .

(في وقت لاحق ، في ابريل ١٩٦٦ ، وأثناء اللقاء الذى جمع
بين زعماء « الهاجانا » السابقين ، تلقى الدكتور سنيه ، الذى
سعى هذه المرة ، الى البرهنة على أن « الهاجانا » « ناضلت
باسنقامة » ضد الامبريالية البريطانية ، الجواب التالى من ايلان
مور ، أحد المشتركين في اللقاء : « بالرغم من اعجابى بالمؤهبة
الجدلية للدكتور سنيه وهو يتمتع بقسط وافر منها ، فأننى أفضل
أن يوجه هذا الذكاء الى المستقبل أكثر منه الى الماضى ، وذلك
لان الوقائع التاريخية تدحض ما يقوله ») .

وعند حلول عام ١٩٤٧ وصل عدد السكان اليهود في فلسطين
الى ٣٣ ٪ تقريباً . لقد كان هذا مجتمعا متنافراً ، مختلف الطباع
ليس فقط من حيث التركيب الطبقي والمعتقد السياسى ، بل من
حيث المستوى الثقافى ، والتقاليد القومية ، واللغة ، والمظهر
الخارجى ، والثياب ، وأسلوب التفكير ، والتأقلم المناخى وطبيعة
ممارسة الشعائر الدينية ، والموقف من النزعة الاحادية . وكان
معظمهم أناساً غير ملاك وعليهم أن يعملوا كى يعيشوا . لقد كان
ذلك هو « العنصر الحى » « الوفى » والمنشود الذى فكر فيه
طويلاً حكام الدول الاستعمارية الكبرى التى تطمع في منطقة
الشرق الاوسط .

ولعب الاستعمار البريطانى ، ثم الاستعمار الاميركى الجديد ،

العامل الحاسم في حشد هذه الكتلة البشرية في فلسطين ، حيث استغل كل منهما ، على التوالي ، لاسامية الثورة المضادة ما بين ١٩٠٠ - ١٩٢٠ في أوروبا ، والفاشية والخراب الذي تلا الحرب .
أما الزعماء الصهيونيون فقد استغلوا كلا العاملين من أجل أهدافهم الصهيونية الصرفة ، مقتصرين ، الى حين ، على دور المنادى أمام أبواب المؤسسات التابعة لهم بالمحاصرة مع « أقوى الشركاء » .

وكان على الاغلبية العظمى من الكادحين اليهود ، الذين استقروا في فلسطين ، أن يقوموا ب « وظيفة » واحدة . لقد كانوا لاجئين نجوا من أخطار جدية أو كاذبة . وكان على الزعماء الصهيونيين أن يقوموا بعمل كبير من أجل تحويل قسم من هؤلاء اللاجئين ، أو بالاحرى ، جزء من أولادهم ، الى جنود صدام نازيين مصريين .

ومن وجهة نظر هذا التقييم ، يبدو لنا أن من العدالة الحكم على درجة المسؤولية التي يتحملها هؤلاء عن جميع صنوف المظالم والجرائم التي اقترفها ويقترفها الصهيونيون وانصارهم في هذه المنطقة من العالم .

طبيعى جدا أن يستأثر العمال اليهود باهتمام الزعماء الصهيونيين الأكبر ، نتيجة نمو عددهم وازدياد وعيهم الطبقي . « ان الهجرة والاستيطان هما وصيتا الحركة العمالية الفلسطينية » - هذا ما أكدته بن جوريون بهذا الصدد - الهجرة شكل ، أما وجودنا فمتعلق بالاستيطان . وهذا الشعار وذاك قد اکتويا بالنار والدماء على راية حركتنا » (٧٦) .

واستطرد بن جوريون يقول : « ان الحركة العمالية لم تضع نصب عينيها هدف الاستيلاء على السلطة في اطار الحركة الصهيونية ، لقد كان دائما هدفها لا السلطة ، بل **الخدمة الخاصة** (التشديد منى - ي . ا .) لذلك ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، سعت الطبقة العاملة باستمرار الى توحيد جميع فئات الشعب حول الحركة الصهيونية » (٧٧) .

ان منهاج « الاشتراكي » بن جوريون كان في غاية الصراحة والدقة : الهجرة والاستيطان ، (لا يدخل في الحساب الكادحون العرب) ، واخضاع مصالح العمال الفلسطينيين للبورجوازية اليهودية المحلية ، والبورجوازية الاجنبية .
ان الموعظة الصهيونية حول خاصية اليهود واصطفائهم ،

استدعتها ضرورة ضمان النسخة الفلسطينية للتمييز العنصرى .
« علينا أن نبعث قيم الجدارة الانسانية ، المساواة ، الحرية
الروحية ، قداسة الحياة البشرية . ان هذه القيم هى قيم
يهودية تاريخية » (٧٨) . هذا ما علمه احد مربى الجيل الجديد
من المستوطنين ، اسحق حاق موآر . ومن الجلى أن الصهاينة ،
حسب شهادة ليلينتال ، قد أججوا بشكل مصطنع وفاشل ،
روح اللسامية عند العرب ، بغية بعث هذه « القيم اليهودية » ،
أو بالأحرى ، بغية تنفيذ المهمات التى طرحها بن جوريون .
فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الطبقة العاملة الفلسطينية
تعد ١٦٠ ألف عامل عربى ، و ٥٠ ألف عامل يهودى . وقد قام
العرب واليهود معا بشن نضال مشترك ضد دعوات وأعمال بن
جوريون وبقية العملاء الامبرياليين . وحسب المعطيات الرسمية ،
كان مجموع أيام الاضراب ٢٤ ألف يوم فى عام ١٩٤٠ ، وارتفع الى
١٣٤ ألف يوم فى عام ١٩٤٢ ، والى ٢٤٨ ألف يوم فى عام ١٩٤٤
(٧٩) . وقد اتسمت هذه الاضرابات بطابع اقتصادى وسياسى
على السواء .

وفى عام ١٩٤٦ ، كتب أمين اللجنة المركزية للحزب الشيوعى
الفلسطينى جوجانسكرى يقول : « .. فى مرحلة الاستفزازات
الامبريالية بالذات ، التى لاقت تعبيرها فى المقاطعة المتبادلة وفى
تسفير العداء بين الشعبين ، برزت فى البلاد جهارا الوحدة الكفاحية
للطبقة العاملة . وكان الخطباء فى الاجتماع الحاشد العام لعمال
الخطوط الحديدية فى حيفا يعلنون : « لتعش الوحدة العمالية
اليهودية - العربية ! » . وكان بين الخطباء ممثلو عمال سكك
حديد شرقى الاردن ، الذين انضموا الى الانتفاضة . وفى حيفا
والقدس ، رفع المتظاهرون شعارات الوحدة العربية - اليهودية .
لقد كان اضراب عمال الخطوط الحديدية جوابا بليفا على الذين
ينادون بالنظرية العنصرية والانغلاق القومى .. ان مجمل الاعمال
العربية - اليهودية ، والانتفاضات الجماعية ضد الامبريالية التى
حات مكان المفاسمات القومية والارهابية هى محتسوى
عصرنا » (٨٠) .

لقد كانت متاهة السياسة ورجال الاعمال اليهود مظلمة ومتشعبة
جدا ، وكانت مناورات حلفائهم معقدة ومربكة . على أن الحياة
تابعت مسيرتها فى مجرى قوانين التطور الموضوعية التى تبقى لها
الكأمة الاخيرة .

الفصل الرابع

امام الاختيار

في الواحد والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٥ ، نشرت الصحيفة الاسرائيلية « دافار » خبرا تحت عنوان : « المركز النووي في ديمونة مؤهل لانتاج قنبلة نووية واحدة في العام » . وبكل حماس استجابت بعض اوساط الراى العام الاسرائيلى لهذا الخبر . قصة الكاتب زفايغ « الشطرنج » التى اخرجت للشاشة وفى الوقت نفسه تقريبا ، عرضت فى صالات السينما الاسرائيلية العريضة .

اننا لن نسرع بالاستنتاج عن انتفاء الصلة بين هاتين الواقعتين .

لقد كتب مؤلف كتاب « ما وراء الضفة الغربية لنهر الاردن » ، اندريه جيرومسكى ، الذى زار اسرائيل يقول : ان « لعبة الملوك » هى نقل قصة زفايغ « الشطرنج » الى السينما ، تلك القصة التى يروى فيها تاريخ أستاذ اعتقله الجستابو ، وقرر الهتلريون تحطيم ارادته لا بالعذاب الجسدى ، بل بأسلوب التأثير النفسانى . ومن أجل الوصول الى هدفهم عزلوه كليا عن العالم الخارجى . وفى الفيلم مشهد يظهر فيه الأستاذ وهو على عتبة الجنون ، اذ بدأ يحطم أثاث القصر الذى استقر فيه الجستابو .

قال جيرومسكى : « قبل هذا المشهد كان المشاهدون يتضجرون معبرين عن تبرمهم بصوت عال . اننى لم أسمع فى حياتى قط فى صالة عرض حتى فى أفضل الروايات الهزلية مثل تلك القهقهة التى سمعتها أثناء عرض مشهد الأستاذ وهو على عتبة الجنون . كان الجمهور يحمم ويزار ويخبط الأرض بأقدامه . والجدير بالملاحظة ان هذا ما حصل قبل أسبوع من تجديد دعوى ايخمان . ففى مثل هذه الحالات ، لا تنفع لا الأوامر ، ولا الحظر ، وذلك لأن ما باستطاعة أحد أن يأمر الفهم والحس » (١) .

وهذه شهادة وثائقية أخرى اطلق عليها صاحبها اسم « اعتراف صهيونى » . تعود الوثيقة الى عام ١٩١٤ ، وهى بقلم أحد ضحايا التعصب الصهيونى الكثر . « آه ، كم اشتهى اتخامهم هؤلاء (أعداء

الصهيونية - ي ٠٠٠) بسم الهلاك الذى يملأ أحشاءنا . كم أشتى أن أبصق عليهم لافتراءاتهم الخسيسة ومحاولتهم افساد أرواحنا ! » . وكتب ذلك طالب المانى من هال (المانيا) الى صديق له روسى مشارك له فى رأى . « لقد أفرغ أعداؤنا نفوسنا ، على أنه يكمن فينا الكثير من الضغينة والمقت . ترى ، هل ستذهب هدرًا كل هذه الطاقة الكامنة الهائلة ؟ ترى ، ألا يعود ذلك المسيح العظيم الذى سيحرق هذه الطاقة النارية العفنة بسم الخراب والكراهية ؟ » (٢) .

بعد انشاء دولة اسرائيل ، وثبتت الزعماء الصهاينة لسلطتهم بنية تمثين جهاز القمع الواسع ، احتاجوا الى نموذجين من الاسرائيليين : النموذج المتعصب ، وهو الأكثر ملاءمة ، من أمثال الطالب من هال ، والنموذج العبيط الذى يقهقه كالابله عند رؤية آلام البشرية . ولذا خيل ان رد الفعل على مثل هذه الحوادث المتباعدة ، كالاعلان عن الامكانيات الموجودة لصنع معمل نووى فى ديمونة ، والفيلم المنقول سينمائيا طبقا لموضوع قصة زفايغ ، كان بمثابة نوع من الكواشف عن درجة نجاح نشاط الصهيونيين « التربوى » .

وها هى وثيقة من نوع آخر تماما .

« ان السلاح النووى لا يعزز أمننا ، بل هو يعمل على تفاقم الوضع . . وان دولة اسرائيل بالذات يجب أن تكون معنية أكثر من غيرها بعدم السماح بسباق التسلح النووى فى منطقتنا . . ولهذه القضية وجه آخر أيضا . فلنسلم بأن الجميع عرفوا ان الاوساط الحاكمة فى المانيا الغربية ستشارك فى تمويل الأبحاث النووية فى اسرائيل ، أفلا تدعو إلى التيقظ مثل هذه الحقيقة السافرة . . ففى الوقت الراهن بتعطش حكام المانيا الغربية وجنرالاتها ، الذين يوجد بينهم العديد من النازيين ، الى إقتناء السلاح النووى . والعلماء الألمان الغربيون ، العاملون فى خدمة بون ، يستغلون كل امكانية خارج تخوم المانيا الغربية من أجل الاستكمال فى المضمار النووى » (٣) .

ان هذه الكلمات قد دوت تحت سقف الكنيسة الاسرائيلية فى الثامن من ديسمبر عام ١٩٦٥ ، اذ كان يتكلم النائب الشيوعى ماير فيلنر باسم الاسرائيليين البسطاء الذين يحضون تأييدهم للحزب الشيوعى الاسرائيلى .

وقد أعلن ماير فيلنر باسم كتلة الشيوعيين عن تقديمه بمشروع القرار المتضمن النقاط التالية : ١ - وضع حد للاتجاه العسكرى فى العمل فى المفاعل النووى فى ديمونة ، ٢ - تأييد عقد معاهدة دولية تعلن منطقة الشرقين الأدنى والأوسط منطقة مجردة من السلاح النووى ، ٣ - وقف التعاون مع ألمانيا الغربية فى مضمار الأبحاث الذرية ، ٤ - إعلان الاحتجاج الحازم ضد تسليح ألمانيا الغربية بالسلاح النووى بأى شكل كان وتحت أى من الدرائع » (٤) .

لكن الكنيسة الاسرائيلى رفض مشروع القرار بالأكثرية . ولعل المشتركين فى ندوة المنظمات الاسرائيلية المعادية للنازية والمنعقدة فى نفس عام ١٩٦٥ ، كان من شأنهم أن يتخذوا موقفاً مغايراً تماماً لموقف الكنيسة ، فقد أعلنوا : « . . لقد صممنا من التصرف المنطوى على الإهانة لذكرى أولئك الذين قتلوا على أيدى السفاكين النازيين . أن إقامة علاقات دبلوماسية مع ألمانيا الغربية ، هي استهزاء بشعور الذين بقوا أحياء . وأن جراحنا ما تزال تنزف دماً ، وهى لم تندمل بعد » .

ان هذه القضايا - قضايا هموم وحاجات وانفعالات المواطنين ، لا تقلق الزعماء الصهيونيين مطلقاً . « نحن لسنا بحاجة هنا (فى اسرائيل - ي.أ.) لا الى روبى سيلفر ، ولا الى الدكتور نيمان ، ولا الى روزا هالبيرين . نحن بحاجة الى أولادهم وأحفادهم » . هذا ما أعلنه فى المؤتمر الصهيونى العالمى الثالث والعشرين ، أحد القادة الصهيونيين البارزين ، يعقوب خازان . وبعبارة أخرى ، انهم يحتاجون لأمة تخضع بشكل أعمى للمركز الصهيونى فى نيويورك ولفرعه فى اورشليم .



هل من الصواب فى الوقت الراهن التحدث عن أمة اسرائيلية؟ والجواب الى حد ما ، نعم . تجرى عملية تكون هذه الأمة . وعلى أن العملية لاتزال بعيدة عن طور الاستكمال . ان الزعماء الصهيونيين الذين يقبضون على زمام الحكم ، يسعون للتأثير على نمو هذه العملية ، باستعمالهم الحوافز الاقتصادية والسياسية . وأحياناً تتخذ تجاربهم . . اتجاهها لا يتوقعه القائلون على التجارب . وبشهادة أ. جيرومسكى ، « أعطى الدكتور عمانوئيل نيومان - أحد القادة الصهيونيين فى الولايات المتحدة - بأسف رأيه فى موقف الازدراء الذى تقفه الشبيبة الاسرائيلية من اليهود . وعندما زارت الشبيبة الاسرائيلية الولايات المتحدة الاميركية ، بذلت جهدها

لتجنب اللقاء مع الشبيبة اليهودية المحلية ، وأبدت نحوها استخفافها
السافر . حتى أن « حيروت » الصحيفة الناطقة بلسان الحزب
الذى يحمل نفس الاسم ، والتي تلهث مبتهجة بـ « أبهة »
السابريين (✱) أيدت فى هذه المرة امتعاض الدكتور نيومان ،
وأقرت بأسف أن « السابريين » ينظرون الى اليهود المنحدرين من
غير اسرائيل بتعال ويبرزون الفارق بين مفهوم « الاسرائيليين »
ومفهوم « اليهود » (٥) .

من الممكن الاتفاق مع مؤلف كتاب « اسرائيل وسنوات النضال » ،
الذى ينبت أن « اليهود فى اسرائيل يشكلون أمة أقرب الى أن تكون
محتملة من أن تكون واقعية . فالمهاجرون القادمون بعد انشاء
الدولة لم يتأقلموا تماما مع المحيط الجديد ، ولم يصبحوا جزءا
منه من وجهة النظر الاقتصادية والثقافية » . ويضيف : « أن
الجماعات اليهودية المتباعدة من حيث اللغة والتاريخ والثقافة
والاقتصاد ، تتحول تدريجا الى أمة واحدة » (٦) .

ان مؤلف الكتاب الذى اقتبست منه هذه الآراء الطريفة ،
هو . . بن جوريون وعلى أساس أقواله هذه فان ثمرات الدعاة
الصهيونيين حول وجود الأمة اليهودية العالمية تبدو أكثر بؤسا
أيضا .

وكما هو معروف ، فان احدى الخصائص الملازمة للأمة . هي
وحدة التركيب النفسى . ولهذا ، يعير الزعماء الصهيونيون
اهتماما واعيا أوليا لمسألة التأثير النشيط على تكوين التركيب
النفسى لليهود . . وان بذر أفكار شعب الله الخاص بين اليهود ،
ونشر الدعوات العنصرية بشكل سافر هما الهدف الفعلى لكافة
البرامج الدراسية فى المؤسسات التعليمية فى اسرائيل . زد على
ذلك ، أن الحلقة المفرغة للدعوات الجارية ترسيخها والمدةوة
للتأثير على نفسية الجيل الناشئ ، والمنطلقة أساسا من التوراة
تنطوى على مصادقة النازيين الجدد فى ألمانيا الغربية .

وكما يشهد ا. جيروم مسكى ، يدرس الاولاد الاسرائيليون فى
فترة ثمانى سنوات من التعليم الإجبارى فى المدارس ، تاناخ
والمشنى ، والتلمود ، بمعدل ١٥٠٠ ساعة دراسية ، بينما يخصص
لجغرافية البلدان الاجنبية ٢٠ ساعة فقط . والجدير بالملاحظة ،

(✱) هكذا يسمى الذين ولدوا فى فلسطين ، او اسرائيل اليوم . .

انه ، من وقت قصير ، قدمت المانيا في كتب الجغرافيا بحدود عام ١٩٣٧ ، وعبر مؤلفا الكتاب خيتوف وآرنى عن عطفهما على الالمان الذين أخرجوا ، بمقتضى اتفاقية بوتسدام ، من الاراضى الواقعة الى الشرق من الأودير - نيسه .

لقد خيل أن من الممكن زيارة حديقة الحيوانات بدون أذى . لكنه تبين أن كل شيء متعلق بالمكان والزمان . مثلا فى حديقة الحيوانات الواقعة فى القسم الاسرائيلى من القدس تتواجد الحيوانات التى « استحقت شرف » ، ذكرها فى التوراة . فعلى كل لوحة علقت على القفص كتب اسم الحيوان والى جانبه اقتباس مناسب من التوراة . . « تنزه ، تذكر ، تعلم . . »

وفى كل مكان فى اسرائيل يبرز الاقتباس التالى من التوراة : « ها هى أرضكم يا أبناء اسرائيل . . » . وكل تلميذ بلغ السادسة من عمره يدرس التوراة ، ويعرف نهاية المقطع الشعرى « من نهر النيل الى النهر العظيم - نهر الفرات » . هاهى فكرة « اسرائيل الكبرى » مع تبرير الاغتصاب الحالى واللاحق للأراضى العربية .

فى ٢٨ اكتوبر من عام ١٩٥٨ ، أعلن الزعيم الصهيونى وعضو الكنيست مناحيم بيغن أمام ممثلى الجيش الاسرائيلى : « أنتم ، ايها الاسرائيليون ، يجب ألا تأخذكم الرأفة عندما تقتلون عدوكم . عليكم أن لاتشفقوا عليه ما دمنا لم نقض بعد على الحضارة العربية ، التى سنبنى على انقاضها حضارتنا » (٧) .

وفى حينه ، قام رئيس وزراء اسرائيل السابق بن جوريون ب « تنوير » التلاميذ فقال : « ان خريطة اسرائيل ليست بخريطة بلادنا . لدينا خريطة أخرى ، وعليكم أنتم ، طلبة وشبيبة المدارس اليهودية ، أن تجسدوها فى الحياة وعلى الامة اليهودية أن توسع رقعتها من الفرات الى النيل » (٨) .

« عندما نسرح ببصرنا الى الشمال نرى سهول سورية ولبنان الخصبة ، وفى الشرق تمتد وهاد الفرات ودجلة الفنية وبتروى العراق ، وفى الغرب بلاد المصريين . لن يكون لدينا القدرة الكافية على النمو ، ان لم نسو قضايا الاراضى من مواقع القوة - هذا ما أثبتته الصهيونى بيغن الذى سبق ذكره - علينا أن نجبر العرب على الطاعة التامة » (٩) .

مثل هذه الدروس ، التى ساهمت فى تكوين نفسية المفتصبين اللاحقين ، الدروس التى يستعمل فيها حجاب التوراة فقط

للتمويه عن تكشيرة الانياب المفترسة ، شكلت بمجملها موسوعة متعددة المجلدات .

ولنسق مثلا آخر . « يجب أن تكون فلسطين ملكا لليهود . ان استعمال أساليب ووسائل مناسبة بغية خلق الدولة اليهودية القومية ، سيكون دائما ضروريا وعنصرا راهنا لسياستنا . والعرب يعرفون الان ماذا نريد . أن نفعل بهم أى شىء نطلب منهم . من الضروري خلق وضع « الأمر الواقع » ، والتوضيح للعرب ان عليهم مغادرة اراضيها والرحيل الى الصحراء » ، - هذا ما أعلنه فلاديمير جابوتينسكى .

بعد خلق دولة اسرائيل بوقت قصير ، غادرت احدى العائلات بولونيا الى اسرائيل ، وكان بين أفرادها طفل يبلغ العاشرة من عمره . وبعد مرور خمس سنوات ، جرى بين هذا المراهق وصحافى من الجريدة الاسرائيلية « أودنوبا » الحديث التالى : « ألا ترى أن العربى يظل دائما عربيا . عندما يرى العربى بندقية يولى حالا الأدبار . لو لم تكن هناك الأمم المتحدة لكانت قنائة السويس منذ زمان بأيدينا ، ولكننا ذبحناهم جميعا . الا أن هذا لن يفوتنا مطلقا فى المستقبل » (١٠) .

أليست هذه صورة واضحة للطريقة التى يفسد بها الصهيونيون أذهان الفتيان ويسمونهم بسم الشوفينية الجامحة ؟

يجدر التذكير بمبدأ الصهيونى « الكلاسيكى » ناحوم سو كولوف القائل : « ان اليهود ، بلا شك ، يشكّون الامة الانقى عرقا بين جميع أمم العالم المتحضرة » . أن محاولة تسميم عقول الشبيبة الاسرائيلية ، والفتيان ، الذين اقتادهم أهلهم الى هذه البلاد ، اسرائيل - الوطن ، تتحقق بمقتضى سخرية القدر انطلاقا من مواقع عنصرية وطائفية تمنح كل فرد داخل الجماعة الاسرائيلية اليهودية مكانه الملموس . « لا يوجد مكان فى العالم فيه مثل هذه التجزئة كما هى الحال فى اسرائيل - أفقيا ، وعاموديا ، وانحرافيا ، وعلى شكل مربعات وحلقات . ورغبة منهم فى تسهيل المسألة ، يقولون ، كما أشار أحد المتحدثين أندريه جيرومسكى بهذا الخصوص ، ان هذا التقسيم قد جرى حسب الفئات البسيطة » (١١) .

وكتب الباحثة البريطانى اليكسى فينفروود فى دراسته « اسرائيل وعلاقات الفئات فى المجتمع الجديد » ، « ان التقسيم حسب الاجناس أو الفئات السببية ، هو أحد مصادر التوتر .

وبعبارة أخرى ، ان الفئات التي تحظى بالأفضلية تثير الضفينة لدى الفئات الدنيا . . ويتمتع بالقسط الأكبر من النفوذ أولئك الذين ينحدرون من أصل أوروبي . فكلما كانت السلالة أقرب الى المستوطنين الأوروبيين السابقين كان نفوذها أوسع . ويحظى الأوروبيون بمكان مرموق بالمقارنة مع اليهود النازحين من الشرق الأوسط أو من شمالي أفريقيا . فاليهودى من أصل بولونى أو انجليزى مثلا ، يتمتع بإمكانيات كبيرة جدا لا يحصل عليها اليهودى القادم من مصر أو العراق . ان هذه المفارقة هي قانون يطبع بطابعه المجتمع كله . وفى كل فئة من الفئات يوجد ، بالطبع ، تقسيماتها ، فاليمينيون ، مثلا ، يحتلون مكانة أرفع من المغاربة « (١٢) » .

ويتعرض ا. فينغرود الى درجة التوتر الحاصلة بين أسباط المجتمع اليهودى الاسرائيلى فيقول : « ان أكبر انفجار للتنازع العام قد حصل عام ١٩٥٩ عندما شملت الاضطرابات عددا من المدن ، وسار فى هذه المظاهرات ، بشكل خاص ، اليهود النازحون من أفريقيا الشمالية ، الذين حطموا الواجهات فى حيفا وبئر سبع معلنين احتجاجهم على قسوة البوليس ، ونقص المساكن ، ووضعهم المتردى فى المجتمع الذى لم يبد نحوهم لا العطف ولا التفهم » (١٣) .

ان رئيس وزراء اسرائيل الحالى على استعداد لأن يبقى ساعات طويلة يتفنى أثناءها « بالأمة اليهودية العالمية » الموجودة طبعاً خارج حدود « أرض كنعان » . وعندما يفكر أشكول باسرائيل ، يعترف بكل تواضع ، قائلا ان القضاء على التناقضات والمفارقات « العرقية والقومية » يتطلب زمنا يمتد الى عدة أجيال (١٤) .

وفى السابع عشر من ابريل عام ١٩٦٧ ، كرست المجلة الاميركية « يونائتد ستيتس نيوز اند وورد ريبورت » مقالا أشارت فيه الى « أن الاضطرابات قد أصاب تقريبا معظم قطاعات الاقتصاد الاسرائيلى وقذف الى الشارع ٧ الى ١٠ ٪ من اليد العاملة . وفى ذات الوقت ، برزت قضايا اجتماعية خطيرة بسبب التصادم داخل المجتمع اليهودى نفسه . (التشديد منى - ي.ا.) وقد أعلن فى حينه الاختصاصيون فى الحكومة أن أعدادا كبيرة من العاطلين آتيا ، هم من اليهود « الشرقيين » المنحدرين بمعظمهم من الشرق الأوسط ومن أفريقيا الشمالية ، والذين يتهمون « الاشكيناز » - اليهود من أصل أوروبى - بالتسبب فى حالة فقرهم المدقع » (١٥)

كتب ف. جابوتينسكى يقول : « لقد تعرفت فى اورشليم الى شخص طريف تقدمت به السن ، واسع الاطلاع ، مهذب . وبينما كنا نتنزه فى أحد أحياء اورشليم الجديدة ، رأينا رجلا فى الثلاثين من عمره ، مستلقيا على الرصيف يجرع العرق مباشرة من الزجاجاة - تأمله ، لقد أتى من الغرب من تونس . كان يشرب هناك العرق - مشروب العرب المفضل . وهاهو يشربه هنا . انه يعيش هنا منذ فترة وجيزة ، ولم يتمكن بعد من أن يتخلص من العوائد المكتسبة عبر القرون والتي تتناقلها الأجيال . أنا أقرأ « سفيات » و « بوليتيكا » ، وهو يشرب العرق فى الشوارع . نحن الاثنين يهود ، ولكن ما هو الشيء الذى يجمعنا ؟ لاشيء . وما الشيء الذى يبعد بيننا ؟ كل شيء . اننا لانتقن حتى لغة واحدة كي نتفاهم . . بين اولادنا ، واحفادنا ، واحفاد احفادنا ستتلاشى المفارقات ، وسيشكلون ، هم ، المجتمع الجديد ، الموحد ، لكنه ليس المجتمع اليهودى (التشديد منى - ي.أ.) بل الاسرائيلى » (١٦) .

ومن الملائم عند هذه النقطة أن نسرّد آراء أحد بناء النظام الحالى فى اسرائيل ، ناحوم جولدمان ، زعيم الصهيونية العالمية : « ان الشعب اليهودى هو ظاهرة تاريخية فريدة . وهو فى الوقت ذاته أمة وتكامل دينى وعرق وحامل حضارة من نوعية خاصة . وليس بإمكان أية عقيدة أمة أو دين غير يهودى أن يفسرا بدقة الظاهرة التاريخية الفريدة التى هى الشعب اليهودى . . نحن أمة عالمية ، تربطنا وشائج حميمة مع اسرائيل ، مشكلين مجتمعا لا يدرك كنهه التاريخ البشرى . . انصرم ذلك الزمن الذى كان يقدم فيه ، وبلا أى عوائق ، تضامن رجال الاعمال اليهود وبطالنتهم من ايدولوجى الرأسمال ، ملبى رغائبهم ، كمهمة حياتية « للأمة اليهودية العالمية » « الفامضة » و « الصعبة الادراك » .

ان واقع اسرائيل ، وتفاقم النضال الطبقي بين الكادحين الاسرائيليين ، يدحضان هذا التلفيق التضليلى الضرورى للزعماء الصهيونيين وحماتهم . لقد كان فى اسرائيل ، وعلى أعتاب عدوان العسكريين الاسرائيليين فى يونيو ١٩٦٧ مائة ألف عاطل عن العمل ، وهذا يعنى أن ١٠٠ ألف عائلة اسرائيلية من مليونيين و ٦٠٠ ألف شخص من سكان البلاد ، لا تأكل حتى الشبّع ! وهذا الرقم معبر وبلغ . .

ان نظام الطوائف المقفلة ذات الامتيازات المختلفة فى اسرائيل ، هو الاداة الصهيونية للفرقة بين الكادحين الاسرائيليين ، التى

تؤمن الطبقة الحاكمة حرية المناورة والسيطرة ، والنزعة العسكرية ، وبذر العنصرية الموجهة ضد العرب - هو الوسيلة المدعوة لأن تخفف من التناقضات الطبقية في المجتمع اليهودي ، ولتضمن ، ولو لوقت ما ، اتحاد جميع الذين يكسبون الى حد ما من اضطهاد الاقلية العربية .

الاقلية العربية . . ان نتكلم عن الوقت الذي كان فيه عدد اليهود في اسرائيل لا يتجاوز ٥ آلاف شخص . لتأخذ مرحلة قيام دولة اسرائيل .

بمقتضى قرار الأمم المتحدة الذي اتخذ في نوفمبر ١٩٤٧ ، اقتطع لاسرائيل ١٤ ألف كلم مربع لسكان يبلغ عددهم ٤ مليوناً و ١٠٠ ألف شخص ، منهم ٦٠٠ ألف يهودي و ٥٠٠ ألف عربي (١٧) .

ونتيجة لحرب ١٩٤٨ الحقت اسرائيل بهذه الأرض ستة آلاف كلم مربع ، من أراضي فلسطين العربية مع ما يقارب ٤٠٠ ألف نسمة . وفي بداية عام ١٩٤٩ ، وحسب المعطيات الاسرائيلية ، بقي على رقعة الأرض الموجودة تحت اشراف اسرائيل والتي تبلغ مساحتها ٢٠ ألف كلم مربع ، ١٦٠ ألف عربي فقط .

يبرز سؤال شرعي : الى أين وفي أي ظروف اختفى من اسرائيل أكثر من ٧٠٠ ألف عربي ؟ (١٨) - ماذا حصل باملاكهم غير المنقولة ؟ من يستفيد منها ؟ لمن أعطيت هذه الأرض ؟ كم قتل منهم ليكونوا « عبرة » للذين لم يرغبوا في مفارقة وطنهم الأصلي ؟ كم مات منهم في الأوبئة ، وفقدان الطعام والمأوى ؟

لنورد بعض الوقائع ، التي يستشهد بها الاسرائيليون أنفسهم : « ان أغلبية العرب طردوا عنوة زمن حرب ١٩٤٨ وتم تدمير قراهم .

في ٥ يونيو عام ١٩٤٨ ، طرد من اسرائيل بالقوة سكان قرية ايركيت في الجليل الغربي . في ١٥ نوفمبر عام ١٩٤٨ ، طرد سكان قرية كفر فيرام عنوة .

في ٤ فبراير ١٩٤٩ ، تعرضت غالبية سكان كفر عنان للطرد القسري الى ما وراء الأسلاك الشائكة . وقام الجيش بتهديم القرى في ٢٨ فبراير ١٩٤٩ ، تم اعتقال ٧٠٠ عربي من اللاجئين في قرية كفر ياسين ورحلوا عنوة الى ما وراء الحدود .

في ٢٤ يناير ١٩٥٠ ، قامت وحدات من الجيش الاسرائيلي بالاجوء الى العنف لطرد سكان قرية القابسية العربية الى ما وراء الحدود .

في ٧ يولييه ١٩٥٠ ، رحل بالقوة ما يقارب ألفى عربى يقطنون مدينة منجدل عسقلان من البلاد .

في ١٠ فبراير ١٩٥١ ، تم استعمال العنف لطرد سكان ١٣ قرية عربية صغيرة تقع فى وادى عربية الى ماوراء الحدود .

في ١٧ نوفمبر عام ١٩٥١ ، دمرت قرية البونيشات وحدات من الجيش . وهجر قاطنوها الى ماوراء الحدود .

في سبتمبر ١٩٥٣ ، تم طرد سكان قرية أم الفرج الى ماوراء الحدود . أما القرية فهدمت .

في ٢٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ ، تمت الابادة الجسدية لرجال ونساء وأطفال قرية كفر قاسم « (١٩) » .

ان الرأى العام العالمى لا يعرف الا القليل عن مأساة اللاجئين العرب (أن الوقائع المذكورة فيما تقدم تشكل جزءا من كل) . وسيأتى الوقت الذى سيصبح فيه كل شىء معلوما .

في عشية العام ١٩٦٨ ، اطلع واحد من ٣٠٠ الف عربى يقطنون حاليا فى اسرائيل ، وهو ممثل بارز للمثقفين العرب ، جلساءه على الوثيقة التى أعطيت له بوصفه عربيا من قبل الموظفين الاسرائيليين ، على أساس قانون الطوارئ الذى أقرته السلطات البريطانية عام ١٩٤٥ . فلم يكن لديه حق ، بدون هذه الوثيقة ، أن يذهب الى عمله الذى يبعد عن مكان سكنه مسافة تعادل زهاء ٣٥ كيلومترا ، وكان يجب عليه أن يجدد دائما هذه الوثيقة . وهاكم هذه الوثيقة :

قانون الدفاع الاستثنائى لعام ١٩٤٥

أذن بالسفر :

أرض محرمة رقم ٩

لسفرة واحدة	الاسم والشهرة ، رقم الهوية
رقم	

هدف السفر

الحاصل على الاذن مجبر على أن يصل الى الأرض المحرمة	
(الوقت)	(الناصرة) (الوقت)
وسيلة النقل رقم	أسماء المرافقين

رقم الهوية

رقم الهوية

رقم الهوية

يخضع الاذن للشروط التالية :

١ - على من يتسلم الاذن أن يعرف مرافقيه الى الشروط الآتية :

٢ - يبقى الاذن سارى المفعول اذا كان المرافقون يقصدون نفس المكان الذى يقصده الشخص الحائز على البطاقة ولا يفارقونه أبدا .

٣ - لهذا الاذن صفة جماعية ويمنح للأشخاص المرافقين ايضا : ولهذا يقع على كل من يحمل بطاقة مسئولية مراعاة الشروط ، بما فى ذلك الشروط رقم ٩ و ١٣ .

٤ - يسمح للمرء أن يتواجد ضمن المنطقة المحرمة (أو خارجها) فقط فى الفترة الواقعة ما بين ٦٤٠٠ - ٢٠٤٠٠ .

٥ - عدم التوقف فى الأماكن المأهولة .

٦ - السير فقط على الطرق المعبدة .

٧ - هذه البطاقة تسمح بالتوقف (أو الذهاب الى) فى تلك النقط المحددة فى الوثيقة وفى الحدود الزمنية المشار اليها فيها .

٨ - تمنع فى الأمكنة كافة الأعمال والتحركات التى لم تذكر فى القسم المخصص لـ « هدف الزيارة » .

٩ - عند انقضاء مفعول الوثيقة يجب اعادتها الى قائد المدينة فى مدة أقصاها أسبوعان .

١٠ - فى حالة فقدان الوثيقة يجب ابلاغ أقرب مخفر للشرطة دون ابطاء .

١١ - أن من يسئ استعمال الاذن يعاقب قانونيا .

١٢ - يجب حمل الهوية للتعرف الى الشخص .

١٣ - على كل من استلم اذنا أن يحمله طوال مدة اقامته فى الأمكنة المحرمة .

١٤ - هذا الاذن لا يمنح الحق بالتواجد فى المناطق التى يستعملها جيش الدفاع (١) الاسرائيلى للأهداف التمرينية .

١٥ - يحظر التواجد فى المنطقة رقم ٩ أو خارجها بعد انقضاء مفعول الاذن .

١٦ - يحظر تبديل المسكن فى المكان المعين ، ولا يسمح به الا باذن من المسئول .

١٧ - يحظر الاقتراب على مدى ٢٠٠ متر من الأماكن الموضوع عليها علامة « ممنوع » والمذكورة فى التعديل الملحق للقانون الجزائى الصادر عام ١٩٥٧ .

(الى)

(من)

اذن يعمل به

الختم

الامضاء

ان من اتيح له أن يرى بطاقة الافريقيين التى يمنحها « البيض » فى ادارة جمهورية جنوبى افريقيا ، لا يمكنه أن يتخلص من فكرة التشابه العجيب .

ان البطاقة التى يجرى الحديث عنها ، قد منحت للسفر من « منطقة محرمة الى أخرى » . ترى هل الأمر يتعلق بالمنشآت العسكرية ؟ أبدا ، اطلاقا . . منذ الفترة الاولى لاقامة اسرائيل ، أعلنت الأوساط الحاكمة فيها « مناطق محرمة » الامكنة التى يقطنها العرب . وان الانظمة البوليسية والعسكرية فى هذه « المناطق المحرمة » تشبه النظام الذى صيغ « للأمم المتخلفة » الموجودة فى المناطق التى احتلتها فى حينه ألمانيا النازية .

ولنعد الى الازهان أن قانون « الدفاع » (الاستثنائى) ، هو نفس القانون الذى جرى بمقتضاه عام ١٩٦٨ منح العرب بطاقات تشتمل على ١٧ نقطة من الشروط الالزامية ، والتى بموجبها يمكن وضع أى عربى فى اسرائيل تحت الاقامة الجبرية دون تحديد الوقت ، أو اعتقاله . وقد أقر هذا القانون من قبل السلطات الاستعمارية البريطانية فى فلسطين عام ١٩٤٥ . ففى ذلك الوقت قامت بريطانيا الاستعمارية (عندما رأت أنها يمكن أن تفقد غالبية أسهم « الاتحاد الصهيونى » لمصلحة الولايات المتحدة) بتعميم التدابير الصارمة المنصوص عنها فى القانون المذكور لا ضد العرب والمستوطنين اليهود المتقدمين فحسب ، بل أيضا ضد الصهيونيين الذين هبوا للدفاع عن الرأس مال الاميركى . ولنعد الى الازهان كيف نعت الزعماء الصهيونيين فى ذلك الوقت ، القانون البريطانى لعام ١٩٤٥ الذى يعملون بموجبه الآن ، عندما كان موجها ضدهم أيضا .

لقد وصف وزير عدل الدولة الاسرائيلية يعقوب شابيرو ، الذى حول قانون السلطات البريطانية الاستعمارية الى قواعد تضبط حياة وسلوك سكان اسرائيل من العرب ، وصف هذا القانون فى ٧ فبراير عام ١٩٤٦ قائلا : « أن النظام الذى أقيم فى فلسطين مع أقرار قانون « الدفاع » ليس له مثيل فى أى بلد من البلدان المتحضرة . حتى فى ألمانيا النازية لم يكن يوجد مثل هذه القوانين . وان ما جرى فى ميدانيك وغيرها من معسكرات الموت ، كان خرقا لنص القانون ، ولا يطابق الظروف القائمة فى البلاد المحتلة الانوع واحد من الأنظمة . أنهم يحاولون تعزيزتنا بان القانون الصادر موجه فقط ضد المخالفين وليس ضد المواطنين ككل . على ان الحاكم النازى

في اوساو كان هو أيضا يؤكد بأن الأشخاص الذين يمارسون أعمالهم العادية لن يمسوا ٠٠ وعلينا أن نعلن للملأ أن قانون « الدفاع » في فلسطين ينسف كل أسس التشريع والعدالة في البلاد .. » (٢٠)

وفي نهاية عام ١٩٦٢ ، وقعت سلطات اسرائيل الاتفاقية الدولية التي تحرم التمييز العنصري في التعليم العام . لكن « الوقائع تشهد - كما يشار الى ذلك في نشرة الحزب الشيوعي الاسرائيلي - على أن العرب الذين يشكاون ١١٥٪ من سكان اسرائيل ، لايشكلون الا ٢٩٪ في المدارس الثانوية للعام الدراسي ١٩٦٥ - ١٩٦٦ . أما في جامعات اسرائيل ومعاهدها العالية فيدرس فقط ٣٠٠ طالب عربي ، أي ٥١ من مجموع طلاب اسرائيل » . (٢١)

وكما يشهد ١. جيرومبكي ، « لا يوجد البتة مدارس زراعية للشبيبة العربية ، بالرغم من أن غالبية السكان العرب تقطن وتعمل في الريف . أما وضع مباني المدارس ، فهو في حالة يرثى لها . وكثيرا ماتجرى الدروس في العراء لانعدام غرف الدراسة . ونادرا ماتوجد طاولات في المدارس العربية فيضطر الأولاد لافتراش الأرض وقت الدرس » . (٢٢)

ومن ناحية أخرى ، تتجلى سياسة الدولة المعادية للعرب وعنصريتها واضطهادها لهم في مصادرة أراضي الفلاحين العرب . وبعان الحزب الشيوعي الاسرائيلي « أن الممارسة المجرية للصهيونية والرامية الى تأمين قطع الأرض للمستوطنين اليهود مازالت مستمرة حتى الان ، وفي ظروف دفاع الدولة عن هذه الممارسة بحجة « احتياجات الأمن » ، و « التنمية » ، و « الدفاع عن ملكية الدولة » .. ان عملية الاستيلاء على ملايين الدونمات التي تخص اللاجئين العرب الذين طردوا من البلاد ، لم تكن كافية ، ولا تزال أراضي الفلاحين العرب الذين تمكنوا من البقاء في اسرائيل ، هدف عملية مستمرة لنزع الملكية والاغتصاب .

ومنذ انشاء دولة اسرائيل ، اتخذت حكومة اسرائيل سلسلة من الاجراءات ، بما في ذلك اقرار بعض القوانين (السافرة او الموهة) بفية حرمان السكان العرب من أراضيهم وجرت بطريقة او أخرى مصادرة أكثر من مليون دونم من أرض العرب القاطنين في اسرائيل » (٢٣)

وفى وضح نهار الواحد والثلاثين من يناير عام ١٩٦٦ ، شنت فئة من الفتيان الفاشيين هجوماً على جميع العرب الموجودين فى شوارع مدينة ناتانية وضربتهم ضرباً مبرحاً . فقام المسئولون ، كما هى العادة فى مثل هذه الظروف ، بترويج شائعات ممجوجة ومشبوهة حول « قتل العرب لشخص يهودى » . وبكل هدوء أعصاب تتابعت هذه الاساءات الاستفزازية لمدة طويلة دون أن يسارع رجال الشرطة .

فخرج العمال العرب الذين يعيشون فى القرى المجاورة ، والذين كان كثير من رفاقهم ضحية للتنكيل الدموى ، خرجوا بمظاهرة ، وعلنوا بعدها الاضراب . وفورا حاولت السلطات أن تعلن أن هذه الانتفاضة للعمال العرب ، هى عصيان « استفزازى للقوميين العرب »

ولفضح هذه المحاولة ، أعان أحد ممثلى الكتلة الشيوعية فى البرلمان ، العربى أميل حبيب ، فى خطابه اثناء جلسة الكنيست : « أن سكان طيبة وكالانساف قد احتجوا على سياسة الحكومة العنصرية التى تقود حتما الى مثل هذه النتائج (وهو التنكيل بالسكان العرب) . ان عمال طيبة وكالانساف ، مثلهم مثل عمال القرى الاخرى ، مشهورون بتربيتهم البروليتارية الحققة . أن اخواننا ، العمال اليهود ، يعرفونهم ويكدهون سويا معهم ، ويناضلون معا ضد نفس الاستثماريين . وفى العام الماضى ، عندما أضرب عمال بلدية رامات - حانة ، حاولت بلدية رامات - حانة ، كسر الاضراب عن طريق المدن والقرى العربية ، لكنها فشلت فى العثور على عامل عربى واحد يرضى بأن يسرق كسرة خبز ممن رفيقه ، العامل اليهودى .

ويوم الاثنين المنصرم ، كما هو معلوم ، هب عمال مرفأ حيفا ، اليهود والعرب ، معا ، وبروح التآخى والتضامن ، فأعلنوا الاضراب ، محتجين على ارتفاع تكاليف المعيشة ، مطالبين بزيادة الاجور . نحن على ثقة راسخة بالطبقة العاملة اليهودية فى اسرائيل ونثق بسلوكها البروليتارى . » (٢٤) .

وأثناء دفاعه عن شرف الكادحين اليهود وكرامتهم ، أشار اميل حبيب بشكل خاص الى « أن الاشقياء الذين عاثوا فسادا فى ناتانية ، لا يمثلون ، ولا بأى شكل ، شعب اسرائيل اليهودى » (٢٥) وفى شهر ابريل عام ١٩٦٥ ، خلال حديث مع رئيس بلدية القسم الاسرائيلى لمدينة القدس ، طرح مؤلف هذا الكتاب (والحق

يقال ، ليس بدون قصد) السؤال التالى : « حضرة رئيس البلدية هل يوجد فى مدينتكم الكثير من العشاق » ؟
لقد أعجب السؤال رئيس البلدية واستجاب له بنفس النبرة :
« آه ، نعم . ربما كانوا أكثر منهم فى أى مكان آخر على الكرة الأرضية » .

وعلى السؤال التالى ، بوصفه رئيس بلدية ، كم عدد الزيجات المختلطة التى سجلت (اذ من المعروف أن الحب لا يفرق بين اليهودى والعربى) لم يتمكن رئيس البلدية من الإجابة ، بإمكان إدارة مكاتب التسجيل القبرصية أن تجيب على هذا السؤال ، حيث يتوجه الاسرائيليون الذين حرموا من امكانية جعل قرانهم قانونيا فى الوطن .
ان نسبة الزيجات المختلطة فى اسرائيل منخفضة ، لكنها تنمو على الرغم من السياسة الرسمية للاوساط الحاكمة التى تقلقها مسألة « النقاء العرقى » . ومن الطبيعى أن هذه العملية لا تتناول الطبقات صاحبة الامتياز ، ولكنها تنطلق من أعماق الشعب ، وتضرب على ذلك مثلا الفئات التقدمية الاسرائيلية ، المتخوفة من الخرافات العرقية .

وبهذا الصدد ، فان الاستدلالات المذكورة آنفا للصحفى البولونى اندريه جيرومى عن مصير الامة الاسرائيلية (بصرف النظر عن لهجة التفوق لديه) تبدو غير كاملة ، ونحن نرى أن التكون النهائى للامة الاسرائيلية سيكون مزيجا طبيعيا لجماعات وشعوب اسرائيل المعاصرة .

أن الشكل الاسرائيلى للعنصرية مدعو ، قبل كل شئ لان يحقق فى الممارسة الصهيونية شعار الطبقة الحاكمة القديم « العجوز الطيبة » (الاستعمارية) أى بريطانيا . وهل توجد أسباب إضافية لتثبيت العنصرية على التربة الاسرائيلية .
انها موجودة . وتبدو بجلاء أكثر عند معالجة مجموعة المسائل المرتبطة بقضية المكان والدور المعطيين لدولة اسرائيل ضمن منظومة الصهيونية العالمية .

ان المركز التنظيمى والفكرى الرئيسى للصهيونية ، الذى يمتلك رساميل مالية معادلة لرساميل أكبر التجمعات الاحتكارية فى العالم ، هو ، حتى يومنا هذا المركز المؤسس عام ١٨٩٧ والذى يدعى « المنظمة الصهيونية العالمية » المبنية على أساس عنصرى والمستقرة فى الولايات المتحدة الاميركية . وهذه المنظمة تمارس اشرافها على

التجمعات الصهيونية في أكثر من ٦٠ بلدا وتوجه نشاطها ، وإن توجيهاتها تحدد طبيعة العمل في أكثر من ٦٧ بلدا من بلدان المؤتمر اليهودي العالمي - الفرع النشط للمنظمة الصهيونية العالمية . ويتفرع من هاتين المنظميتين الكبيرتين العديد من الجمعيات ، والنوادي ، واللجان المؤقتة والدائمة ، والاتحادات ، والتجمعات .

وهذا المؤتمر الصهيوني العالمي ، هو ، اسميا ، الهيئة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية ومندوبوه يعينون تعيينا . وينتخب المؤتمر ، بدوره ، المجلس الصهيوني العالمي ، الذي تتمثل فيه جميع المنظمات والأحزاب الصهيونية الموجودة في مختلف بلدان العالم . ويقوم المجلس الصهيوني العالمي بدوره بانتخاب اللجنة التنفيذية الصهيونية العالمية التي تتخذ مقرا لها مدينتي نيويورك والقدس . وتشتمل اللجنة التنفيذية على ١٢ فرعا ، يرأس كل منها فرعا مميزا لنشاط المنظمة الصهيونية العالمية ، (بدء من المخابرات حتى « التعليم الديني في البلدان الأجنبية ») .

وتخضع الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية ، في الواقع ، لأرادة حفنة من الأشخاص من صناع الاحتكارات الأميركية الضخمة ، وغالبيتهم من أصل يهودي .

وتستطيع جماعة هؤلاء القادة ، عند الحاجة ، أن تبرر تحكمها بالمنظمة الصهيونية العالمية ، بالعدد المهيمن من الأعضاء في المنظمات الصهيونية الأميركية والذي يقارب عدد سكان إسرائيل ، أي وجود « جيش » من الصهيونيين الأميركيين لم يفصحوا أبدا عن رغبتهم في الرحيل الى الشرق الأوسط . واليك الآن بعض المنظمات الصهيونية والموالية لها في الولايات المتحدة الأميركية والمستعدة لأن تصفق من وراء المحيط للأوساط الإسرائيلية الحاكمة وأن تمول مغامراتها : « بنية - بريت » - ٥٠٠ ألف عضو ، المؤتمر اليهودي في أميركا - ٣٠٠ ألف عضو ، المنظمة الصهيونية الأميركية - ١٠٠ ألف عضو ، المنظمة النسائية الصهيونية في أميركا - ٣٠٠ ألف عضو . الخ .

على أن السلطة الفعلية للمنظمة الصهيونية العالمية لا يؤمنها تعداد الصهيونيين الأميركيين ، بل شيكات اصحاب المليارات الأميركيين ومن يرتبط بهم من الاوروبيين الغربيين والأفريقيين الجنوبيين .

ان المنظمة الصهيونية العالمية ، كما هو المفروض بالاتحاد الدولي الوطيد ، تشكل واحدة من اكبر المالكين في العالم الرأسمالي . ولنتعرف بشكل سريع الى ما تملكه المنظمة الصهيونية العالمية في دولار ، أو ١٦٦٣٪ ، والمجهود اليهودي ، (اقرأ : الصهيوني . الزراعية ، و « ترعى » أكثر من ٨٠ مسستعمرة زراعية في اسرائيل ، وحتى عام ١٩٦٣ كانت المنظمة تبسط سلطتها المطلقة أو الجزئية على ٦٠ معملا اسرائيليا ، الى جانب هيمنتها على اكبر شركة اسرائيلية للبناء « راسكو » ، وتساهم في شركة من اكبر الشركات الاسرائيلية التي تقوم ببناء المنشآت المائية - « مينكورات » ، وتساهم كذلك في شركة طيران اسرائيل « العال » وفي الشركة البحرية الاسرائيلية « تسيم » ، التي تقدم خدماتها على الخطوط الدولية .

ويلوح ضروريا التحدث باختصار عن المصادر الأساسية لتدفق الرساميل الأجنبية على اسرائيل ما بين أعوام ١٩٤٨ - ١٩٥٩ . تشكل حصة الولايات المتحدة (قروض بنك الاستيراد والتصدير ، ومساعدات فائض الانتاج الزراعي) - ٥٥٧،٣ مليون دولارا ، أو ١٦٦٣٪ ، والمجهود اليهودي ، (اقرأ : الصهيوني . ملاحظة من ١٠٠) وغالبيته من الولايات المتحدة الأميركية - ٨٤٨،٧ مليون دولار ، أي ٢٥٪ ، والسندات الحكومية الموظفة بشكل رئيسي في الولايات المتحدة - ٣٣٤،٦ مليون دولار ، أو ١٠٪ ، ثم قروض المصارف الاجنبية والرأسمال الخاص ومصدرها الرئيسي الولايات المتحدة وفرنسا - ٧٧،١ مليون دولار ، أو ٢٢،٧٪ ، أما حصة ألمانيا الغربية (في تمويل الدولة وبعض الأفراد بصفة تعويضات) فتشكل ٧٢٥،٣ مليون دولار أو ٢١،٤٪ . الخ . وبالإجمال ، فان مجموع هذه المساعدات يشكل ٣ مليارات و ٣٨٦ مليون دولار . واذا ما أخذنا النصف الأول من عام ١٩٦٠ ، عندما كانت الاموال غير المنقولة للعرب تبلغ ٥٦٠ مايونا من الدولارات ، كان مجموع الرساميل على طول ١٢ عاما يشكل ٤ مليارات و ١٠٠ مليون دولار ، أو ٣٤٠ مليون دولار في العام الواحد ، أو زهاء مليون دولار في اليوم . (٢٦) .

ولحين وقوع العدوان الاسرائيلي في يونيو عام ١٩٦٧ ، كانت « الحقنة » اليومية للاقتصاد الاسرائيلي تحتفظ بذلك المستوى العالي جدا . وفي الأيام الأولى للعدوان ارتفع هذا ارتفاعا

ملبوسا . ولنشر أيضا الى أنه حتى عام ١٩٦٧ كانت تعمل في إسرائيل ٢٠٠ شركة أميركية . فاذا تذكرنا ان عدد سكان إسرائيل يبلغ ٢٦ مليون نسمة ، وأن مساحتها حسب حدود عام ١٩٤٨ اللا شرعية تبلغ ٢٠ ألف كم مربع ونيف مع وجود ١٦٣ شركة ضخمة نسبيا ، فإن المعطيات المذكورة انما تشهد على أن الاتحاد العالمي الصهيوني وبواسطته ، الاحتكارات الأميركية والالمانية الغربية ، تشرف فعليا على اقتصاد دولة إسرائيل .

ومن الطبيعي جدا أن تكون الصهيونية العالمية صديقة ثابتة للامبريالية العالمية ، التي تعتبر إسرائيل لا وليدة لها فحسب ، بل ملكا لها أيضا .

من الممكن اعتبار علاقة كبار القادة الصهيونيين هذه معقولة ومحددة منسقا للمكان المخصص لإسرائيل في المنظومة الصهيونية، اذا اعتبرنا أن إسرائيل ، هي أوساطها الحاكمة التي تشكل جزءا من الاتحاد الصهيوني والخاضعة لإرادته ، او اذا اعتبرنا أن إسرائيل، هي الجهاز الحكومي والاداري والآلة العسكرية التي كونت خطوة خطوة مع الأخذ بالحسبان آفاق المخططات الصهيونية الدولية . فأمام إسرائيل هذه إسرائيل العسكريين ، والمغامرين السياسيين، والمرائين ، المهيمنين الحقيقيين على الاتحاد الصهيوني العالمي (وليس الاداريون ، والجوالون أمثال جولدمان) تطرح في المرحلة الحاضرة ثلاث مهمات أساسية مدعوة لتحديد دور إسرائيل في المنظومة الصهيونية العالمية :

١- تحويل إسرائيل الى قرصان حربي مؤهل ، عن طريق استخدام القوة والاشراف ، للتأثير بصورة فعالة على اتجاه مجرى الاحداث في منطقة الشرق الادنى (التي لها أهمية حيوية لا تثنى بالنسبة للامبرياليين (❖)) .

مواصلة تدعيم إسرائيل كمركز للتأثير الديني والسياسي ، وقدر الامكان للاشراف على ملايين اليهود ، مواطني مختلف البلدان .

(❖) نستشهد بالمعطيات التالية التي توضح توظيفات اتحادات الولايات المتحدة الاميركية في الصناعة النفطية في منطقة الشرقين الادنى والوسط والارباح التي حققتها :

تمتين مواقع إسرائيل كوسيط لعملية التفاعل الاقتصادي والسياسي الامبريالي (تحت العلم الاسرائيلي) في البلدان الثمانية في افريقيا وآسيا (كما في بعض البلدان الأخرى . .) .
 أن مجرى الأحداث في الشرق الأوسط وداخل إسرائيل نفسها خلال العشرين عاما المنصرمة ، يشهد على أن الاوساط الإسرائيلية الحاكمة تسعى بكل اخلاص وحرص لضمان انجاز هذه المهمات .

وأن الـ ٨ مليارات دولار (٢٧) ، التي أعلن عنها ، والتي تلقتها إسرائيل على مدى ٢٠ عاما من وجودها (المبلغ الذي لم يحصل عليه أي بلد « يسخى عليه » زعماء « العالم الحر » !) تبين أن الامبريالية قد انخرطت في لعبة جديدة وخطرة في منطقة الشرق الأوسط . وأن التخطيط للحصول على ٩ مليارات دولار اضافية ما بين الأعوام ١٩٦٧ و ١٩٧٥ ، ليدل بسطوع على ان هذه اللعبة ان تكون أقل خطرا أو توجيهها .

لقد اعترف زعماء إسرائيل بصراحة انهم لم يبدأوا من الصفر ، وذلك في الوثيقة المعتمدة لأوسع الجماهير . « لقد ابتاعوا لنا هذا المكان ، ومنحونا تأييدهم أعواما طوالا كي نتمكن من الوقوف على أقدامنا . . ونحن نسدد ديننا ليس بالعمل فحسب ، بل بالأموال ، بالمعنى الحرفي للكلمة » (٢٨) .

السنوات	توظيفات مباشرة	ارباح اضافية بعد دفع الضرائب بملايين الدولارات	معدل الارباح من توظيف الرساميل
١٩٦٣	١٢٠٧	٨٢٥	٦٨٤٣
١٩٦٤	١٢٤٠	٨٩٣	٧٢٤٠
١٩٦٥	١٤٩١	٨١٣	٥٤٤٤

وكما يشير س . . استاخوف (في مقاله عن « القوى الخفية » للعسكروان الاسرائيلي) في مجلة « الحياة الدولية » رقم ١٠ - ١٩٦٧ - تشكل هذه المعطيات رقما وسيطا بالنسبة لكل هذه المنطقة . ومن الضروري أن نشير ، مثلا ، الى الكويت ، حيث يشكل الدخل الصافي السنوي للاحتكارات النفطية حوالي ٥٠٪ من اساس الراسمال الموائف . وطبقا للمعطيات ، الصحافة الغربية ، فإن دخل الشركات الاميركية النفطية من النفط العربي يبلغ مليارا و ٢٠٠ مليون دولار في العام - اما البريطانية فيبلغ ٦٠٠ مليون دولار .

وبمقتضى الميزانية الرسمية لاسرائيل ، فانها قد لحظت فقط لعام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ مقدار ٢٠٪ من جميع مخصصاتها لتسديد بعض القروض وايفاء فوائد بعضها (٢٩) (وما يقارب ٤٠٪ للنفقات العسكرية المباشرة وغير المباشرة) . لذا ، فان أى أسلوب جهنمى سيتخذه الحكام الاسرائيليون حيال عمال المدن والقرى ، والتعاونيات الزراعية المرتبطة بالمصارف الصهيونية ، لن يمكن (عمالهم) من أن يسددوا بأعمالهم طوال سنوات عديدة ولوقسما من الحوالات التى أعطاها للطبقة الاسرائيلية الحاكمة أولياؤها الامبرياليون . والأوساط الحاكمة فى اسرائيل تعلم علم اليقين ، وأكثر من العديد من الاسرائيليين ، وتدرك كنه ذلك ، فتعتزم بشكل سافر على ايفاء ديونها عن طريق اسداء خدمات معينة للدائنين .

« ليس غير اسرائيل قوية تعطى الولايات المتحدة الاميركية امكانية اعاقا النفوذ المتنامى للاتحاد السوفياتى فى منطقة الشرق الاوسط » (٣٠) . هذا ما أعلنه رئيس وزراء اسرائيل ، ليفى اشكول لرئيس اولايات المتحدة الاميركية ، جونسون ، فى يناير ١٩٦٨ أثناء احتدام عدوان العسكرية الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة التى اغتصبت نتيجة لعدوان يونيو الفادر .

« الاوساط الاسرائيلية : من الممكن أن يكون بيننا وبين العرب جولة جديدة فى مستقبل غير بعيد » . - هكذا تنبأت لعمى ١٩٦٨ - ١٩٦٩ جريدة « هآرتز » .

هذه هى عملة العسكريين الاسرائيليين ، والضمانة العملية لـ « اخلاص » محاولتهم فى حل إحدى المهمات الرئيسية المطروحة أمامهم .

ان ملايين الليرات الاسرائيلية - وهذا فى ظروف وجود البطالة - تنفقها السلطات الاسرائيلية بسخاء من أجل الدعاية لأفكار « الأمة اليهودية العالمية » ، ولنشر دعوة التفاف اليهود حول اسرائيل ، ومساعدتهم المختلفة لوجوه لأعمال الأوساط الحاكمة الاسرائيلية ومغامراتها العسكرية . وللامبريالية مصلحة وثقى بنشاط الدعاة الاسرائيليين هذا ، ولذا ، فان قسما لا بأس به من تلك المليارات التى تبهر الى « أرض الميعاد » يذهب الى جيوبهم .

ان الشكل الاسرائيلى للتفرقة العنصرية (اشكناز - سيفارد - « غوى » - عربى ، وهى أجناس السكان المصنفة فى اسرائيل) ، وكذلك الشكل المبتدع للتمييز العنصرى البربرى ضد العرب ، يخدمان نفس هذه الأهداف . فهذا جزء لا يتجزأ من سياسة القيادة الصهيونية فى المنظمة الصهيونية العالمية واسرائيل من أجل بناء ما يسمى بـ « مركز التأثير » - « المركز اليهودى » (وليس دولة اسرائيل التى يقطنها الاسرائيليون) .

فالصهيونيون ، بسبب وبلا سبب ، يعرقلون العملية الطبيعية لنشوء الأمة الاسرائيلية ، واضعين فى طريقها المعوقات والحواجز التى لا تحصى . فهم ، طبعا ، لا يحتاجون الى الأمة الاسرائيلية المتعاضدة الموجودة حاليا فى المرحلة الاولى من تكوينها ، والتى تظهر امارات اللامبالاة ازاء الصهيونية ، كما ازاء الألمان ، والانجليز ، والروس ، والايطاليين اليهود الأصل .

وقد أعلن أورى افيرى ، رئيس تحرير احدى المجلات الاسرائيلية الواسعة الانتشار انه يريد هو نفسه ان يتكلم عن عدم دعوة أى شخص مؤهل للتعبير عن آراء الجيل الجديد ، الى المؤتمر (النصهيوئى السادس والعشرين المنعقد فى القدس) . قال : « أن هذا المؤتمر المنظم من قبلكم هنا ، هو بالنسبة لنا ظاهرة غريبة ومقبته . نحن لا نعرف ما هى الصهيونية . . انها تتحرك بيننا كجثة حية ، وتفسد أذهاننا . وليس فقط أذهاننا ، بل جميع انظمتنا الادارية والتنظيم السياسى وقضية وجودنا القومى » .

ان قادة الصهيونية العالمية ليسوا فقط بحاجة الى الطبقة الحاكمة المسككة بزمام الامور ، بل الى وجود فئة ذات امتيازات ترجع بأصلها الى تلك البلدان التى يقطن فيها اكثر اليهود ثراء ونفوذا سياسيا (كأوروبا الغربية وأميركا) . وهذه الفئة مدعوة (من أجل الاستهلاك الخارجى) لأن تحشد اسرائيل ككل . ووفق حسابات الخبراء النفسيين الصهيونيين ، فإن قسما معينا من يهود أوروبا وأميركا مؤهل للتبرع (أى لحقن الخزينة الصهيونية) تماما كما هو مؤهل لظهار ولائه لفكرة « ازدواج الجنسية » .

وفى هذا أيضا يكمن اثبات آخر لاشكال العنصرية الاسرائيلية . ولكن من المعروف ، أن كبح هذه العملية الموضوعية أو تلك يمكن

في أحسن الظروف أن يؤدي إلى تأخيرها وقتيا وليس بمقدور أحد أن يقضى عليها . والمحاولات من هذا القبيل تؤدي حتما إلى الانفجار .

ولقد قامت المجلة الأميركية « نيوزويك » (٣١) بنشر أخبار على قدر من الموضوعية حول الوضع في إسرائيل تؤدي بك بشكل لا إرادى إلى نفس الفكرة . ولنستشهد ببعض الاقتباسات التي اقتطفناها : « منذ عام ١٩٤٨ هاجر إلى إسرائيل أكثر من مليون و ٢٠٠ ألف يهودى . وقد جاءوا من ٩٤ بلدا وكانوا يتكلمون ٧٠ لغة . ومع الهجرة الجماعية تكون ما يسمى بـ «إسرائيل الثانية» ، إذ أن اليهود السيفارديين أى من أصل شرقى يشكلون ٦٠٪ من سكان إسرائيل البالغ عددهم مليونين ونصف المليون . هؤلاء هم اليهود الآتون من بلدان أفريقيا الشمالية ، وآسيا ، والشرق الأوسط والذين تختلف ثقافتهم وآراؤهم الاجتماعية إلى حد كبير عن آراء اليهود الأوروبيين ، ويعادل دخل اليهود الشرقى ثلاثة أرباع متوسط دخل اليهودى الأوروبى ، فقط » .

على أن الانشقاق يذهب إلى أبعد من الإحصاءات الجافة . فاليهود الأوروبيون يحتقرون اليهود الشرقيين . وكما أعلن أحد اليهود البولونيين وصاحب أحد المخازن : « لا يجوز أن ينتظر منهم عمل كالذى ينتظر من الأوروبى » . « لا شك أنه شاب لطيف » - قالت إحدى الإسرائيليات عن صهرها العتيد « لكنه أسود اللون ، من ليبيا ، وهو ليس أحسن من العربى بشيء » . ثم وضعت أصبعها على شفيتها والتمست قائلة : « من فضلكم لاتنقلوا هذا الكلام للجيزان » .

وتنبه مجلة « نيوزويك » فتقول أن العديد من اليهود الشرقيين يضمرون الشر لليهود الأوروبيين . « اليهود الأوروبيون يودون أخضاعنا - صرح بهذا داود حاكخام اليهودى المهاجر من العراق - نحن القاعدة السفلية ، أما هم فالذروة . لقد جئنا إلى إسرائيل هربا من التمييز العنصرى ، لكننا وجدناه هنا . . . » . وقال ميخائيل زيلتسر ، أحد المدافعين الجذريين عن قضايا اليهود الشرقيين : « انهم يحاولون محق اليهود الشرقيين من الناحية الثقافية . ويرغبون بتحويل اليهود الشرقيين إلى أوروبيين ، ولا يدرون أنهم يجلسون على برميل بارود » . (التشديد منى - ي.أ.)

ونرى من المناسب توضيح ناحية أخرى من نشاط النظريين
الصهيونيين والتطبيقيين في « حل » القضية القومية .

كتب أ. جيروميسكى عن انطباعاته عن إسرائيل يقول : « حتى
الآن لم يحدد ، بعد ، من يعتبر يهوديا . ولكن ، لا يوجد أية رغبة
في الذي يعتبر « غوى » (*) . والأكثر من ذلك ، فإن تحديد
انتماء الناس للعنصر غير اليهودي يجري بشكل فظ جدا . .
وها نحن نقدم حرفيا مقطعا من مقالة أحد المواطنين اليهود
منشورة في المجلة الأسبوعية الإسرائيلية « اود نوبا » الصادرة
عن حزب المابام باللغة البولونية . « دعوني الى غرفة منفردة ،
وأمروني بخلع سروالي ، وبعدها بدأ الفحص الدقيق والشامل ،
وفي النهاية مزقت الصمت المطبق كلمات تقول : « بالضبط ،
يهودي ! » . أين ومتى يجري ذلك ؟ في فرصوفيا ؟ في لودزى ؟ في
عام ١٩٤١ ؟ في عام ١٩٤٢ ؟ في عام ١٩٤٣ ؟ . . لا ، في إسرائيل
عام ١٩٦٠ ، العمل يجري في تل أبيب ، في شارع يافنه ، في
مبنى المنظمة الموقرة الجاملة اسم « محكمة الحاخامين » . متى ؟
كما ذكرنا : في عام ١٩٦٠ ميلادي . مرتين في حياتي نزعوا عني
سروالي للتثبت من انتمائي الى الشعب المختار . المرة الأولى في
المحجر قبل ترحيلي الى أوسفنتسيم ، والمرة الثانية - هنا في
إسرائيل » (٣٢) .

ولنر بشكل مقتضب كيف تحقق الأوساط الحاكمة في إسرائيل
الهدف الثالث من الأهداف الأساسية التي سبق أن ذكرناها والتي
طرحتها أمامها الطفمة القيادية للاتحاد الصهيوني العالمي ؟

في اينجان ، عاصمة ساحل العاج ، شمع مند فترة وجيزة
فندق ضخمة ، وأنشئت منازل وشقق بيعت أو أجزت بأسعار
خيالية (تكلفة المشروع ٢٠ مليون دولار) .

لقد قام المليونير اليهودي أيكوستيال فيديرمان بتمويل البناء
مبرهنا ، بالأفعال لا بالأقوال عن « استعداد الممولين الاسرائيليين
للمساهمة في « تحرير اقتصاد البلدان المتخلفة » . وبعد أنجاز
البناء عين فيديرمان بنفسه لإدارة الفندق شخصا موثوقا به يدعى
فيللى شيلينر .

«*» غير يهودي . .

وبعد مضي فترة من الوقت اتضحت تفاصيل مثيرة جدا ومرتبطة بالحوادث الأنفلة الذكر والتي تستلقت الانتباه . فقد أصبح واضحا أن الصفقات التي تتم عن طريق فيديرمان في افريقيا تخص شركة اسمها « بوبينا » يحيط بها الغموض . وظهر أن شركة « بوبينا » مسجلة فقط في دولة واحدة في العالم وهي اماره « ليختينشتاين » . الا أن جدول مالكي أسهم هذه الشركة، كما أذيع ، كان سرىا .

وعلى الرغم من ستار السرية انكشف واقعان بليغان : (١) رغم دور فيديرمان القيادى فى هذا المشروع ، انتقل ٢٥٪ من اسهمه الخاصة الى أيدي أولئك السريين المساهمين فى الشركة ، (٢) الشخص المعين من قبل فيديرمان لإدارة الفندق ، عرف فيما بعد أنه نازى نشيط كان فيما سبق مساعدا لنازى آخر بارز هو البرت شيربر - الذى قضت عليه محكمة نورنمبرج بالسجن ٢٠ عاما .

ومن المفيد ذكره أن المليونير فيديرمان قد قدم الى حكومات البلدان الافريقية من قبل حكومة إسرائيل ، وجولدا ماير - العليمة بجميع مكائد الزعامة الاسرائيلية والمساهمة فيها ، قد توجهت الى فيديرمان بدعوة لاعطاء نشاطه فى افريقيا صبغة اسرائيلية محضة (٣٣) . ولم يبق لهذا الاخير الا يكون وفييا لحرفية هذه التعليمات وروحها .

وفى المرحلة الممتدة من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٥٦ ، أنهى ٦٤٠ طالبا افريقيا دراستهم فى إسرائيل (٣٤) . ودرست الغالبية العظمى لهؤلاء الطلاب فى فروع الزراعة واتقنت فن « احتلال مراكز قيادية فى الحركة العمالية للسكان الأصليين » .

أن مثل هذه الحرفة تدرس فى إسرائيل فى « المعهد الافرو - آسيوى للتعاونيات والأبحاث فى مضمار الحركة العمالية » . لقد تم تأسيس هذا المعهد عام ١٩٥٩ على أيدي ما يسمى بالاتحاد النقابى الاسرائيلى - الهستدروت - (الذى ، هو فى ذات الوقت، صاحب أعمال مشتركة وهمزة وصل مع الرأسمال الاجنبى) والتجمعين النقابيين الأميركيين : اتحاد العمل الأميركي ، و «اتحاد نقابات الانتاج » . وعلى أساس التكافؤ ، ثبتت عضوية الياهو ايلات (نائب سفير إسرائيل فى الولايات المتحدة وانجلترا)

وجورج مينى - رئيس اتحاد العمل الأميركي كعميدى لهذا المعهد .

ويذكر ، بشكل خاص ، الصحفى الاميركى جورج موريس فى كتابه « وكالة الاستخبارات المركزية والنقابات الاميركية » أن « المعهد الافرو - آسيوى » الموجود فى اسرائيل ، هو مؤسسة تتحكم بها بشكل نشيط الاستخبارات الاميركية بمساهمة النقابات الاميركية .

منذ زمن ليس بالبعيد ، أعلنت الحكومة الاسرائيلية جهاراً « يقع على اسرائيل قسط من الرسالة التاريخية العظيمة وهى ، فى نفس الوقت ، واجب أسداء المساعدة للشعوب المتخلفة والبدائية لتتكمّل وتتحرّك الى الامام » (٣٥) .

ويتكلم ميخائيل بريتشرفى كتابه « دول آسيا الجديدة » عن مهمة اسرائيل هذه ، لكنه يختصر بيان حكومة اسرائيل بصيغة جافة ولكنها أكثر وضوحاً ودقة : « الاستعداد للقيام بدور الجسر بين الدول الاستعمارية الكبرى فى الغرب والمناطق التابعة سابقاً » (٣٦) .

وهكذا جرى الحديث بشكل مقتضب عن المكان والدور المخصصين لاسرائيل من قبل القوى الامبريالية فى المنظومة الصهيونية العالمية ، وكذلك عن المهمات الأولية التى طرحها اولياء الامر فى المرحلة الراهنة امام اسرائيل . ومن الجلى ، أن دور الفصيلة الضاربة للصهيونية وما ينتج عنه من مهمات تتفق تماماً ومصالح الطبقة الحاكمة فى اسرائيل . لكن الامر يختلف بعض الشيء فيما يختص بالدور المخصص لاسرائيل حتى الحقبة الاخيرة فى المنظومة الصهيونية العالمية .

ومن المحتمل جداً أن تكون خطط الاوساط الاسرائيلية الحاكمة فيما يتعلق باقامة اسرائيل « كبرى » أو « عظمى » (التى ينبغى حسب رأينا أن يتخذ حيالها موقف اليقظة الشديدة والجدية) مرتبطة برغبة الحكام الاسرائيليين فى أحداث تصحيحات فى هذ المسألة الجوهرية بالنسبة لهم . فدور الشريك الأصغر ، ودور الطفل الذى بدأ العراك بالأيدي ، لم يعد يرضى المرشحين لـ «عرش الامبراطورية الاسرائيلية » فى منطقة الشرق الاوسط .

وأن ازاحة ناحوم جولدمان ، منذ فترة وجيزة ، من منصب رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية ، جرت على ما يبدو ، تحت ضغط

الزعماء الاسرائيليين الصهيونيين الذين يمنون النفس الآن بأحد المراكز القيادية فى الاتحاد الصهيونى العالمى . وعلى الأرجح ، سينتخب من بين هؤلاء رئيس جديد للمنظمة الصهيونية ، وطبعاً ، سيكون هذا الأمر خطوة عملية لتحقيق مخططات الصهيونيين الاسرائيليين السابقة ، لتحقيق الاشراف على تلك القوى التى لا تزال حتى الآن تخضعهم لأشرافها .

فى الغاية التى يطلق عليها اسم « الجيش الاحمر » ، والواقعة على مقربة من القدس ، يجتمع ، فى التاسع من ابريل لكل عام ، آلاف العمال من اليهود والعرب - ممثلى اسرائيل العاملة - وعند الصخرة الصغيرة - النصب التى ليست على كل حال من صنع النحاتين الاسرائيليين الكبار ، يحتفى هؤلاء بيوم النصر على ألمانيا الفاشية ، ويكرمون بصمت ذكرى الجنود والضباط السوفيات ، الذين تحملوا العبء الأكبر فى النضال ضد القطعان الهتلرية . . .
أنهم ، ناس العمل ، الاسرائيليون الأمميون ، الذين يحتفون كل عام بعيد الانتصار على القوى الرجعية ، التى تعاون معها زعماء الصهيونية وما زالوا يتعاونون الآن وأكثر من أى وقت مضى ، يدركون أكثر من أى كان فى البلاد أن نهاية الطريق التى يسير عليها قادة اسرائيل الحاليون يمكن أن تصبح كارثة قومية لا مثيل لها . « أن أمميتنا ووطنيتنا مرتبطتان فيما بينهما - هكذا يعلن الممثلون الحقيقيون لشعب اسرائيل - واننا لا نرى فى سياسة الدولة ، سياسة معادية للعرب ، وللشيوعية ، وموالية للامبريالية وحسب ، بل هى أيضاً سياسة معادية للأمة بصورة سافرة . أنها تعرض شعب اسرائيل ومستقبل دولة اسرائيل للخطر .
(التشديد منى - ي.أ.) ان هذه السياسة مفرغة من أى آفاق على ضوء الوضع الحالى فى منطقة الشرق الأدنى والعالم أجمع » (٣٧) .

ان مأساة اسرائيل الحالية تكمن فى ان معظم سكان البلاد لم يدركوا جوهر سياسة الاوساط الحاكمة فى اسرائيل ، ذلك الدور الذى يضطلع به الاتحاد الصهيونى العالمى فى تخطيط هذه السياسة لصالحه ولفائدة شركائه الامبرياليين . وما زالت أعداد كبرى من الاسرائيليين لا يرون ، أو ، لأسباب متعددة ، يأبون الاعتراف بأن الاتحاد الصهيونى العالمى والزعماء الصهيونيين الاسرائيليين قد عملوا الكثير ، ويا للأسف ، من أجل تحويل دولة

اسرائيل الى اداة طيعة لسياستهم التى تتعارض مع المصالح القومية للشعب والبلاد .

ان تشكيلة كبيرة من الاحزاب الصهيونية فى اسرائيل - بدء من المابام الذى تسلمت الى برنامجها عبارة «دكتاتورية البروليتاريا» حتى « حيروت » الذى يطالب جهارا منذ زمن بايجاد موسولبنى اسرائيلى - مدعوة لتلبية اذواق الاسرائيليين السياسية المختلفة بغية ان نبعث فيهم الثقة فى الخرافة الخاصة بالصهيونية والتى يصوغها بدقة متناهية كل حزب من هذه الاحزاب .

ان حدة المجادلة بين مختلف انواع الممثلين الصهيونيين فى الكنيسة الاسرائيلية (فى الفترات الممتدة بين الاعتداءات على الدول العربية) قد بلغت درجة من التوتر لم يشهد لها مثيل ، وكل عضو بسيط فى هذا الحزب الصهيونى او ذاك بنوه بكل ارتياح ذاكر كيف « خدع » نائبه بلباقة خصمه (الذى لا يقل عنه ولاء للصهيونية) .

ولكن سيأتى وقت يقتنع فيه الاسرائيلى بان الصهيونية ، ليست كما يؤكد بعض دعايتها « اليساريين » ، « اعادة تربية اليهود على العمل فى سبيل بعث سمعتهم الحسنة » ، وسيرى نفسه فجأة يسير بالحرية المصوبة الى الامام وفى صف واحد مع ممثلى المنظمات الصهيونية الاخرى البعيدة عنه عقيدة وروحا ، بينما يشغل نائبه المكان المهيب المناسب فى « حكومة الائتلاف الوطنى » ويقيم العوائق الصاخبة فى وجه كل من يرفع صوته للدفاع عن شرف الشعب اليهودى وكرامته ..

الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، البرلمان الاسرائيلى (تسجيل مختزل) .

م . فيلشر : - ان حكومة اشكول .. شنت اليوم حربا ضد الجمهورية العربية المتحدة .. ما من عدو يستطيع ان يجلب لاسرائيل كارثة كهذه الكارثة التى جلبتها الحكومة الحالية .. ان هذه الحرب لا تحل اى مسألة من المسائل المتنازع عليها بين اسرائيل والدول العربية ، بل انها تعقد القضايا المعلقة وتلحق ضررا جسيما باسرائيل سواء فى منطقتنا أم على المسرح العالمى ..

وهذه الحرب لا تفيد الا الامبرياليين الاميركيين والبريطانيين وحدهم مقدمة لهم ارواح ابنائنا وبناتنا ثمنا للمحافظة على امتيازاتهم النفطية وقواعدهم الحربية فى منطقة الشرق الاوسط .

(صياح هستيرى ووعيد ينطلق من على جميع المقاعد) .
ت . طوبى (من مكانه) : الحرب الحالية هى عدوان سافر .
م . فيلنر : - هذه الحرب موجهة ضد مصالح اسرائيل الحقيقية ..

(يتصاعد الصراخ الهستيرى ، ورئيس المجلس كاديش لوز يحاول تهدئة القاعة) .

ت . طوبى (من مكانه) : لن يكون بمقدوركم خنق صوت الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، صوت الشيوعيين اليهود والعرب . هذا صوت السلم وهو أقوى من صياحكم ..
(يشتد الضجيج ، وفى القاعة تتردد هتافات معادية للسوفيات) .

م . فيلنر : - أن الاتحاد السوفياتى ينادى بالسلم بثبات ، والشعب الاسرائيلى سيحتاج الى مساعدته بغية انقاذ اسرائيل من جحيم المصائب التى تدفعونها اليها ..
٢٦ يونيو :

م . فيلنر : .. نحن ما زلنا نتخذ المواقف التى اتخذناها عام ١٩٥٦ (زمن عدوان ١٩٥٦ - ي . ا .) .
م . بيرام (صهيونى يمينى) : العار لكم ! (صيحات هستيرية من كل جانب) .

م . فيلنر : انكم تجرون الامة الى الكارثة . وستصلون بها الى هذه الكارثة ! نحن نسعى لحماية شعب اسرائيل من مغامراتكم . نحن نريد ضمان امن اسرائيل ، ونريد لها السلم لا المغامرات الحربية فى سبيل المصالح الاميركية والبريطانية .
(صياح هستيرى) .

م . فيلنر : .. انهم يكرهون الاطفال ، والشيوخ ، والنساء على مفادرة منازلهم بدون ابطاء ، ليسيروا متثاقلى الخطى مع يقايا متاعهم الزهيدة الى حيث لا يوجد مأوى ولا أى شيء .. أن أقل ما يوصف به هذا العمل ، هو التعسف بحق السكان الامنين ..

م . كوهين (صهيونى يمينى) : كف عن دعايتك ضد الحكومة الاسرائيلية ..

م . فيلنر : اننى أتكلم عن ذلك لصالح دولة اسرائيل .
م . كوهين : انت محرض !

م . فيلنر : ان اللاسامية لم تجلب الخير لاي شعب . ولم تجلب اكايل الفار لأولئك الذين استغلوها ضداليهود ، ولن تؤدي خدمة لليهود الذين يستغلونها ضد العرب . .

ان الشيوعيين الاسرائيليين اناس على قسط كبير من الشجاعة . ففي ظروف الملاحقة العنصرية ، وفي سورة الشوفينية ، يحملون كلمة الحق للشعب الاسرائيلي ، عالمين ان ليس غير من يسير في دروب السلم يستطيع ان ينطلق بثقة نحو المستقبل ، حيث الأمن ، والثقة المتبادلة ، والتعاون ، والصداقة بين جميع شعوب الشرق الاوسط ، تصبح قاعدة الحياة .

وبهذا الصدد قال م . فيلنر امين عام المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي : : « ان سياسة الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، هي سياسة الانقاذ الوطني ، هي الطريق الوحيدة لتسوية المسائل الشاقة المطروحة امام شعب اسرائيل . وأن حزبنا يناضل من أجل ان تعباً في جبهة واحدة كافة القوى المحبة للسلام في اسرائيل ، بصرف النظر عن ارائها السياسية ، التي تطالب بسحب الجيش الاسرائيلي من المناطق المحتلة ، وتدعو للتسوية السلمية اللازمة وفق الاسس التالية :

١ - سحب القوات المسلحة من الاراضي المحتلة التابعة للجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، وسورية ، كخطوة ضرورية في طريق التسوية السلمية والعادلة على أساس الاحترام المتبادل للحقوق ، وأن يؤخذ بعين الاعتبار الاعتراف بوجود اسرائيل وحقوقها القومية .

٢ - الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني العربي ، وقبل كل شيء ، حق اللاجئين العرب بمقتضى قرارات الامم المتحدة » (٣٨) .

الا أن القيادة الاسرائيلية لا تريد أن تصغي الى صوت العقل .

عام ١٩٦٧ . . « تتكاثر الانباء الواردة عن وحشية وتعسف المحتلين الاسرائيليين في الاراضي المفتتصة . وكذلك عن الاحداث التي تجري في شبه جزيرة سيناء ، وفي قطاع غزة ، وفي الضفة الغربية لنهر الاردن ، وفي الاراضي السورية التي يحتلها الجيش الاسرائيلي . كل هذا يقود الى التفكير بالجرائم المخيفة التي اقترفتها الفاشيون وقت الحرب العالمية الثانية » (٣٩) .

عام ١٩٦٨ .. زادت ميزانية الحرب الاسرائيلية ٢٠٪ ،
وميزانية البوليس ١٥٪ ، وميزانية وزارة التعليم انقصت بمقدار
٢٤٪ وميزانية الصحة انقصت ٢٥٪ ، وانقصت ميزانية الضمان
الاجتماعى ٢٥٪ (٤٠) . « ان مهمتنا هى خلق اسرائيل الكبرى » ،
— هذا ما أعلنه وزير العمل الاسرائيلى ي. آلون عندما أصدر أمرا
باستيطان المناطق العربية المحتلة .

« المدافع مكان الزبدة ! » ، « اسرائيل الكبرى » ، « مدى
حيوى » ، لكم هى معروفة هذه الشعارات ! ويا له من تشابه مخيف
بكل ما فى الكلمة من معنى !

« لماذا لم يصعق موشيه دايان عندما تفوه بكلماته التى تثير رعب
الذكريات — هذا ما صرح به جهاز فى حيرة صادقة الكاتب الاسرائيلى
آموس أوز بمناسبة خطاب الجنرال الدورى — وأضاف قائلا : فمن
المؤكد أن « المدى الحيوى » لا يعنى شيئا آخر غير طلب طرد شعب ،
لكى تستوطن محله أمة « أكثر حضارة » .. لماذا استعمل موشيه
دايان الاصطلاح الذى يستخدمه أعداؤنا كتعسف ضدنا ، نفس
الاصطلاح الذى تفوه به النازيون وأصبح مرادفا للبذاءة بالنسبة
لجميع شعوب العالم المتعشقة للحرية » (٤١) .

فاذا كان آموس أوز فى حيرة فقط من تعبيرات موشيه دايان
المزعجة ، ففى اسرائيل يتعاظم عدد أولئك الذين يدفعهم شعورهم
الوطنى والعدالة للانتفاض ضد أعمال العسكرين الاسرائيليين
الاجرامية . وان الشعور السامى بالمسئولية تجاه مصير الوطن
يدعو هؤلاء الناس لمضاعفة صفوف المناضلين الذين يناهضون
مخططات الحكام الاسرائيليين الخرقاء والتى تؤدى باسرائيل الى
الهاوية المشؤمة .

ضعوا حدا لانتهاكات حقوق الانسان فى اسرائيل وفى الاراضى
المحتلة ! — هذا ما يطالب به الكتاب الاسرائيليون البارزون ، والعلماء ،
والصحفيون ، والشعراء ، مع العمال ، والطلبة ، وممثلى بقية
فئات البلاد . . وقد أعلن هؤلاء فى بيانهم الاحتجاجى قائلين « ان
المزيد والمزيد من العرب يطردون من الضفة الغربية (لنهر الأردن —
ي.ا.) بمقتضى أوامر الحاكم العسكرى الاسرائيلى . أن السيطرة
على شعب آخر تؤدى بالظالمين أنفسهم الى الانحلال الخلقى .. ان
كل شعب يضطهد شعبا آخر سيفقد لا مناص حريته وحرية
مواطنيه .. » (٤٢) .

والى جانب ذلك ، لا يمكن أن نفعل أن فى اسرائيل فئة أخرى
من الراى العام :

ان منظمة « الحركة الاسرائيلية للسلام » الواسعة النفوذ
(والواقعة تحت اشرف الصهيونيين) ، نشرت فى العديد من
البلدان مذكرتها التى جاءت تحت عنوان «حرب الأيام الستة لشعب
اسرائيل ، هى حرب دفاعية ، حرب من أجل سلامة دولة اسرائيل
نفسها» . وقد أرسلت هذه المذكرة الى الولايات المتحدة
الاميركية ..

وقد رد غ. هول ، أمين عام الحزب الشيوعى الاميركى فى
رسالة مفتوحة على واضعى هذه الوثيقة وعلى تلك القوى التى تقف
وراءهم :

« ... مهما كررتم مزاعمكم ، فان العدوان لا يمكن أن يتحول
الى « حرب دفاعية » . وليس بمقدوركم انكار واقع هجوم القوات
المسلحة الاسرائيلية على مصر ، وسورية ، والأردن . ولا تستطيعون
نفي واقع قيام قاذفات اسرائيل بالقاء قنابلها على هذه البلدان .
كما انه ليس بإمكانكم دحض واقع احتلال قوات اسرائيل المسلحة
حتى هذا التاريخ أراضى واسعة اغتصبتها من الدول العربية . ان
وضعكم لا يسمح لكم بنفى واقع قيام اسرائيل باتخاذ الاجراءات
لضم هذه الأراضى ..

« ان مسببات الازمة — كما أكد الرفيق غيس هول — تعود الى
نفت الشرق الأوسط . فقد طالبت حكومات الدول العربية ، بكل
عدالة واصرار ، بزيادة عائداتها من توزيع تلك الثروة التى تضخ من
أراضيها . وبشكل متعنت قامت حكومتا الولايات المتحدة
وبريطانيا ، وخاصة وكالة الاستخبارات المركزية ، بعدة محاولات
للاطاحة بالحكومات العربية هذه ..

« ان تأييد عدوان اسرائيل لا يعنى قط تأييد اسرائيل ..
ان الانسانية تلفظ حجة الذين أنبروا للدفاع عن العدوان
الاسرائيلى . وسنحكم على شعب اسرائيل من خلال نضاله ضد
السياسة المجحفة التى تنتهجها الأوساط الاسرائيلية الحاكمة » .
(التشديد منى — ي . ا .) (٤٣) .

واليوم ، عندما يخطر السم الشوفينى (المسحوق المكثف الذى
ينتجه ليلا ونهارا المركز الصهيونى) العديد من أولئك الذين ما

قالوا مستعدين حتى الآن لأن يبرأوا من ادمان الصهيونية ، أولئك الذين يعز عليهم مستقبل وطنهم وأولادهم ، أولئك الذين لا يفقهون عند رؤية آلام أبطال زفايغ ، أولئك الذين لم ينسوا معسكرات الاعتقال ، أولئك الذين يسعون لامتلاك الكرامة الانسانية ، يجدر أن نذكرهم بالكلمات المريرة المهمة والشريفة التي حواها نداء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني الصادر في ١١ يونيو عام ١٩٤٥ .
فبالنسبة لاسرائيل لا تشكل هذه الدعوة وثيقة ذات قيمة تاريخية، بل تحذيرا مباشرا :

« ان المسئولية تقع على كواهل الالمان الذين رأوا في سياسة التسليح « عظمة المانيا » وتقبلوا العسكرية الضارية ، والمسيرات والعروض العسكرية ، من أجل مصلحة الأمة العليا . ان تعاستنا تكمن في أن ملايين وملايين الالمان انقادوا الى الديماغوجية النازية ، وفي أن سم النظرية العنصرية المتوحشة « النضال من أجل مدى حيوى » استطاع تسميم كيان الشعب . أن محنتنا تكمن في كون فئات واسعة من الشعب نسيت احترام الكرامة الانسانية والعدالة، وسارت وراء هتلر لأنه وعداها بغذاء وعشاء دسم على حساب الشعوب الأخرى كنتيجة للحرب والسلب » (٤٤) .

ثمة طريق هو طريق الصهينة الشاملة لاسرائيل ، والمغامرات العسكرية الخطرة اللاحقة فى سبيل مصالح الاتحاد الصهيونى العالمى وشركائه الامبرياليين ، والبحث عن « المدى الحيوى » وثمة طريق آخر : « ليس مع الامبريالية ضد الشعوب العربية ، بل مع الشعوب العربية ضد الامبريالية » .

والخيار بينهما يحتمه المستقبل ، ولا يمكن التهرب منه !
ان المستقبل سيبين للرأى العام الاسرائيلى قدرة العقل .

الفصل الخامس

احذروا الصهيونية

ان يعقوب دى خاس ، سكرتير تيودور هرزل ، رغم كل حييطته ، لم يستطع ذات يوم ان يتمالك نفسه أمام الاغواء ، فأدلى علنا برأيه حول تلك الناحية من النشاط الصهيونى الدولى ، التى يقدرها عاليا ويفذها « جابرة هذا العالم » ، والتى يخفيها وينكرها الصهيونيون انفسهم . يعود هذا الراى الى عام ١٩٢٨ .

« ان المنظمة الحالية لا تتفاخر ، بسبب أو بدون سبب ، بإمكانياتها الفعلية . وعند الحاجة لا يجوز ان نسقط من حسابنا هذا الشكل من التظاهر . فالقوة الهائلة للمنظمة الصهيونية الأميركية تكمن فى اتصالاتها وارتباطاتها التى لا تحصى ، وفى معلوماتها الدقيقة جدا عن أولئك الذين كانوا مسئولين عن الموارد البشرية التى تشكل قاعدة هذه الاتصالات . ترى ألم يكن الانجليز بحاجة الى مخبر أمين فى أوديسا ؟ ترى ألم يكونوا بحاجة الى عميل موثوق فى خاربيين ؟ وعندما طلب الرئيس ولسون أن يقدم له فى مهلة قصيرة جدا بيان شامل مؤلف من ألف كلمة يشرح بالتفصيل ما هى القوى التى تساند كيرنسكى الذى انتفض من أجل السلطة فى روسيا . . أمن جميع هذه الخدمات (التشديد منى - ي . ا .) « المركز الصهيونى » فى نيويورك دون أن يطلب شيئا على الإطلاق ، بل حاز على مزيد من احترام وعطف الشخصيات الاجتماعية التى صدقت بتواقيعها على الأعمال الكبرى . ان آلاف الصهيونيين كانوا يعملون فى كل مكان ويخدمون بأمانة فى مراكزهم المعززة المنتشرة فى كل مكان » (١) .

ان خاس ، النسيب الفكرى لجميع قوى الرجعية العالمية السوداء ، حاول القاء الظل على جميع اليهود متقدما لسنين عديدة عن المؤلف بعظة أكثر اقتضابا تشرح ، مبدئيا ، مدخلا مماثلا لتلك القضية : « بإمكان كل فرد أن يكون جاسوسا . وعلى كل فرد ان يكون جاسوسا . ولا يوجد سر لا تجوز معرفته » (*) .

(*) رأى الفاشى رودلف هيس .

ولنلق نظرة سريعة على منطلقات الصهيونيين الكلاسيكيين الذين تتعارض عقائدهم ومصالح الكادحين اليهود . « ان فكرة الأمة اليهودية تنحصر في نضال الجميع ، بصرف النظر عن المستوى الثقافي والولاء الحزبي ، في جميع المسائل التي تمس اليهود واليهودية . » — هذا ما كان ينادى به ناحوم سوكولوف .

وهكذا ، فان الأساس الأول للدعاية الصهيونية لم يكن نشوء الدولة الاسرائيلية ووجودها : « اليهودية فوق كل شيء » ، بل أكثر من سبعة عشر عاما من العمل لتحقيق هدف اخضاع يهود العالم بشتى الوسائل لارادة المركز الصهيوني العالمي ، وليس نشوء اسرائيل ككل ، بل ترسيخ الزمرة الصهيونية الحاكمة على قمة هرم المجتمع اليهودي هو الى حد كبير العامل الملائم لتقوية النشاط التخريبي الذي يقوم به المركز الصهيوني العالمي .

ان هذا النوع بالذات من نشاط المركز الصهيوني العالمي (لا في الاختفاظ بموافقه القيادية) يعطى في الظروف الآتية ، وبقدر ما ، التزاما للدوائر الاسرائيلية الحاكمة .

كتب المعلق العسكري لصحيفة « نيويورك تايمس » بولدوين عن النشاط المشترك لدوائر الاستخبارات الثلاث في الاتحاد السوفياتي (٢) : « ان ملاك الاستخبارات البريطانية الذي يحتوى على ٣٠٠٠ شخص ، وملاك الاستخبارات الاسرائيلية الذي يحتوى على ٣٠٠ شخص كما نفترض ، يحصلان على دقة التحليلات والنتائج التي ترشد السياسة القومية للولايات المتحدة الاميركية . . وعلى فعالية ارفع بكثير مما هو الحال مع ملاكاتنا الاستخبارية التي تملك جهازا متضخما » . ولنتسرك بولدوين وحساباته وتخميناته التي تشهد جملة على أن من الصعب على المخابرات أن تنطلق كما يجب في الاتحاد السوفياتي . ونشر الى الشيء الأساسي : « ان المخابرات الاسرائيلية (وهي جزء لا يتجزأ من مخابرات « المركز الصهيوني العالمي » — ي . ا .) توجه جل اهتمامها الى جمع المعلومات التجسسية ذات الطابع العسكري والسياسي والاقتصادي عن البلدان الاشتراكية ، وخاصة الاتحاد السوفياتي » (٣) .

ليس الطابع المميز لنشاط المخابرات الصهيونية — فقط واحد من قطاعات النشاط الصهيوني — هو موضوع هذا الفصل الختامي . انما بودنا هنا أن نعطي تحليلا مقتضبا لتكتيك بعض أساليب وطرائق نشاط الصهيونية العالمية في محاولتها لتحقيق البرنامج العام

الذى تلاه بايجاز عمانوئيل يعقوبوفيتش حاخام بريطانيا الاكبر فى
الثانى من يونيو ١٩٦٧ ، اى قبل يومين من وقوع الغدوان الاسرائيلى .
(ان انجاز هذا البرنامج يؤمن ، ما عدا كل ما شابه ذلك ، القاعدة
للمخابرات) . اعلن يقول : « ينبغى علينا ان نفعل كل شيء من اجل
الا يكون فى هذا العالم يهودى واحد يتهرب من واجبه . . وعلى
الشبيبة ان تتأهب للمعارك ، والآخرين ان يتوجهوا بمجرد تلقى
مخابزة هاتفية من اسرائيل ، الى هناك بدون ابطاء لشغل أماكنهم
كمستخدمين فى الجيش . ومن تبقى ملتزم بدفع ضريبة عن كل
شخص يهودى . . واذا كانوا يرغبون ، ينبغى علينا جميعا ان نكون
تحت قيادتهم » (٤) .

(فى رأينا أن الفاشستى موزلى هو وحده الذى يستطيع التعبير
عن أفكاره فى بلاد الانجليز بهذا القدر من اللهجة القطعية التى تبدو
غريبة على اللغة والتقاليد الانجليزية . .) .

وهكذا ، لم يذكر يعقوبوفيتش لا انجلترا ، ولا فرنسا ولا الاتحاد
السوفياتى ، بل نوه بلا مواربة بالطابع الدولى للمهمات المطروحة بين
دعائه المباشرين والمتطوعين للمركز الصهيونى العالمى باسم الدفاع
وتمتين مواقع الامبريالية .

وكى لا يكون الانطباع عن خطاب يعقوبوفيتش كما لو انه ظاهرة
فريدة ، أو تصريح « غير مسئول » لشخص ما ، نسهق آراء
بن جوريون التى أدلى بها منذ بضع سنوات ، والتى تميظ الاثام عن
جوهر ما قاله يعقوبوفيتش . لقد أعلن بن جوريون : « هذا يعنى تقديم
المساعدة لاسرائيل بصرف النظر عن رغبة أو عدم رغبة هذا البلد
الذى يعيش فيه اليهود ويخضعون له . . عندما نقول : أمة يهودية
موحدة ، ينبغى أن نتجاهل واقع تشتت الأمة اليهودية فى كل أنحاء
العالم ، وكون اليهود الذين يقطنون هذا البلد أو ذاك هم مواطنى
تلك الدول التى يعيشون فيها » (٥) .

ان مصالح الصهيونيين وحمايتهم الامبرياليين غريبة عن الكادحين
اليهود ، فهم يبنون مثل هذه التوصيات .

وفى الوقت ذاته مع يعقوبوفيتش (اى فى الثانى من يونيو عام
١٩٦٧ — تزامن جدير بالملاحظة) وعلى بعد مئات الأميال من انجلترا
— فى سويسرا — نشرت صحيفة « انزرا بلتشييس فاخنبلات » ،
الصهيونية ، نداء المنظمة الصهيونية العالمية الى جانب عرض مبادئ
برنامج عمل الصهيونيين وطرق تحقيقه :

« ان وجود دولة اسرائيل وأمنها معرضان للخطر . . وان سكان اسرائيل بأجمعهم يحسبون حساب الخطر المحدف بهم . وهم مستعدون بكل حزم لتقديم التضحيات . ان كل الفئات (اليهودية)، **بغض النظر عن بلدها الأصلي أو انتمائها الحزبي** ، ستضع في هذه الساعات ، بلا قيد ولا شرط ، خدماتها تحت تصرف دولة اسرائيل . وان التعبير عن الود ، وتأکید التضامن الشامل الذي تمحضنا اياه الجاليات اليهودية اليوم ، هما مصدر اضافي لجسارة وايمان سكان اسرائيل في **النضال المقبل** . على ان الوضع يتفاقم ولا يمكن استشفاف المدة التي سيدوم فيها هذا الوضع .

ففى هذا الوضع المصيرى - يهتف بصورة مؤثرة واضعو النداء (الذين أنهوا فى ذلك الوقت اصدار تعليماتهم الى طاقم القاذفات الاسرائيلية) - سنتوجه الى جميع اشقائنا المشتتين بدعوة لتعضيد الارتباط بين صهيون والمشتتين ، **ولتعبئة العطف والتأييد الناشط لاسرائيل بين جميع شعوب العالم** (التشديد منى - ي . ا .) ، ولزيادة التبرعات (!) واستمالة الجيل الشاب للسفر الى اسرائيل والعمل مكان الذين يربضون على حدود الدولة بفيضة الدفاع عن البلاد ، وحشد الموارد المادية بكل طيبة خاطر والى اقصى حد (!) ، وأسداء المساعدة المادية (!) . وبهذا الشكل يمكن تحمل الأعباء الهائلة المفروضة على اسرائيل . أن الأموال (!) الضرورية فى مثل هذه الأمة ، لا يمكن التكهّن بها ، وهى ، على كل حال ، كثيرة جدا . . » الخ .

من الضرورى ان تؤكد فى هذا النداء على ثلاث نقاط مبدئية مهمة بغية ايضاح اتجاه طبيعة وأساليب عمل الصهيونيين .

النقطة الأولى منها تنحصر فى ان زعماء الصهيونية ، ممثلى طبقة البرجوازية الكبيرة الموالية للامبريالية . والامبريالية فى دعايتهم بين الفئات اليهودية فى جميع البلدان ، ينطلقون ان لم يكن من الاخوة فمن التقارب بين جميع يهود العالم **بصرف النظر** ((عن البلاد التى ولدوا فيها)) أو ((الانتماء الحزبي)) **دون ان يعيروا اهتماما لمسألة قبول أو نبذ هذه الفئة أو تلك من مواطنى مختلف البلدان للعقيدة الصهيونية** . ان هذه الوسيلة بعيدة كل البعد عن الفباوة ، فهى من جهة ، تعفى الصهيونيين من ضرورة البرهنة على وجود مثل هذا «التأخى» (خصوصا ان هذه الضرورة لا تبشر الصهيونيين بأى خير بسبب علاقات الكادحين اليهود القطعية بهذه الفكرة وخاصة

في البلدان الاشتراكية) ، ومن جهة أخرى ، تضع جميع اليهود - أعداء الصهيونية - في وضع المضلل مؤقتا ، حيث ينبغي معاملتهم بدراية وحسن نية وطول اناة ، كما لو أنهم مرضى نفسيا . هذه ، كما يقال ، جبهة عمل الصهيوينيين .

وفي الوقت نفسه ، ينجز الصهيوينيون مناورتين مراوغتين مدعوتين للتسبب في ايقاظ تدمير الكادحين اليهود من الأوضاع المحيطة بهم ، وخلق وضع من القلق الدائم . وقد أشار ناحوم جولدمان بصورة مباشرة الى ضرورة تأمين مثل هذا الوضع ، منذ عرض برنامج الصهيونية « الجديد » على المؤتمر الصهيوني العالمي السادس والعشرين فقال : « من الضروري استثارة الشعب اليهودي ليتخلص من اللامبالاة ويبدأ يتمعن بجذ بمستقبله . . » ان مناورتى زعماء الصهيونية تنطلقان من العقيدة القومية القديمة ، عقيدة « وحدانية » اليهودية ، التى يقوم الصهيوينيون ، فى ظل الوضع المتبادل ، بتمويه دعايتها أكثر من الماضى . ان احدى هاتين المناورتين ، هى ، فى الواقع ، نشر الدعاية عن مركب من « الحتميات المشؤومة » التى يمكن تبسيط جوهرها بشكل مقتضب على الشكل التقريبى التالى : « أنت لست رئيس مكتب ، بل انت كاتب ، لأنك يهودى . أنت لست مديرا ، بل نائب مدير ، لأنك يهودى . أنت لست وزيرا ، بل مساعد وزير ، لأنك يهودى » وما أشبه ذلك .

ولا يمكن انكار التأثير الممكن لهذا الأسلوب على روح الطموح وخاصة أنه يتضاعف عدة مرات زيادة وذلك عن طريق المناورة الثانية التى تتسم بالعنصرية والتى تتلخص فى الانجاز البارع لفرس الأفكار « بأيد غريبة » عن « المواهب » « الفائقة » ، « الفذة » والتى تصل الى درجة العبقرية لجميع اليهود ، بالمقارنة مع شعوب العالم الأخرى .

ان الصهيوينيين لا يقيّدون أنفسهم بالدعاية « الصرفة » أو ب « الاستطرادات التاريخية » ، التى يتيحون لأنفسهم أن يذكروا فيها بأبهة يسوع المسيح ، وكارل ماركس الذى يمقتونه أشد المقت . وان الصهيوينيين اذ يتحكمون بوسائل هائلة انما يسعون الى خلق هيبة مضخمة حول الشخصيات التى يرونها مناسبة أكثر من غيرها ، عن طريق الرشوة والاعلانات .

فى غضون الأعوام المئة الماضية فقط جاد النازيون الألمان والصهيوينيون على الحضارة الانسانية بصياغة أفكار « التفوق الذى

لا جدال فيه » و « النبوغ القومى » . واذا كان الأولون قد جاهدوا لفرض هذه الفكرة على الشعوب عن طريق القسر اللفظى ، فإن الآخرين ، متسلحين ، « بنظرية الأعمال الصغيرة » ، يمارسون نفس الشيء تدريجاً و « بقدرة فاعلة أكبر » .

(ولنخلط بين قوسين أن دحض الماركسية لعقيدة « الأمة اليهودية العالمية » يقلب رأساً على عقب المحاولات التى يقوم بها الصهيونيون من أجل أن يستغلوا لمرايمهم نفوذ الأدمغة الفذة وأسماء العباقرة الحقيقيين الذين اغتدوا بثقافات الشرق العربى واسبانيا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا وبولونيا ورومانيا وروسيا وأميركا وغيرها من البلدان دون أن ينفصلوا عن تربتهم) .

ومن الضرورى الإشارة الى أن طرائق النشاط التى ذكرت آنفاً ، لا تستنفذ جميع تنوعات قادة الجوقة الدعائية الصهيونية ، ولكنها ، حسب رأينا ، منطلقات . أن سبعين عاماً من الجهود اليومية قد كفت عن أن تكون جهوداً بريئة لا تستحق الاهتمام الزائد . .

والنقطة الجوهرية الثانية فى نداء المنظمة الصهيونية العالمية الآنفة الذكر ، هى تعليمات زعماء الصهيونية ب « حشد العطف والتأييد الناشط لإسرائيل لدى جميع شعوب العالم » .

وفى هذا النداء أغفلت أشياء كثيرة .

أن خبراء المركز الصهيونى العالمى فى « الحرب النفسية » ، فى ظروف وجود منظمات صهيونية قوية فى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا واسكندنافيا وأميركا اللاتينية ، وكذلك وجود القيادة الصهيونية فى إسرائيل ، يعيرون انتباهاً لتربية غير اليهود طبقاً لروح الولاء للصهيونية أكبر مما يعيرون الانتباه لتربية زملائهم . أن النجاح فى هذا العمل ، طبقاً لحسابات الخبراء أنفسهم ، يتلخص فى إكراه قسم من يهود العالم ، الذين ما زالوا ينبذون بشكل قطعى الصهيونية ، على التروى أو الاستسلام . ومن جملة الاجراءات التى اتخذها الصهيونيون فى هذا المضمار ، يأتى الابتزاز الاقتصادى .

وللدلالة على فعالية هذا الضغط يكفينا أن نسوق مثلاً واحداً ، ألا وهو شهادة أ. ليلينتال عن « أن الاميركيين من أصل سوري ولبناني ، بسبب ارتباطاتهم العملية (التشديد منى - ي. أ.) ، يتبرعون لصالح نداء المجهود اليهودى (المنظمة الصهيونية التى تمارس جميع الأموال للأوساط الحاكمة فى إسرائيل) بمبالغ أكثر

بكثير مما يتبرعون لصالح صندوق اللاجئين العرب ، اذ يؤدون الرسوم بمقتضى اقتناعهم » (٦) .

وفى ذلك الوقت قام ١٩٩ كنيسا اميركيا وكنديا بالدعوة لشراء السندات الاسرائيلية التى كانت تباع مباشرة فى المعابد . فاجبر هذا العمل العديد من اليهود على الاسهام فى هذه الحملة المالية وغيرها من الحملات .

وكما أشير آنفا ، يوجد فى العالم ١.٣٦ مطبوعة دورية تعمل لصالح الصهيونيين . ويعير الزعماء الصهيونيون اهتماما متزايدا لادخال عملاتهم أو عناصر « تعطف عليهم » الى الصحافة المركزية لجميع الدول ، وفى هيات تحرير الراديو الدولى ، والى اجواء الفن السينمائى والتلفزيون . ولا يسمح الصهيونيون بأى استخفاف بأدوات التأثير الفاعلة هذه على الراى العام ، وذلك لأنهم يدركون جيدا انه حتى « الأمور البسيطة » مثل انتقاء أحرف المقالة فى الصحفية المزينة بصورة مشوقة أو غيرها من الأمور تكتسب أهمية خاصة . ويدرك العملاء الصهيونيون أن التشهير بأى فكرة نيرة ومناقضة لرايهم يمكن أن يؤدى إلى رواج هذه الفكرة ، والأفضل عرضها بصورة ساخرة ، أو كيل المديح لها بصورة يفقدها جديتها وتبرير ذلك بـ « النوايا الطيبة » .

من المعلوم أن الصهيونية لا تشكل خطرا على الامبريالية الاميركية . ولهذا من المفيد أن نعرف كيف تتحكم الصهيونية فى عقر دار شركائها .

ففى كتابه « الوجه الآخر للمدالية » يحلل ا. ليلينثال بشكل تفصيلى أساليب عمل الصهيونية فى الصحافة الاميركية، وبخاصة، فى صحيفة من أكبر الصحف الاميركية - « نيويورك تايمز » - التى يرتفع عدد نسخها باستمرار ، وتسدى خدماتها الاخبارية الى ٧٢ صحيفة فى اميركا وكندا وفى غيرهما من البلدان . ويبين ليلينثال كيف يعمل الصهيونيون فى « نيويورك تايمز » لكى يفرضوا وجهة نظر معينة على القراء . وقد كرس ليلينثال كتابه لشرح قباحة هذا « الوجه للمدالية » .

فى شهر أبريل عام ١٩٥٦ - كما بروى ليلينثال - تمكن أحد الشيوخ الاميركيين ، كيفوفير ، من تقديم ترشيحه للرئاسة ، بانيا آماله على استغلال الميول الموالية للصهيونية لدى قسم من سكان البلاد . وجوابا على خطوة كيفوفير، اذاع بعض الشخصيات الاجتماعية البارزة تصريحاً أشير فيه الى أن المصالح الوطنية

للولايات المتحدة الاميركية قد عرضها الشيخ الخطر وان « أحداث
تبدل في السياسة الداخلية والخارجية أمر غير مسلم به » . ومع
ذلك كرست صحيفة « نيويورك تايمز » لهذا التصريح ثمانية أسطر،
لكنها عادت في نفس العدد (٢٣ ابريل ١٩٥٦) ونشرت في مكان
بارز : « بن جوريون ينتقد رفض ايزنهاور ارسال الاسلحة الى
اسرائيل » (*) . وقد تم نشر هذه المواد على الصفحة الاولى ، أما
على الصفحة الثانية فقد نشرت صورة لطفل اسرائيلي خرج لتوه
من الملجأ مع كلام تحت الصورة : « انهم يغادرون حديقة الأطفال
لبضع دقائق قبل بدء القصف بالهاون » ، وعلى الصفحة الرابعة
نشرت صورة لشخص اسمه روبرت سارتوف ، تلقى مكافأة من
المؤتمر اليهودي الاميركي . وفي الصفحة العاشرة نشر تقرير عن
المؤتمر السنوي لمجلس الجالية اليهودية في بروكلين ! الخ .
ويقول ليلينثال : وفي مايو عام ١٩٦١ ، عندما ذهب بن جوريون
للاجتماع بكندي . أفسحت « النيويورك تايمز » ثلاثة أعمدة مع
صورة الزعيمين تعلوها مانشيت . أما خبر سفر كندي في ذلك
اليوم نفسه للاشتراك في مؤتمر أوروبي ، فقد خصص له عمود
واحد . .

ويقول ليلينثال انه اختار صحيفة « النيويورك تايمز » لأنها
أكثر الصحف نفوذا في الولايات المتحدة الاميركية ، وليس « لتفرد »
استرشادها بالروح الصهيونية التي تتجلى بها صحافة الولايات
المتحدة الاميركية .

ومن الممكن سوق مئات البراهين الدامغة من غير الصحافة
الاميركية أيضا حول النشاط الصهيوني والنشاط المتعاطف معه ،
والذي يحققه الصهليون عن طريق التلفزيون والراديو والمسرح
والسينما والأدب والنقد الأدبي ، وفي حقول كثيرة غيرها تؤثر على
تكوين الآراء لدى الانسان .

ولنعد الى ليلينثال .

... ماذا يكون بمقدور عامل المكتبة أن يعمل ؟ والجواب ،
بإستطاعته أن يعمل الكثير كاقترح كتاب مثلا . أي كتاب « عشرة
أيام هزت العالم » لجون ريد ، و « اليهودي زيوس » لفاختفانجر ،
و « الحرب والسلام » لليون تولستوى ، و « الاسود الفتية »
لأرفين شو . .

(*) في ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة تؤمن السلاح لاسرائيل من طريق
الدول الاعضاء في حلف الأطلسي .

وكما يقول ليلينتال في كتابه ، فان مدينة برينستون ، هي قلعة العروض في الولايات المتحدة . وان المكتبة التي تقع فيها، هي مثال حي للنفوذ الصهيوني على تعليم الشبيبة. وتحتوى فهارس المكتبة على انتاج جميع الادباء الصهيونيين أو المواليين للصهيونية والذين كتبوا في وقت ما عن الشرق الاوسط وفلسطين . وقد تحدثت ليلينتال مع القيم على المكتبة الذي أبلغه حرفيا ما يلي : « عندنا في المدينة جالية يهودية نشيطة . ويتعاون أعضاء الجالية معنا ، ويقدمون لنا الكتب بسخاء » (٧) .

ولننتقل الآن الى معالجة النقطة الثالثة المهمة ، المتألفة في نداء المركز الصهيوني العالمى الذى سبق وتعرضنا له ، الا وهى موضوع الأموال . ان الاقتباس الذى أوردناه من نداء المنظمة الصهيونية العالمية يشتمل على تعابير متنوعة ، لا يمكن الا أن تسترعى الاهتمام ك « الأموال » و « المساعدة المالية » و « التبرعات » و « الجهود القصوى للموارد المالية الخاصة » . وبدون أى مقدمات احصائية ، بوسعنا أن نسوقها استنادا الى الانباء الواردة من مختلف اصقاع العالم نستطيع الاجتزاء قائلين : أن الاتحاد العالمى الصهيونى والأوساط الاسرائيلية الحاكمة ، تلقت فى فترة العدوان الأخير الذى شن على الدول العربية ، كميات « صافية » من الدولارات كافية بكل سر للاقدام على عدة مغامرات مشابهة .

من أين جاءت هذه الاموال الطائلة . ان حصّة الاسد من هذه المبالغ سحبت من جيوب الكادحين الاميركيين والانجليز والفرنسيين والافريقيين الجنوبيين وغيرهم ، على أيدى أصحاب المصانع والمصارف ، وأصحاب مناجم الذهب الصهيونيين أو المواليين للصهيونيين . ولقد تم ارسال هذه المبالغ الى خزانة المركز الصهيونى . على أن حصّة ممثلى « الطبقة الوسطى »، والكادحين من أصل يهودى ، كانت منخفضة ، بالرغم من أنها عرضة لجهود الدعاية الصهيونية الدؤوبة والمركزة .

هل يستجيب مثل هذا الابتزاز لمصالح المشتركين فيه بارادتهم أم بغير ارادتهم . وما هو المبرر الحقيقى لقانون الاوساط الأميركية الحاكمة لاعفاء « التبرعات » العائدة لاسرائيل ، مهما تبلغ مقاديرها الهائلة ، من الضريبة .

ولماذا كانت هذه المئات نفسها من الملايين خلال هبوط قيمة الجنيه الاسترلى الذى هز انجلترا وافقدها مئات الملايين من

الجنيهات شهريا بسبب فرض الاسرائيليين الحصص على قناة السويس تذهب الى الصهيونيين لابقاء قناة السويس مغلقة اكبر مدة ممكنة .

لا شك فى أن هذا يدعو الى التفكير .
ان الهدف الاساسى للاتحاد العالمى الصهيونى كان ولا يزال الاثراء بكل الوسائل ، هذا الاثراء الذى يضمن فى اطار المنظومة الامبريالية ، السلطة والحبوطة الطفيلية .

ان اقامة السيطرة الفكرية والسياسية على السكان من اصل يهودى ، الذين وعدوا فى المستقبل اللامرئى بدور راعى الانسانية ، كانت ولا تزال من أهم الوسائل التى تسعى المشاريع الصهيونية لتحقيقها .

ان دولة اسرائيل التى أنشئت بفعل العمل الانسانى لمثلئ العديد من شعوب العالم ، تؤلف ، نتيجة لانتهاج أوساطها الصهيونية الحاكمة سياسة الخيانة والا وطنية ، وبشخص هؤلاء ، سلاح « الاتحاد المقبّس » بين الصهيونية العالمية والامبريالية .

ان الاتحاد السوفياتى وجميع البلدان الاشتراكية والحركة الشيوعية العالمية والحركة العمالية وحركة التحرر الوطنى هى المرمى الرئيسى لمطامع الاتحاد الصهيونى العالمى التخريبى ونشاطه (سواء ضمن اطار مكائده السياسية والمالية اليومية أو خارجه ، وهى تتناقض مع المصالح القومية الحقيقية لجميع شعوب البلدان بدون استثناء) .

وان الحملة ضد المنظومة الاشتراكية ، وبالاخص ، ضد الاتحاد السوفياتى ، تنتهج تحت راية « الدفاع عن اليهود » البالية . وكم أنضوى أنذال تحت هذه الارية ، ولكم اكره الصهيونيون الناس الشرفاء ، والسذج على التمسك بهذه الارية ولو للحظة واحدة .

فنفس صيغة النشاط التخريبى الجارى ضد الاتحاد السوفياتى الهادف لخلق قاعدة لعمل العملاء الامبرياليين فى شتى الاتجاهات ، لهو ذو مغزى : ماداموا يدافعون عنى بثبات ، فهل أنا حقا بحاجة الى الدفاع . . ممكن أن يفكر فى هذا شخص ما . ولنطرح سؤالاً اقل تعقيدا : ما هو الاسستنتاج الذى يمكن استخلاصه من وضع يقيم فيه نازيو بون الجدد « أسبوع الدفاع

والتضامن « مع صهيوني اسرائيل ، ويقوم صهيونيون اسرائيل « أسبوع الدفاع والتضامن » مع يهود الاتحاد السوفياتي . لا ينطبق قطعياً على قوانين المنطق الشكلي ، كون كورت كيسنفر ، عضو الحزب الهتلري النازي منذ عام ١٩٣٣ (رقم بظاقته التحريرية : ٢٦٣٣٩٣) وأخذ الشتخصيات البارزة التي عملت في الجهاز الدقائي ، التابع للرايخ الثالث ، مستشار الجمهورية الاتحادية الألمانية ، حيث يعمل بشكل علني - وطبقاً لاختصاصيات عام ١٩٦٧ - ١٠٠ مركز تابعة للنازيين الجدد تهتم بترويض الدعاية اللا سامية ، يضمن مع مؤيديه في الرأي ورملائه في الحكومة من الانصار النشطاء لقضية الصهيونية « في الدفاع عن المواطنين المبتسئين والعجزة ، الذين يكابدون الالام وراء الستار الحديدي »

ويبرز بهذا الصدد سؤالان : هل يشكل هذا الوضع المريب انتصاراً دبلوماسياً لاسرائيل . . وهل ثمة مسببات اضافية ، فرعية ، وثانوية (فيما غدا الهدف الاساسي ، الذي هو تحقيق السيطرة الفكرية والسياسية للاتحاد الصهيوني) تخضع الصهيونيين للتأوه على جميع مفارق طرق العالم بصدد مصير يهود الاتحاد السوفياتي ، الذي « يستحق الرافة » .

ان مثل هذه الاسباب موجودة ، وبودي أن أتكم باقتضاب عن أكثرها أهمية . .

في مايو من عام ١٩٦٥ ، في مدينة حيفا (اسرائيل) ، واثناء مشاهدة معالم المدينة ، طرح سؤال على إحدى الشخصيات الصهيونية المتوسطة الحال : « قل لي من فضلك ، لماذا انتم تطالبون بلجاجة بهجرة يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل ، مع العلم أن يهود الولايات المتحدة الاميركية يشكلون ضعف يهود الاتحاد السوفياتي ، ومع ذلك فانتم لم تحركوا ساكناً في هذا الاتجاه ؟ . . لكن الجواب لم يأت في الحال . . « إذا كنت صريحاً معك ، ستذكر ، أنت الصحفي اسمي حتما ، وسبؤدي هذا الى فضيحة » . - بهذا الشكل أجاب محدثي على السؤال . عندها أصبح واضحاً أنه لا يوجد أحد في نيته أن يثير فضائح وبالاخرى أن يذكر اسماء .

ان الحديث لم يجر على انفراد ، واذا لم تخن الذاكرة جميع المذنبين اشتركوا فيه ، فان الجواب احتوى على الآتي : « ان الكادحين اليهود في بلدكم قنوعون نسبياً ونحن يناسبنا جداً

الشرط الاول وكذلك الثانى ، وذلك بغية استصلاح الاراضى حيث كثافة السكان منخفضة » .

وهناك بعض الصعوبة فى التوفيق بين هذا الافصاح وبين التصريح الذى أدلى به أشكول فى وقت لاحق . « علينا أن نوضح للعالم أجمع ، بما فى ذلك العالم العربى ، أن ثمة طريقا للتسوية مستبعدا تماما ، أعنى أن من المستحيل اسكان اللاجئين العرب فى إسرائيل . . ان المئة ألف لاجيء بالنسبة لإسرائيل ، يعادلون قنبلة ذرية تلقى علينا » . وعند مطابقة الوقائع والارقام والحوادث فان درجة صراحة الراى الأنف الذكر ، الذى عبر عنه فى حيفا، تصبح جلية أكثر فأكثر .

فعلى مدى عشرين عاما من وجود إسرائيل ، نزع عن هذه الدولة ٢٥٠ ألف يهودى ، غالبيتهم من اليهود من أصل أوروبى . وعلى مدى عشرين عاما من وجود إسرائيل ، كانت حصة اليهودى الاميركى تقارب ال ٢٥٠ دولارا فى العام ، لرفضه الهجرة الى « فلسطين النائية » . وعلى مدى عشرين عاما من وجود إسرائيل اغتصبت الاوساط العسكرية الاسرائيلية الحاكمة ، نتيجة لاعتداءاتها اراضى (تنوى استصلاحها) تفوق ٤ مرات تلك التى خصصت لهم بمقتضى قرار الامم المتحدة . وطوال عشرين عاما من وجود إسرائيل ، قامت سلطاتها بالطرد القسرى لحوالى مليون عربى (من ١٩٤٨ الى ١٩٥٠) ، ومئات الالوف أثناء عدوان يوليو .

واذا أعدنا الى الذاكرة راى تيودور هرزل : « ان عمالنا يتحركون قبل أى شىء من الاحتياطى الروسى والرومانى الكبير » وإذا أحدثنا تعديلا على سبعين ونيف سنة (فيما يتعلق بمستوى المعارف التقنية) ، وتذكرنا دعوة بن جوريون المساوية الى عدم الإبطاء فى التهجير الجماعى ليهود أوروبا الى إسرائيل ، ففى ضوء المعطيات المذكورة ، يبدو هذا التصريح صافى النية حقا : « ان الكادحين فى بلدكم قنوعون نسبيا ونحن يناسبنا للغاية الشرط الاول وكذلك الثانى ، وذلك بغية استصلاح الاراضى حيث كثافة السكان منخفضة » .

ان كادحي بلاد السوفيات المتعددة القوميات ، يردون بالازدراء على وقاحة الزعماء الصهيونيين هذه ، ان كل من يتسبب العرق من جبينه وهو يعمل لخير الشعب السوفياتى ، لا يسمح للرؤساء

الصهيونيين بالتهكم على رفاقنا في العقيدة ، والعمل والنضال ،
اليهود السوفيات ، الناس الاوفياء لقضيتنا الشيوعية ، وللبناء
الاشتراكي للمجتمع والوطن .

ويتبدل دائما تكتيك الايديولوجيين الصهيونيين والاعمال
التخريبية الاخرى ضد الاتحاد السوفياتي . ففي عام ١٩٦١ ،
وطبقا لمخططاتهم المموسة ، دعا المركز الصهيوني العالمي لـ «تكتيك
السلوك المعتدل» نحو البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفياتي .
وفي مارس من عام ١٩٦٣ طلبت اللجنة التنفيذية للجنة الصهيونية
العالمية التخلي عن «تكتيك السلوك المعتدل» ، والانتقال الى
«حملة هجومية» ضد البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفياتي .
واذ تحدث ناحوم جولدمان في اجتماع اللجنة التنفيذية عن مهمات
الصهيونية ككل ، أعلن ضرورة تحويل المنظمة الصهيونية العالمية
الى قوة كفاح سياسية ، مؤهلة للدفاع عن حقوق اليهود خارج
اسرائيل .

وفي يونيو عام ١٩٦٥ جدد الزعماء الصهيونيون ارشاداتهم،
وشددوا على ضرورة «انتهاج خطب ضغط مستمر على السلطات
السوفياتية» في محاولة لاستمالة «القوى غير اليهودية» .
وفي عام ١٩٦٥ برزت بوادر تكتيك دوري لاعادة الاسترشاد .
وبالفعل ، اعترف بعض الزعماء الصهيونيين بأن ممارسة أسلوب
الهجمات المباشرة الذي انتهجته حملات الافتراء المتهتك المعادية
للسوفيات ، لم يثمر ، واقترح هؤلاء الزعماء الانتقال الى أساليب
«المناورات الالتفافية» . وبرهنت احداث أعوام ١٩٦٦ - ١٩٦٨
وخاصة في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، ان الصهيونية العالمية تجدد
اقتحامها لمرحلة انجاز الاستفزات السافرة والواسعة النطاق .

ان برامج اذاعات «صوت أميركا» و «صوت اسرائيل» ،
وتوزيع المطبوعات الصهيونية سرا في الاتحاد السوفياتي، ارسال
المنشورات الصهيونية الدورية الى مواطنين في الاتحاد السوفياتي
عناوينهم معروفة في اسرائيل ، وبعث العديد من الطرود من
«الخبز الفطير» - المخصص لطقوس العبادة اليهودية ، (بصرف
النظر عن الحقيقة المعروفة، وهي كون أفران الخبز الفطير الموجودة
في الاتحاد السوفياتي تستطيع أن تنتج في شهر واحد ما يعادل
جبلا كآارات أو صهيون) - ان هذه كلها ليست سوى أنماط
مبتدلة لوسائل «الحرب الجماعية» التي يشنها المركز الصهيوني
العالمي .

وهناك أشياء أخرى أقل جاذبية ، لكنها أكثر سما : منها ترويج
الاقاويل الاستفزازية وتشجيع المواقف النفعية و « المحسوبية »
وافتيال الضجة حول كل شيء يتصف بنكهة معادية للسوفيات
أو تزوير المذكرات الأدبية ، ومحض التأيد لكل من هو على
استعداد للانتقاد الفعلى لهم ، سواء عن قصد ، أو بسبب نزق
الشباب أو الحماسة .

ويعير الزعماء الصهيونيون اهتماما متميزا لتحريف وتشويه
الافكار الماركسية - اللينينية ، وتزوير تاريخ الدولة السوفياتية
بوصفه - أى التزوير - الوسيلة الفعالة للنضال العقائدى ضد
الاتحاد السوفياتى وضد الشيوعية بشكل عام .

ان التعاليم الماركسية - اللينينية المتعلقة بالامة ، والنقد
المالحق الذى وجهه واضعو الفكر الشيوعى الى عقيدة « الامة
اليهودية الابدية » ، هذه الاشياء كلها لا تروق للصهيونية . ومنذ
عدة أعوام تشن الصهيونية حربا خفية وسافرة ، لا هوادة فيها ،
ضد تراث واضعى التعاليم الماركسية - اللينينية .

ويجاهر الصهاينة الاجانب والموالون لهم بمقترحاتهم
و « تبريراتهم » حول ضرورة إعادة النظر فى الماركسية . وبدون
أى هرج زائد ، يسير المدافعون عنهم فى البلدان الاشتراكية على
طريق التزوير .

م . ب . فولفسون

« لا يوجد أى شيء مشترك بين استيعاب نظرى وشخصيات
الاممية الثانية للمسألة اليهودية ، وبين المفهوم الثورى الماركسى
- اللينينى لها . بادىء ذى بدء ينبغى الإشارة الى أن المسألة
اليهودية لم تستحوذ الاهتمام الكافى الذى لقيته المسألة القومية
بشكل عام . وعندما كان يهود المجتمع الرأسمالى يتعرضون
للمذابح الكسرة ، كانوا يقسرون على الادلاء بأرائهم التى كانت
تفسر المسألة اليهودية أما بروح الانعتاقية الليبرالية أو بروح
القومية اليهودية . . وكان خطاب كاوتسكى بهذا الصدد مميزا . .
فماذا اقترح كاوتسكى لتسوية المسألة اليهودية . . من حيث
الجوهر ، بدعو كاوتسكى الى الاندماج ، لأن العداوة نحو اليهود
« ستزول عندما لا تصبح الفئات اليهودية غريبة فى المجتمع ،
وتندمج مع بقية جماهير الاهلين » .

(الموسوعة السوفياتية الكبرى . مجلد ٢٤ ، صفحة

١٩٥٤ ، عام ١٩٣٢ ، موسكو) .

ف . ا . لينين

ان المسألة اليهودية تطرح على الشكل التالي : الاندماج أو الانعزال - وتتسم فكرة « القومية » اليهودية بطابع رجعي جلي ، وليس فقط لدى اتباع هذه الفكرة المثابرين (الصهيونيين) ، بل لدى أولئك الذين يحاولون المواءمة بينها وبين أفكار الاشتراكيين الديمقراطيين (أنصار البوند) . وكان كارل كاوتسكى يعنى بشكل خاص اليهود الروس ، عندما افصح بشكل أكثر تشديدا .

ان العداوة نحو الفئات السكانية اللامتجانسة ، ممكن ان تزول « فقط عندما لا تغدو الفئات اللامتجانسة عناصر غريبة ، وتندمج مع بقية جماهير الاهلين . هذا هو الحل الوحيد الممكن للمسألة اليهودية ، وينبغى علينا أن نؤيد كل ما يسر ازالة الانعزال اليهودي » .

ها هو البوند يناهض هذه التسوية الوحيدة والممكنة ، وهو لهذا لا يبعد بل يعزز ويعطى صفة قانونية للانعزال اليهودي .
(ف . ا . لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٨ ، صفحة ٧٤ - ٧٥) .

وبعد انصرام سبعة أعوام على وفاة لينين ، يتظاهر فولفسون « بنسيان » الموضوعة اللينينية التي تقول : « أن خيرة اليهود المبجلين عالميا وتاريخيا » ، والذين قدموا للعالم قادة الديمقراطية والاشتراكية التقدميين ، لم يناهضوا الاندماج اطلاقا . لقدناهض الاندماج الحالون ب « ماضى » اليهودية المحترمون ليس الا « (٨) » .
واذا حاول فولفسون تشويش قارئه بانتماء كارل كاوتسكى الى تكتل زعماء الاممية الثانية المخزى انما سار على طريق التزوير المباشر لا فكار ف . ا . لينين . وبعد عدة أسطر ، وكما هو منتظر « صد » أنصار « استيطان فلسطين » من الصهيونيين ، على أن العمل الرئيسى كان قد انجز وكما قال ليفى أشكول : « ان الجبهة الاساسية لنضالنا الآن ، والتي هي أهم مرحلة في تاريخنا ، هي الجبهة الداخلية . ان الاندماج والانشقاقات تهدد وجودنا المقبل » (٩) .

وهذا فى الحقيقة أمر واقع . ان السير الطبيعى لعملية اندماج اليهود ، الجارية فى جميع بلدان العالم ، هو بمثابة العملية الطبيعية لتمتين الأمة الاسرائيلية . وهى لاسباب جلية لم ترق ولا تروق اطلاقا للاتحاد الصهيونى العالمى . ان عملاء والمتطوعين

لخدمته في مضمار النظرية والممارسة ، أقاموا وقيمون شتى العوائق على طريق الاستكمال الذاتي لهذه العملية .

ومن الامثلة الساطعة على المكائد التي تمارسها الصهيونية العالمية ضد الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ، المحاولة الاخيرة لنسف مواقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي الاممية ، وابدال سياسته الماركسية - اللينينية ، والوطنية الاصيلة ، باتحاد فعلى مع المجرمين المغامرين ، المدافعين عن اقامة « اسرائيل الكبرى » .

ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، الذي تأسس عام ١٩١٩ ، يستطيع الاعتزاز بتقاليده الثورية ، وبنضاله اليومي الشاق والعصيب من أجل حقوق ومصالح الكادحين الاسرائيليين . ان وحدة العرب واليهود الاممية في نطاق الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، التي صهرت في الظروف العصيبة للتسفير الاصطناعي للشقاق القومي ، وان تعاون العرب واليهود المتكاتفين على أسس طبقية ، والمتضامنين في نطاق الحزب ، هما موضوع اعتزاز مشروع للشيوعيين الاسرائيليين ، والمثل الحي للوحدة ، وللمصالح المتجانسة لجميع العمال في منطقة الشرق الادنى .

ان ماثرة الحزب الشيوعي الاسرائيلي ولجنته المركزية هي ان اممية الشيوعيين الاسرائيليين استطاعت ان تقاوم وتحرز الغلبة على التكتل الاشتراكي - الشوفيني الانشقاقي ، الذي ناهض الحزب عام ١٩٦٥ ، تحت ستار الجمل الديماغوجية « حول تهويد الحزب الشيوعي » ، وحول ضرورة انتهاج « خط تكتيكي أكثر مرونة » .

وبعد مضي عامين بالذات على المحاولة الفاشلة لازاحة الحزب الشيوعي الاسرائيلي عن طريقه الماركسي - اللينيني ، طريق مصالح الشعب الاسرائيلي الوطنية الحققة ، قام اصحاب اقتراح «التكتيك الأكثر مرونة » ، باستعراض « مرونتهم » الخاصة وبكل ما في هذه الكلمة من معنى ، عندما انحنوا بهاماتهم أمام المستمعين الصهيونيين الذين صفقوا لبيانات هؤلاء حول العدوان الاسرائيلي ، اذ وصفوه بأنه « أعدل حرب بين جميع الحروب التي عرفتھا الانسانية » .

وتعرض الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، بشكل خاص ، في الفترة الاخيرة لامتحان قاس . فاز فشلت السلطات الاسرائيلية في نسف الحزب الشيوعي من الداخل ، شنت حملة تنكيلية

عنيفة ضد الشيوعيين . وتبدلت جميع الأساليب المدعوة لشل نشاط الحزب الشيوعي الاسرائيلي . وبدى بالوسائل الاكثردة من اضطهاد اولاد الشيوعيين فى المدرسة والشوارع ، وانتهاء بالاعتقالات التقليدية لاعضاء الحزب النشيطين وقادته ، مع اللجوء الى التعذيب الوحشى فى مراكز البوليس فى محاولة لتصفية زعماء الحزب جسديا .

ان الظروف التى يناضل فيها الحزب الشيوعي الاسرائيلي لا تزال عصيبة . ان الصحافة الصهيونية والموالين لها فى كل مكان - وليس فقط فى اسرائيل - يتابعون شحن جو الضغينة حول الحزب الشيوعي الاسرائيلي . وتتردد دعوات هستيرية لمنع الحزب ، وتصاغ المقترحات لنظام انتخابى جديد فى اسرائيل مهمته الوحيدة حرمان الحزب من امكانية أن يكون له ممثلوه فى البرلمان . واذ يتحلى الشيوعيون الاسرائيليون برباطة الجأش والشجاعة يستمرون فى النضال من أجل المصالح الحقيقية لتسعمهم ، من أجل السلام وتسوية عادلة لجميع المسائل المتنازع عليها بين اسرائيل والبلدان العربية . ان الاحزاب الصهيونية فى اسرائيل ، المدعوة بمختلف ائتلافاتها المؤقتة والدائمة ، لاجراج التمثيليات الدورية الصاخبة حول « تشكيل الحكومة الاسرائيلية العتيدة » ، قد رفعت الصهيونية الى مرتبة العقيدة الرسمية للدولة . على أن تخوم دولة اسرائيل لا تشبع من حيث الحجم رغبة أنصار الصهيونية الذين يرون وفقا لمآربهم ضرورة ازدهار مثل هذه العقيدة . واذا كان الدور المخصص لفئة الانشقاقية فى الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، التى منيت بالفشل ، هو دور العمالة للصهيونية فى الحركة الشيوعية العالمية ، فان ما يسمى بأحزاب اسرائيل « الاشتراكية » (الصهيونية) تلعب بدأب هذا الدور بين الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية فى العالم ، وبكل استعداد مستغلة المنصة التى تقدمها لها « الاممية الاشتراكية » .

ومن الممكن أن نحكم الى أى مدى أظهر نشاط الزعامة الصهيونية « الاشتراكية - الديمقراطية » خصبه ، وإلى أى حد أخصبت تربة الاتحاد الصهيونى فى مضمار هذا النشاط ، بالاستشهاد بالقرار الذى اتخذ فى الاجتماع الاستثنائى لمكتب الاممية الاشتراكية ، الذى انعقد فى الايام الاولى التى سبقت العدوان الاسرائيلي وذلك فى الثانى من يونيو عام ١٩٦٧ . ولا توجد ضرورة اقتباس قرار منظمى النضال من أجل الرأسمالية

الاصلاحية . ويكفى أن نسرد الفقرتين الاستهلاكية والختمية من هذه الوثيقة المغلفة بـ « اشتراكي » ومضمون امبريالي :

« ان الاممية الاشتراكية تعرب عن تضامنها الكامل مع الشعب الاسرائيلي الذي يندود عن وجوده وحرته ضد العدوان (١) »

وتتضمن الاممية الاشتراكية مع جميع قوى الشرق الأوسط الديمقراطية في نضالها ضد جميع أشكال الاقطاعية والديكتاتورية وستتابع الاممية الاشتراكية نشاطها الرامي الى ادخال افضليات الاشتراكية الديمقراطية الى جميع دول الشرق الأوسط (١٠) .

ويبذل الزعماء الاسرائيليون الصهيونيون داخل المركز الاممي للاشتراكية طاقة غير قليلة لـ « ادخال افضليات الاشتراكية الديمقراطية » سواء اكان هذا على نصل الرمح أم عن طريق المال والقروض . وقد صاغ الصهيونيون بالذات برنامج نشاط «مركز الفكر الاشتراكي المعاصر » ، المدعو « لدراسة التيارات المختلفة في الحركة الاممية الاشتراكية المعاصرة » ، واشكال تطبيق البرامج والاساليب الملائمة في البلدان النامية » (١١) .

وفي مذكرة الزعماء الصهيونيين المرفقة باقتراح حول انشاء « المركز » ، تنص المادة الخامسة على الاقتراح التالي : « من الضروري فتح حوار في مسائل الفكر الاشتراكي والممارسة ، مع احزاب آسيا وأفريقيا التي لا تدخل في عضوية الاممية الاشتراكية » (١٢) . ومن هذا يتبين أن النشاط التخريبي للصهيونية العالمية يجري على جبهة واسعة بعض الشيء ويخطط له لعدة أعوام لاحقة . ويمكن قول الشيء نفسه عن الخطط العسكرية والتجسسية والاقتصادية التي يضعها المركز الصهيوني العالمي .

ومن الجدير أن نذكر مرة أخرى ، بأن الصهيونية اذ تهاجم الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ، والحركة الشيوعية والعمالية ، لا يمكن الا أن تناهض حركة التحرر الوطني في العالم العربي . وفي هذا الكفاح ، لا يزال تكتيك الصهيونية المجرب ، هو « الامر الواقع » ، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط ، حيث يلعب دورا جوهريا حتى الآن .

ما هو الشيء الذي يكفل النجاح المؤقت لهذا التكتيك ، الى جانب القسر اللفظي والتخريب الجلي الذي يمارسه حلفاء الصهيونية

فى المنظمات الدولية ، المدعوة لضمان « العدالة والسلام » بجميع ما لديها من وسائل .

ان الجواب المقتضب ، هو ان هذا النجاح الوقتى الذى تضمنه للصهيونية الى جانب العوامل الأخرى ، مصلحة التضييل والدهاية التى تؤدى وظيفتها على النطاق العالمى بدقة متناهية ، لا يكفى . فلنحاول القاء الاضواء الكاشفة على هذه النقطة .

لقد سبقت الإشارة الى ان المركز الصهيونى العالمى قام على أعتاب العدوان الاسرائيلى ، باستعمال جميع الوسائل التى فى حوزته ، واستطاع أن يستميل قسما من الرأى العام فى البلدان الغربية لصالح المعتدى ، ويجمد القسم الآخر عمليا .

لقد وقع العدوان . ومهما يكن الامر مؤسفا ، فان قسما كبيرا من الناس فى العالم بدأ يدرك كنه ما جرى فى الشرق الاوسط ودناءة التزييف الذى كان يصور وكأنه « أنباء عن الواقع » ، فقط بعد وقوع الحادث ان اغتصاب الاراضى العربية الواسعة التى سرعان ما اكتسبت تسمية « الاراضى المحررة » ، الى جانب ازهاق الارواح وتهديم المنازل العربية والطرد القسرى لمئات الآلاف من العرب وراء تخسوم ارض موطنهم ، والرفض الحازم للخضوع لارادة الامم المتحدة فيما يخص كيان مدينة القدس - كل هذا ، أعاد الى الصواب المضللين الذين أعادوا النظر فى تقديرهم للحوادث بشكل جذرى وصحيح . فالى أى الاساليب تاجأ الدعاية الصهيونية اليوم ، فى ظروف تبدل الرأى العام العالمى ، لصالح الدول العربية التى وقعت ضحية العدوان ؟ . . من الممكن بصورة اصطلاحية أن نطلق على مناورة الصهيونية العالمية الدعائية تسمية « تكتيك استقصاء الحقيقة » . ففى أميركا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وفى العديد من البلدان الأخرى ، رأت النور أعداد هائلة من « الأبحاث » على شكل كرايس وكتب ووجهات نظر مطولة « مستمدة من الارشيف الشخصى » ومن الريبورتاجات التحليلية « التى لم يسبق نشرها البتة » ، تدعو القارىء « للتمعن بهدوء فى الوقائع بغية بلوغ الحقيقة فى النهاية . . » .

ان اللهجة الودية ، واللياقة المقصودة فى الاعتراف بالاطباء والهفوات الجلية - من كلا الفريقين ؛ ومثبات الاسماء والآلاف التواريخ والاستشهادات ، والهزل المدعو لاستهواء ومحاولة تملق

القارئ الحاد الذهن ، والمؤهل طبعا لادراك ان الحياة لا تضم
يمينيين او مذنبين بشكل مطلق تستخلص فى النهاية النتيجة
التالية من احسن تقاليد الموضوعية المجربة (والتي لم تصبح مع
الايام اقل بورجوازية) . ان الحياة متشعبة الجوانب ، وكما برهن
آتفا ، معقدة .. ولهذا لا يجوز التسرع ومن الافضل وزن كل شيء
وقياسه ومناقشته .. اذ من المؤكد ان الحقيقة توجد فى الجدل
.. ان مثل هذا النمط من التفكير يشق طريقه عبر الجهود
والتعصيد والاهتمام الفائق ، وخاصة ، لدى الناس ذوى الماضى
التقدمى ، الذين هم بمثابة مؤلفين ، تتضمن أعمالهم أفكارا
شبيهة .

وفى نفس الوقت ، يتعرض القسم العربى من مدينة القدس
 لعملية تهويد على حساب الاموال الاولى التى لحظها « البارون »
روتشيلد والمنظمة الصهيونية العالمية ، وسفير « الدولة الحليفة »
المانيا الغربية . وفى نفس الوقت ، وعلى بعد ٧٠ كلم من دمشق
تنتشر على الارض السورية العريقة « وفى غياض الابنية الجديدة »
مدينة « الزراع » الاسرائيليين المدججين بالسلاح . وفى نفس
الوقت ، يقذف بالآلاف الاسرائيليين المعدمين الى المناطق المفتصة،
وذلك لافساح المجال امام حكام اسرائيل ، وكما كان ذلك عام ١٩٤٨
للمجاهرة علنا : « عن أى نزوح يمكن ان يجرى الحديث فى الوقت
الذى يقطن الكادحون الاسرائيليون ، ومنذ زمن ، اراضى مايسمى
بالنازحين » . وفى الوقت الذى يقوم فيه مدير التروست
الصهيونى ، ناحوم جولدمان برحلات لولبية ، مهتما فى كل مكان
بالخاتمة السلمية للامر الذى شرع به يبقى كل شيء على حاله -
« الزراع » وشبكة الصيادين الراقدة فى المياه العكرة .

لا شيء يقلق الصهيونية كالانتباه الثاقب الذى يعيره لها الراى
العام العالمى . ولا شيء يوجب سيل الاتهامات من جانبها بالنزعات
اللاسامية ، الا محاولة استقصاء الطريق الذى قطعت من البداية
ولهذا التاريخ ، وهذا ليس صدفة ، فثمة موجبات عدة ، أهمها
جهود الاتحاد الصهيونى العالمى للقضاء تماما على الآثار المشينة
التى خلفها فى الماضى السحيق والقريب .. على أن هذه الجهود
قد اخيبت الآمال . واذ تعى الصهيونية هذا ، فهى تحاول منذ
زمن الا تمثل أمام الراى العام العالمى كوحدة فكرية ، تنظيمية
ووظيفية كاملة . انها تحاول أن تظهر بعدة وجوه ، وبخلق لاتعقل

متنافر ومستعار - هذه هي اقنعة التمويه الصهيوني المعاصر التي اختيرت بامعان . ان الاهتمام الزائد ، ومقارنة الاحداث والوقائع يساعدان على رسم الصلة المباشرة بين ظواهر العصر التي خيل أنها متباعدة (بدء من الاستفزات العسكرية والهزات الاقتصادية ، حتى العمل التخريبي الصغير « بين الفتيان ») كل هذا يساعد على استشفاف الوجوه المألوفة المتسترة وراء الاقنعة . وهذا الاهتمام بالذات ، الذي أملت ضرورة الاحتراز المستمر والهاديء ، يخرج ، أكثر من أى شيء آخر ، قادة الاتحاد الصهيوني العالمى عن طورهم هؤلاء الذين اعتادوا طول حياتهم وأعمالهم على « النشاط فى الظل » .

ان عدوان يونيو الذى ارتكبته الطبقة الاسرائيلية الحاكمة انتزع من هذا الظل التقليدى شبح منظمى الاستفزات الدولية، والمكائد القذرة واجرام رجال الاعمال، الصهيونيين، المؤهلين لدوس كل شيء على طريق ارباحهم . وها هم اليوم يسرعون للاختباء . وعبثا يأملون . . ان الدين لا يحنون هاماتهم امام اصحاب الجيوب المحشوة وامام ارباب المنظمات الافتراضية ، لن يسمحوا لهم بأن يتواروا ثانيا فى الظلام . . كما أن الشعوب والتاريخ لن تسمح لهم بالافلات من العقاب .

اغسطس ١٩٦٨

الفهرس

صفحة

	الفصل الاول
٩	الخرافة والواقع
	الفصل الثانى
٣٩	لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت
	الفصل الثالث
٧٢	متاهة بدون سقف
	الفصل الرابع
١٠٧	امام الاختيار
	الفصل الخامس
١٣٩	احذروا الصهيونية



المصادر والمراجع

المقدمة والفصل الاول

- ¹ *Sneh M. and Vilenska E. Crisis of Zionism. Tel-Aviv, 1961, p. 3.*
- ² «The Jerusalem Post» (weekly), August 14, 1967, p. 4.
- ³ *Bentwich N. Palestine. London, 1934, p. 60.*
- ⁴ *Sacher H. M. The Course of Modern Jewish History. N. Y., 1963, p. 265.*
- ⁵ *Sokolow N. History of Zionism. London, vol. I, p. XI.*
- ⁶ *Brandels L. Justice. On Zionism. N. Y., 1942, p. 24—26 (quoted: S. Levenberg. The Jews and Palestine. London, 1945, p. 42)*
- ⁷ *Scramuzza V. and Mackendrich P. The Ancient World. N. Y., 1959, p. 85.*
- ⁸ *Ausubel N. The Book of Jewish Knowledge: N. Y., 1964, p. 126.*
- ⁹ *Ibid., p. 126.*
- ¹⁰ *Brentano L. Das Wirtschaftsleben der antiken Welt. Jena, 1929, p. 80.*
- ¹¹ *Parkes J. End of an Exile. London, 1954, p. 92.*
- ¹² «Книга Иеремии» (29—5, 7, 7).
- ¹³ *Sokolow N. History of Zionism, vol. II, p. 106.*
- ¹⁴ *Olmstead A. T. History of the Persian Empire. Phoenix book, 1960, p. 57.*
- ¹⁵ *Salo W. Baron. A Social and Religions History of the Jews, 2-d add, vol. V. N. Y., 1957, p. 25.*
- ¹⁶ *Ibid., p. 25.*
- ¹⁷ «The Cambridge Ancient History», vol. III, p. 407.
- ¹⁸ *Ibid., vol. VI, 1927, p. 137, 143.*
- ¹⁹ *Ausubel N. The Book of Jewish Knowledge, p. 127.*
- ²⁰ *Stein L. Zionism. London, 1925, p. 13.*
- ²¹ *Scramuzza V. and Mackendrich P. The Ancient World, p. 599.*

- ²² Ibid., p. 600.
- ²³ Roth C. History of the Jews. N. Y., 1963, p. 151—155.
- ²⁴ «The Cambridge Medieval History», vol. VII, 1932, p. 644.
- ²⁵ Ausubel N. The Book of Jewish Knowledge, p. 119.
- ²⁶ Olmstead A. T. History of the Persian Empire, 1960, p. 481.
- ²⁷ «The Cambridge Ancient History», vol. VI, p. 559.
- ²⁸ Roth C. History of the Jews, p. 91.
- ²⁹ «The Cambridge Medieval History», vol. III, p. 429.
- ³⁰ Ausubel N. The Book of Jewish Knowledge, p. 127.
- ³¹ К. Маркс и Ф. Энгельс. Соч., т. 1, стр. 410.
- ³² Там же.
- ³³ Roth C. History of the Jews, p. 136.
- ³⁴ Ben Halpern. The Idea of the Jewish State. Massachusetts, 1961, p. 105.
- ³⁵ «The Cambridge Medieval History», vol. II, p. 156.
- ³⁶ Ibid., vol. VII, p. 643.
- ³⁷ Ibid., vol. VII, p. 650.
- ³⁸ Sacher H. M. The Course of Modern Jewish History, p. 27.
- ³⁹ Ibid., p. 29.
- ⁴⁰ «The Cambridge Medieval History», vol. VII, p. 648.
- ⁴¹ БСЭ, т. 24, 1932, стр. 26.
- ⁴² Там же.
- ⁴³ Roth C. History of the Jews, p. 267...
- ⁴⁴ Sokolow N. History of Zionism, vol. I, p. 18.
- ⁴⁵ Salo W. Baron. A Social and Religious History of the Jews, vol. V, p. 27.
- ⁴⁶ Ibid., p. 150.
- ⁴⁷ Stein L. Zionism, p. 17.
- ⁴⁸ БСЭ, т. 24, 1932, стр. 62.
- ⁴⁹ Stein L. Zionism, p. 21.
- ⁵⁰ Sacher H. M. The Course of Modern Jewish History, p. 27.
- ⁵¹ В. И. Ленин. Полн. собр. соч., т. 8, стр. 74.
- ⁵² Stein L. Zionism, p. 24—25.
- ⁵³ Lilienthal A. What Price Israel. USA, p. 16.
- ⁵⁴ Ausubel N. The Book of Jewish Knowledge, p. 234.
- ⁵⁵ Sacher N. M. The Course of Modern Jewish History, p. 149.
- ⁵⁶ Ibid., p. 131.
- ⁵⁷ Ibid., p. 289.
- ⁵⁸ В. И. Ленин. Полн. собр. соч., т. 8, стр. 74.
- ⁵⁹ Charles P. Daly. The Settlement of the Jews in North America. N. Y., 1893 (quoted: Sokolow N., vol. I, p. 57).
- ⁶⁰ Sokolow N. History of Zionism, vol. II, p. 222.

- ⁶¹ Ibid., vol. II, p. 220.
- ⁶² Ibid., vol. I, p. 66.
- ⁶³ Ibid., vol. II, p. 230.
- ⁶⁴ Ibid., v. I, p. 118.
- ⁶⁵ Ibid., v. I, p. 138.
- ⁶⁶ Ibid., vol. II, p. 243.
- ⁶⁷ Ibid., vol. II, p. 259.
- ⁶⁸ *Edelman M. A Political Biography of Ben Gurion. London, 1964, p. 55.*
- ⁶⁹ *Sokolow N. History of Zionism, vol. II, p. 273.*
- ⁷⁰ «Max Nordau to his People». N. Y., 1941, p. 57.
- ⁷¹ *Sokolow N. History of Zionism, vol. II, p. 371.*
- ⁷² Ibid., vol. II, p. XLVII.

الفصل الثاني

- ¹ «New Outlook», Tel-Aviv, January, 1966, p. 49—58.
- ² Ibidem.
- ³ Ibidem.
- ⁴ Ibidem.
- ⁵ Ibidem.
- ⁶ *В. И. Ленин. Полн. собр. соч., т. 8, стр. 74.*
- ⁷ *Ben Halpern. The Idea of the Jewish State, p. 6.*
- ⁸ *Sacher N. M. The Course of Modern Jewish History, p. 105.*
- ⁹ *Ben Halpern. The Idea of the Jewish State, p. 9—11.*
- ¹⁰ *В. И. Ленин. Полн. собр. соч., т. 8, стр. 73, 74, 75.*
- ¹¹ *Levenberg S. The Jews and Palestine. London, 1945, p. 134.*
- ¹² *Л. Пинскер. Автоэмансипация. Петроград, 1917, стр. 12.*
- ¹³ *Simon L. Studies in the Jewish Nationalism. London, 1920, p. 31.*
- ¹⁴ *Т. Герцль. Еврейское государство, С.-Пб., 1896, стр. 66.*
- ¹⁵ *К. Маркс и Ф. Энгельс. Соч., т. 28, стр. 210.*
- ¹⁶ *Sokolow N. History of Zionism, vol. II, p. LXI.*
- ¹⁷ *Ahad Haam. Nationalism and the Jewish Ethics. N. Y., p. 77.*
- ¹⁸ *Sokolow N. History of Zionism, vol. I, p. 189.*
- ¹⁹ Ibid., vol. I, p. 189.
- ²⁰ *Roth C. History of the Jews. N. Y., 1963*
- ²¹ «Max Nordau to his People», p. 163.
- ²² *В. И. Ленин. Полн. собр. соч., т. 8, стр. 73.*
- ²³ *Stein L. Zionism, p. 77.*
- ²⁴ *Т. Герцль. Еврейское государство, стр. 22.*
- ²⁵ *Л. Пинскер. Автоэмансипация, стр. 12, 13.*

- ²⁶ *Dark S.* The Jew To-day. London, 1933, p. 25—26.
- ²⁷ «Jewish Agency for Palestine». Jerusalem, 1947, p. 7.
- ²⁸ *Crossman R.* A Nation Reborn. London, 1959, p. 21.
- ²⁹ *В. И. Ленин.* Полн. собр. соч., т. 7, стр. 121.
- ³⁰ *Т. Герцль.* Еврейское государство. стр. 71.
- ³¹ *Stein L.* Zionism, p. 75.
- ³² «The Diaries of Theodor Herzl», translated and edited by *M. Lewenthal.* N. Y., p. 6, 10.
- ³³ *Л. Пинскер* Автоэмансипация, стр. 16
- ³⁴ *Sokolow N.* History of Zionism, vol. I, p. 189.
- ³⁵ *В. И. Ленин.* Полн. собр. соч., т. 8, стр. 74.
- ³⁶ «Max Nordau to his People», p. 73.
- ³⁷ *Ibid.*, p. 92.
- ³⁸ *Т. Герцль.* Еврейское государство, стр. 10
- ³⁹ *Sokolow N.* History of Zionism, vol. I, p. XXI, 193.
- ⁴⁰ *Weizman Ch.* Trial and Error. London, 1949, p. 153.
- ⁴¹ *Л. Пинскер.* Автоэмансипация, стр. 33.
- ⁴² *Simon L.* Studies in the Jewish Nationalism, p. 43.
- ⁴³ «The Diaries of Theodor Herzl», p. 26.
- ⁴⁴ *Т. Герцль,* т. I. Петроград, 1918, стр. 164.
- ⁴⁵ *Л. Пинскер.* Автоэмансипация, стр. 33.
- ⁴⁶ *Ahad Haam.* Nationalism and the Jewish Ethics, p. 78, 79.
- ⁴⁷ *Sokolow N.* History of Zionism, vol. I, p. XX, XXI.
- ⁴⁸ «The Diaries of Theodor Herzl», p. 100.
- ⁴⁹ *Л. Пинскер.* Автоэмансипация, стр. 29.
- ⁵⁰ *Т. Герцль.* Еврейское государство, стр. 31.
- ⁵¹ *Т. Герцль.* Полное собрание речей и статей о сионизме. Белосток, 1905, стр. 257.
- ⁵² *Weizman Ch.* Trial and Error, p. 14
- ⁵³ *Sneh M.* Conclusion on the National Question in the Light of marxism-leninism. Tel-Aviv, 1954, p. 98.
- ⁵⁴ *Weizman Ch.* Trial and Error, p. 142—143.
- ⁵⁵ *В. И. Ленин.* Полн. собр. соч., т. 10, стр. 310
- ⁵⁶ *Sokolow N.* History of Zionism, vol. II, p. XLII.
- ⁵⁷ *Т. Герцль.* Еврейское государство, стр. 47.
- ⁵⁸ *Л. Пинскер.* Автоэмансипация, стр. 40, 33, 36.
- ⁵⁹ *Ahad Haam.* Nationalism and the Jewish Ethics, p. 76—77
- ⁶⁰ «Max Nordau to his People», p. 24.
- ⁶¹ *Levenberg S.* The Jews and Palestine. London, 1945, p. 137.
- ⁶² *Sacher H. M.* The Course of Modern Jewish History, p. 288
- ⁶³ *Edelman M.* A Political Biography of Ben Gurion, p. 32.
- ⁶⁴ *Sokolow N.* History of Zionism. vol. II, p. 364—365
- ⁶⁵ *Ibid.*, p. 366.

- ⁶⁸ Ibid., p. 365.
- ⁶⁷ Ibid., p. 366.
- ⁶⁸ Ibidem.
- ⁶⁹ *Levenberg S. The Jews and Palestine*, p. 11.
- ⁷⁰ Ibid., p. 17.
- ⁷¹ Ibid., p. 55.
- ⁷² *Т. Герцль. Еврейское государство*, стр. 25, 26.
- ⁷³ БСЭ, т. 24, 1932, стр. 107.
- ⁷⁴ Там же.
- ⁷⁵ «The Communist International. 1919—1943», Documents, vol. I. London, 1956, p. 366.
- ⁷⁶ БСЭ, т. 24, 1932, стр. 105.
- ⁷⁷ *Вл. Жаботинский. Бунд и сионизм*. Одесса, 1906, стр. 48.
- ⁷⁸ *В. И. Ленин. Полн. собр. соч.*, т. 10, стр. 266—267.

الفصل الثالث

¹ Центральный государственный архив Октябрьской революции, фонды

- ² Там же.
- ³ Там же.
- ⁴ Там же.
- ⁵ ЦГАОР, ДП, ОО, д. 11, ч. 2, литер «Б», 1898.
- ⁶ *Crossman R. A Nation Reborn*. London, 1959, p. 55.
- ⁷ ЦГАОР СССР, фонды.
- ⁸ *Паттерсон Д. Ж. С еврейским отрядом в Галиполи*. Под редакцией и с предисловием К. И. Чуковского. Петроград, 1917, стр. 5.
- ⁹ ЦГАОР СССР, ДП, ОО, д. 44, 1914, л. 83.
- ¹⁰ Там же, л. 170.
- ¹¹ ЦГАОР СССР, ф. 5325, оп. 57, ед. хр. 607.
- ¹² Там же.
- ¹³ *Crossman R. A Nation Reborn*. London, 1959, p. 62.
- ¹⁴ *Sokolow N. History of Zionism*, vol. II, p. 55.
- ¹⁵ *Levenberg S. The Jews and Palestine*, p. 190.
- ¹⁶ *Sokolow N. History of Zionism*, vol. II, p. 89, 92.
- ¹⁷ *Hurewitz G. The Struggle for Palestine*. N. Y., 1950, p. 27.
- ¹⁸ *Ahad Haam. Nationalism and the Jewish Ethics*, p. 24—25.
- ¹⁹ *Balfour A. I. Speeches on Zionism*. London, 1928, p. 26.
- ²⁰ *The Palestine Royal Commission Report (CMD, 5479)*, 1937, p. 84.
- ²¹ *Melchett H. L. M. Thy Neighbour*. N. Y., 1937, p. 252.

- ²² *Crossman R.* A Nation Reborn, p. 61.
- ²³ *Sidebotham H.* British Imperial Interest in Palestine. «Garden City Press Ltd», 1957, p. 11, 12.
- ²⁴ *Hurewitz G.* The Struggle for Palestine, p. 27, 28.
- ²⁵ «Max Nordau to his People», p. 57.
- ²⁶ *Jabotinsky V.* An Answer to Bevin. N. Y., 1946, p. 10, 12, 16.
- ²⁷ «Palestine and the Middle East», vol. XVIII, № 7—8, July — August, 1941.
- ²⁸ «Der Spiegel», 19. XII. 1966.
- ²⁹ *Sneh M.* Conclusion on the National Question... Tel-Aviv, 1954 (Chapter: «Zionism — the instrument of Jewish imperial bourgeoisie and imperialism»).
- ³⁰ Ibidem.
- ³¹ «Der Spiegel», 19. XII. 1966.
- ³² *Cohen M.* The Fate of a Liberal. N. Y., 1946, p. 328.
- ³³ *Hurewitz G.* The Struggle for Palestine, p. 27.
- ³⁴ *Edelman M.* A Political Biography of Ben Gurion, p. 92.
- ³⁵ *Kimche John and David.* The Secret Roads. London, 1955, p. 27.
- ³⁶ «Der Spiegel», 19. XII. 1966.
- ³⁷ *Ardent Hannah.* Eichman in Jerusalem. London, 1963, p. 37.
- ³⁸ «Thy Neighbour», N. Y., 1937.
- ³⁹ «Maariv» (Israel), April 24, 1966.
- ⁴⁰ Ibidem.
- ⁴¹ *Ardent Hannah.* Eichman in Jerusalem, p. 55.
- ⁴² «Der Spiegel», 19. XII. 1966.
- ⁴³ Ibidem.
- ⁴⁴ Ibidem.
- ⁴⁵ Ibidem.
- ⁴⁶ Ibidem.
- ⁴⁷ *Kimche J. and D.* The Secret Roads, p. 54.
- ⁴⁸ *Background.* Public Service Division Department of State. U. S., December, 1954, p. 14.
- ⁴⁹ *Lilienthal A.* What Price Israel, p. 92.
- ⁵⁰ *Sacher H. M.* Israel the Establishment of the State, p. 34.
- ⁵¹ *Ardent Hannah.* Eichman in Jerusalem, p. 38.
- ⁵² *К. Иванов и З. Шейнис.* Государство Израиль, его положение и политика. Политиздат, 1958, стр. 133.
- ⁵³ *Judgemens M. D.* (Israel), 1965, p. 65.
- ⁵⁴ *Kimche J. and D.* The Secret Roads, p. 13.
- ⁵⁵ *Lilienthal A.* What Price Israel, p. 33—34.
- ⁵⁶ *Kimche J. and D.* The Secret Roads, p. 13.
- ⁵⁷ *Livneh E.* State and Diaspora. Jerusalem, 1953, p. 15.

- ⁵⁸ «American Jewish Conference» (Proceedings of the 2-d Session). N. Y., 1945, p. 70.
- ⁵⁹ Ibid., p. 73.
- ⁶⁰ Ibid., p. 134.
- ⁶¹ Ibid., p. 310, 311—317, 320.
- ⁶² *Ben Gurion*. Israel. Years of Challenge. Tel-Aviv, 1963, p. 22.
- ⁶³ Ibid., p. 24.
- ⁶⁴ «Palestine Year-Book», vol. III, edited by Sophie A. Udin. N. Y., 1947—1948, p. 326—327.
- ⁶⁵ *Lilienthal A.* What Price Israel, p. 195.
- ⁶⁶ Ibid., p. 196.
- ⁶⁷ Ibid., p. 32—33.
- ⁶⁸ Ibid., p. 33.
- ⁶⁹ *Lilienthal A.* The Other Side of the Coin. N. Y., 1965, p. 184.
- ⁷⁰ *Lilienthal A.* What Price Israel, p. 207.
- ⁷¹ *Weizman Ch.* A Biography by Several Hands, p. 199.
- ⁷² CMD 5479, p. 239—240.
- ⁷³ «Towards Union in Palestine», edited Buber M., 1947, p. 7.
- ⁷⁴ *Vilner M.* The Palestine Problem and the Israel — Arab Dispute. Tel-Aviv, p. 5.
- ⁷⁵ Ibidem.
- ⁷⁶ *Levenberg S.* The Jews and Palestine, p. 176—177.
- ⁷⁷ Ibid., p. 180—181.
- ⁷⁸ «Forum» (Jerusalem), 1959. p. 96.
- ⁷⁹ *Гожанский Й.* Формирование рабочего класса Израиля и его положение, 1966; ЛГУ, дипломная работа.
- ⁸⁰ *Гожанский Э.* Сборник статей и речей. Тель-Авив, издание КПИ. 1959. стр. 42.

الفصل الرابع

- ¹ *Zeromski A.* Na zachód od Jordanu. Warszawa, 1965, str. 172.
- ² ЦГАОР СССР, ф. ДП, ОО, 1914, д. 44, л. 19.
- ³ Бюллетени КПИ, 1965, Тель-Авив.
- ⁴ Там же.
- ⁵ *Zeromski A.* Na zachod od Jordanu, str. 36.
- ⁶ *Ben Gurion*. Israel. Years of Challenge, p. 232, 233.
- ⁷ *Walichnowski T.* Od Jefratu az do Nilu. «Kontynenty» № 2, 1968.
- ⁸ Ibidem.

- ⁹ Ibidem.
- ¹⁰ *Zeromski A.* Na zachód od Jordanu, str. 236.
- ¹¹ Ibid., str. 27.
- ¹² *Weingrod A.* Israel, Group Relations in New Society. London, 1965, p. 39.
- ¹³ Ibid., p. 41.
- ¹⁴ Ibid., p. 75.
- ¹⁵ «United States News and World Report», April 17, 1967.
- ¹⁶ *Zeromski A.* Na zachód od Jordanu, str. 152—153.
- ¹⁷ *Vilner M.* The Palestine Problem and the Israel — Arab Dispute, CPI Tel-Aviv.
- ¹⁸ Ibidem.
- ¹⁹ «On the Situation of the Arabs in Israel», CPI. Tel-Aviv, September, 1966.
- ²⁰ Ibidem.
- ²¹ *Vilner M.* The Palestine Problem... p. 28.
- ²² *Zeromski A.* Na zachód od Jordanu, str. 227.
- ²³ «On the Situation of the Arabs in Israel», CPI, September, 1966
- ²⁴ CPI Press Release, February, 1966.
- ²⁵ Ibidem.
- ²⁶ *Sneh M.* Israeli Economy, CPI, 1961, p. 8.
- ²⁷ *Walichnowski T.* Od Jelfratu az do Nilu, «Kontynenty» 1968, № 2
- ²⁸ *Л. Медведко.* Рискованное предприятие. «Правда», 11 апреля 1968 г.
- ²⁹ «Zo hadereh» 17, 11, 1967.
- ³⁰ *М. Вильнер.* Коммунистическая партия Израиля в борьбе против агрессии, за мир. «Проблемы мира и социализма», 1968, № 4.
- ³¹ «Newsweek», November 15, 1965.
- ³² *Zeromski A.* Na zachód od Jordanu, str. 118.
- ³³ From: «Haolam Naze». Israel, № 1530, 28. XII. 1966 (hebrew).
- ³⁴ *А. Андрейчук.* Проникновение Израиля в Африку. «Азия и Африка сегодня», 1967, № 1, стр. 36.
- ³⁵ «Government Year Book». Jerusalem, 5720 (1959—1960), p. 69.
- ³⁶ *Brecher M.* The New States of Asia. London, 1963, p. 147
- ³⁷ «Проблемы мира и социализма», 1968, № 4
- ³⁸ Там же.
- ³⁹ *А. Н. Косыгин.* Выступление на чрезвычайной специальной

сессии Генеральной ассамблеи ООН 19 июня 1967 г. «Правда», 20 июня 1967 г.

⁴⁰ «Проблемы мира и социализма», 1968, № 4.

⁴¹ «Davar» (Israel), August 22, 1967.

⁴² Письмо из Израиля. «Правда», 6 апреля 1968 г.

⁴³ «The Worker» (USA), January 7, 1968.

⁴⁴ «Deutsche Volkszeitung», 13. VI. 1945, Berlin.

الفصل الخامس

¹ «Menorah Journal», USA February, 1928.

² «The New York Times», January 2, 1953.

³ В. Чернов. Тайная война Израиля. «Красная звезда», 3 октября 1967 г.

⁴ «Daily Mail», 2. VI. 1967.

⁵ «Jerusalem Post», August 17, 1951.

⁶ Lilienthal A. The Other Side of the Coin. N. Y., 1965, p. 210.

⁷ Ibidem, p. 194.

⁸ В. И. Ленин. О национальном и национально-колониальном вопросе. Госполитиздат, 1956, стр. 124.

⁹ «World Jewish Congress», July 31, 1966, p. 8.

¹⁰ «Socialist International Information», 1966—1967.

¹¹ Ibidem.

¹² Ibidem.



Bibliotheca Alexandrina



0654520